



کتابی

لعبة  
الخب  
والموت

نشر

حامی مراد

وکتب أخرى

۸ کتب

۸ فروش



## عزى القارىء

بهذا العدد تختتم السنة الاولى من حياة «كتابى» .. واذا كان لى ان اوجه اليك كلمة لهذه المناسبة ، فاحسبك تعرف انها لا يمكن ان تكون غير كلمة شكر صادر من اعماق القلب .. فانت الذى احتضنت كتابى منذ اللحظة الاولى ، وتمهدته برعايتك ، واعتبرته كتابك المفضل الفريد فى فكرته ، والوحيد من نوعه .. وانت - بعد الله - صاحب الفضل الاكبر فى هذه الكاتبة الممتازة التى بلغها كتابى فى عام واحد ! .. والعام فى عمر المجلة الشهرية لا يزيد فى نظرك عن اثنى عشر يوما ، هى ايام صدور اعدادها الاثنى عشر .. اما بالنسبة لى فقد كان العام ٣٦٥ يوما كاملة ، مضروبة فى عشرات الساعات التى قضيتها من كل يوم متكباً على اعداد مواد كتابى ، والاشراف بنفسى على كل صفحة فيه وكيرة .. !

فلذا كان لى ان ارفع اليوم رأسى من هذا الانكباب الطويل ، فلكى اعترف بالجميل لاهله ، واقر لك بصنيعك العظيم .. ثم لاعاهدك على ان يكون هدف كتابى فى عامه الجديد ان يقفز لك - وبواسطتك - فى كل عدد قفزة جديدة .. وان يحقق لك من امانيك كل عسر صعب المثل ! وبهذا العزم المتسلط وهذه الفكرة الملحة اعترزم ان اقدم لك بالبن الله فى مستهل العام الثانى من كتابى - فى اول مارس القادم - عددا فائرا ممتازا، ارجو ان يكون فاتحة اعداد ممتازة متوالية .. ولا اريد ان اسرف لك اليوم فى الوعود ، فسوف ترى وتلمس ذلك بنفسك ! ..

### هذا الورق ..

♦ ولما كنت اعتبرك قد صرت فى الواقع «صاحب» كتابى اكثر منى ، بحيث يحق لك ان تطالبني بتسميته «كتابك» .. فاني لا اريد ان يطرا على الكتاب أى جديد بغير ان تعرف سببه وداعيه .. ولعلك قد لاحظت بمجرد تقليب صفحات هذا العدد ان ورقه يختلف عن ورق الاعداد السابقة جميعا ، بحيث قد تسمي به الظن فتحسبني عمدت الى تغييره ابتغاء نفع او فائدة مادية .. فى حين انه كلغنى ثمنا غاليا يوازى ثمن ورق الاعداد الماضية بل ويجوزه يقليل ، فهو من النوع المسمى (Middle-fine) - وان يكن لا يعجبني مع ذلك ، شخصيا ، وانما اضطررت الى استعماله هذه المرة اضطرارا بسبب

نفاد كميات الورق الآخر قبل اوانها ، نتيجة لزيادة المطبوع من المبدعين السابقين ، ولاعادة طبع العدد الاول طبعة «ثانية» ثم «ثالثة» ، في منتصف ديسمبر ثم منتصف يناير المنعزم على التعاقب .. وهكذا حان موعد طبع هذا العدد ، والورق الجديد الذى طلبته من الخارج خصيصا لكتابى لم يصل بعد .. فلم يكن بد من الرضا بهذا الصنف مؤقتا .

### العدد الثانى .. نفذ أيضا !

◆ وعلى ذكر العدد الاول واعادة طبعه ، فقد نفذت اخرا نسخ العدد الثانى أيضا «قلب عنراء» ، ولا أتوقع أن أتمكن من اعادة طبعه مرة ثانية – على الأقل في المستقبل القريب – الا اذا ايقنت ، من طلبات الجملة التى تصلنى من متعهدى التوزيع ، ان المطلوب منه قد بلغ الحد الذى يحتمل نفعات اعادة الجمع والطبع .. الخ لذلك أجدنى مضطرا الى الاعتذار لحضرات الذين ارسلوا في طلبه منذ نفاذه ، والى سواهم ممن قد يفكرون في طلبه بعد الآن ، مكررا أسفى لعجزى عن تلبية طلباتهم ..

وختاماً ، تقبل منى ايها القارئ العزيز في نهاية المجلد الاول من «كتابك» ، اطيب التحية واجمل التمنيات .. والى اللقاء على صفحات كتابى القادم – الممتاز – باذن الله

### هامى مراد

## كتابى .. القادم

اول اعداد كتابى الممتازة .. وكفى !

ممتاز فى مادته .. ممتاز فى مظهره

احجز نسختك من الآن



« تسألوننى يا حضرات المستشارين عما اذا كنت قد قتلت المجنى عليها ؟ وعن الدوافع التى حدثت بى الى ارتكاب جريمتى الشنعاء ؟

« أما السؤال الاول فجوابى عليه : نعم .. أنا القاتل !  
 « .. وأما دوافع جريمتى فلها قصة ، لو اتسعت صدوركم لسماعها فسوف تسألوننى ، وتتساءلون معى : كيف لم أقتلها من قبل ؟؟

« ولكن ، دعونى أعرفكم أولا بنفسى ..  
 « اسمى الكامل ( عصمت خليل عبد الغفار ) ، رئيس فلم ( .. ) بوزارة الاوقاف . ولدت فى مركز « طوخ » فى ٧ فبراير سنة ١٩٠٦ من أسرة متوسطة الحال ، قوامها أبى « الشيخ خليل » - الذى كان يملك أكبر متجر للخردوات فى البلدة ثم أفلسست تجارته ومات وأنا بعهد فى بداية عامى الثالث ! - وأمى ، التى عاشت قبل ولادتى فى حداد شبه متصل على أولادها الذكور الذين كانوا يولدون ثم يموتون على التعاقب فى طفولتهم الباكرة فى ظروف أليمة متنوعة الأسباب ! .. وأخيرا اخواتى الاناث الثلاث اللواتى كن وحدهن بمنجاة دائما من كل سوء !

« وقد نشأت وأنا أسمع من أمى همسا انها وأبى قد اتفقا عقب مولدى على اخفاء حقيقة جنسى ردحا من الزمن ، وعلى الزعم فى البداية اننى « انثى » ، اتقاء لشر الحسد أو « العين » .. التى كانت فى نظرهما المسؤولة عن انقراض كل نسلهما من الذكور أولا بأول ! .. وقد اختارا لى اسم ( عصمت ) المشتبه كى يتمشى مع هذا الزعم ، والبسانى ثياب الانثى عامين كاملين ، امعانا فى التعمية وحسن السبك .. حتى

زالت حادثة المناسبة التي أوجت اليهما بهذا التصرف الشاذ،  
فتركنا حقيقتي تظهر للعيان بالتدريج وكلما دعت الظروف ،  
ولم يبقا من تعاويذ الماضي غير حجاب صغير مربوط تحت  
ابطى على الدوام ! .. ثم لم تمض شهور حتى ارتبكت حالة أبى  
المالبة وأشهر افلاسه، فأصابته النكبة بصدمة قلبية قضت عليه  
فى خلال ساعات ! ..

وهكذا صرت « رجل » الاسرة وأنا ما أزال .. طفلا .  
♦ قصصت عليكم كل ذلك - يا حضرات المستشارين -  
لارسم لكم صورة مصغرة لطفولتى الحزينة وصباى القاتم ،  
وللبينة الممرورة التى دمغت سنوات يقاعنى بطابعها الكئيب ،  
فتسببت سوداوى المزاج ، مشبعا بروح التشاؤم والتطير ،  
شديد الانطواء على نفسى والعزوف عن الناس ، أكره المجتمعات  
وأمقت الظهور والمباهاة ! .. وفى ظل هذه الظروف التعسفة  
والتربية الخاطئة الخرقاء كبرت وترعرعت ، فظل هذا الطابع  
يغلب على نفسيتى طيلة السنوات القاتمة التى قضيناها فى كفاح  
دائب من أجل العيش ..

.. حتى نلت البكالوريا ، بشق النفس ، ثم حصلت على  
وطيفة لا بأس بها بديوان الاوقاف .. واذا ذاك بدأت أحوالى  
تحسن بالتدريج . وحين بلغت الخامسة والثلاثين كنت قد  
وصلت باجتهادى الى مركز أدبى ومادى يؤهلنى للزواج ،  
مخطبت ابنة واحد من رؤسائى كان معجبا بعملى وشخصيتى  
« القوية المتزنة » ، وتم زفافنا بعد حين ..

« وعندما جادت على الاقدار بطفل قبل انقضاء العام ، أيقنت  
ان السعادة قد دانت لى بعد طول شقاء .. ولم يخيب الله ظنى  
فتدوقت فى الاعوام التالية من هناء العيش ما لم أكن أتمنى  
لنفسى بعضه من قبل ..



« ♦ ومضت ست سنوات ، كبر خلالها ابني « وحيد » ، واقتضت ظروف تعليمه أن تنتقل من مسكننا الاول الى مسكن آخر قريب من المدرسة الابتدائية التي ألحقناه بهـا في حي العباسية .. فلم نكد نحل به حتى تعرفنا الى جارتنا الجديدة التي تقطن الشقة المواجهة لنا .. وكانت « مفيدة هانم » أرملة فوق الاربعين ، لا زوج لها ولا ولد ، بدينة الجسم ، قبيحة الخلقة - باستثناء عينيها الواسعتين الكحلأوين ، الشبيهتين بعيني منوم مغناطيسي ! - ولكنها كانت جذابة الحديث ، تتقن فن الثرثرة وسرد أخبار الناس والمجتمعات .. حتى لقد أطلقنا عليها لقب « الجاسوسة غير الحسنة ! »

« وكان السبب في تعارفنا حادث ثافه لم أعره عند وقوعه دلالة خاصة : كنا قد صعدنا الى مسكننا الجديد في الطابق الثاني لاستلام الاثاث من الحمالين وارشادهم الى مكان وضع كل قطعة منه .. وفيما نحن أمام الباب المفتوح على مصراعيه ، فتح باب الشقة المواجهة وبرزت على عتبة امرأة لم نكد نراها حتى تظاهرت بالاجفال ، وكأنها فوجئت برؤيتنا ، كى تخفى فضولها الى « التفرج » على السكان الجدد ! ثم تداركت الموقف بأن حيتنا وأزجت الينا التهنة المألوفة في هذه المناسبة ..

« فى تلك اللحظات كان الحمالون يدخلون من الباب مرآة « كونسول » غرفة الاستقبال ، وكانت تحفة رائعة من تحف فن الاثاث موضوعة داخل اطار مذهب دقيق الصنع .. فلم نكد نراها الجارة وهى تهم بالتراجع الى شقتها حتى تريشت عند الباب برهة تتأملها ، وفى عينيها نظرة الاعجاب الصامتة ! « وشغلنى زهوى باعجابها عن مراقبة الحمالين ، فغفلت عنهم لحظة .. لكنها كانت كافية لوقوع « الحادث » ! فقد





تنبّهت فجأة على صوت المرأة  
الشمينة تصطدم بمقبض الباب  
النحاسي .. فتتهشم !

« دار رأسى ، ونظرت الى  
المرأة بحسرة .. فتراءى لى  
فيها شبح ( مفيدة هانم ) ،  
التي تفضلت فشـاركتنا  
« مصابنا » بهمة مشكورة  
وخماسة بالغة ، مبدية أسفها  
لما حدث فى أحر لهجة .. ثم  
أوصتنا أن نحمد الله على أن  
« الشر قد انكسر ! »



« ♦ وكان ذلك الحادث بداية التعارف بيننا .. وفى  
الاشهر التالية توثقت الصلة بين زوجتى ومفيدة هانم . ولم  
أر أنا بأسا فى هذه الصلة فى البداية ، فقد كانت فيها تسلية  
لزوجتى فى فترة غيابى فى المقهى وانشغال وحيد بدروسه ..  
واعتدت أن أراهما تتسارران ، حين يصادف أن أعود مبكرا ،  
فلم أكن أعلق على ذلك أهمية ما .. بل كنت على العكس أمنى  
نفسى فى كل مرة بقصة شائقة من قصص الزواج والطلاق ،  
أو فضيحة كبرى من فضائح المجتمع تروىها لى زوجتى فى أقرب  
مناسبة ، نقلا عن جارتنا الثريثة ! .. وبمرور الايام بدأت  
أجد لذة فى سماع قصص مفيدة هانم ، وخاصة حين كان  
ينغص صفو بيتنا حادث مكدر ، فقد كانت لطرافتها ترفه عنا  
بعض ما يصيبنا من نكد ومتاعب !

« لكن حاجتى الى قصص وفضائح مفيدة هانم أخذت تزداد  
يوما بعد يوم ، بازدياد المنغصات التي أخذت تتواتر علينا

تقريبا بلا انقطاع .. حتى لم تعد تغلو الحال من مريض في البيت أو اشكال خطير في العمل ، أو خلاف زوجي حاد ، أو خسارة مالية أو سرقة كبيرة .. الخ .. وفي كل مرة كنا نستمع الى نصيحة مفيدة هانم فنصدق أن «صحتنا بالدنيا» وأن « الشر قد انكسر »

« لكن الشرور استمرأت فيما يبدو أن تنكسر عندنا ، المرة بعد المرة ، فتتابع وتتنوعت .. صار ينكسر لنسا كل أيام شر جديد ، أو يصيبنا مكروه جديد ! .. وكان ضحيتها غالبا أحدنا أو كلانا .. وهدفها دائما أعصابنا !

♦ وهو العام .. ونجح وحيد في الامتحان بتفوق ، فاقمنا في منزلنا حفلة كبرى ابتهاجا بنجاحه .. وانقضت الليلة في صخب ومرح وموسيقى وطرب ، حتى مطلع الفجر .. ثم آوينا بعد ذلك كل الى فراشه فتمنا حتى ساعة الظهر ، ولم نستيقظ الا على دقات جرس الباب .. واذا رجال الشرطة قد أحاطوا بالبيت ، وضباط البوليس السياسى قد أقبلوا يفتشون مسكننا بحثا عن نشرة حزبية فيها مهاجمة للحكومة القائمة وقتذاك ! .. ورغم انهم لم يجدوا من النشرة الا نسختين كانتا قد وصلتانى بطريق البريد ، فانهم أصروا على اقتيادى معهم الى حيث ألقيت فى أحد المعتقلات ! ..

« وفيما أنا أهبط السلم فى حراسنهم لمحت فى عيني مفيدة هانم وهى على عتبة بابها نظرتها المواسية المألوفة التى تقول « تشجع .. صحتك بالدنيا ! » .. فتملكنى حنق شديد ، ودار بخاطرى سؤال حائر : « الى متى سأظل أتلقى من هذه المرأة نظرات الرئاء وكلمات العزاء ؟ » .. ان المواساة المتكررة فى ظروف اليمة تصبح أحيانا فى نظر المصاب الحائق مدعاة للتعاؤم من مواسينه ، ومثارا لحفيظته عليه !

« وفيما أنا أضع قدمي في سيارة « البوكسفورد » ، تذكرت سهرة البارحة .. وأفراحنا التي انقلبت أتراحا .. فومض في ذهني خاطر مفاجيء : « ان شوّما عجيبا قد لازمنا منذ وضعنا أقدامنا في هذا البيت ! .. ما من مرة فرحنا فيها أو ظفرنا أو اعتزّزنا بشيء ، الا وأصبنا في صميمنا فحرمنا منه أو فجعنا فيه ! .. ترى ما السر ؟ » .. ومضت سيارة البوليس تنهب بنا الطريق ، والافكار والهواجس المشوشة تنهب رأسي تباعا : « انقراض اخوتي الذكور .. طفولتي .. ثياب الانثى .. اسم عصمت .. الحجاب تحت ابطي .. افلاس أبي ووفاته بعد انكشاف ذكورتى ! .. ألم تكن أمي تقول ان « عين الحسود » هي المسؤولة عن كل ما أصابها ؟ .. لم لا يكون الامر صحيحا معي أنا ايضا ؟ .. لم لا يكون الداء في الاسرة ؟ كلا، انها ليست خرافة يتبغى أن أخجل منها .. ان الاديان ذاتها قد نصت عليها ! »

« وجعل صوت المطارق يدق وعيني بشدة : « العين ! .. العين ! .. العين ! » .. ولكن عين من ؟ .. تمثلت لى عيون حشد من الاصدقاء والاقارب والزملاء .. عيون سوداء، وعسلية، وغبراء ، وزرقاء .. لكنها مرت جميعا كما في شريط سينمائي دون أن تثبت أى منها في خيالي .. وبفتة ، تراءت لى عينان .. واسعتان كحلاوان .. أشبه بعيني المنوم المغناطيسي .. آه ، وجدتها ! انها ليست غير .. مفيدة هانم ! »

« ووجدت في ذلك مفتاح اللغز العصي .. وكما تندفق المياه مندفعة من قمة شلال تدفقت في ذاكرتي أحداث العام الاخير وتداعت مناسباتها .. فجعلت « أولف » عليها مفتاحي الجديد، واذا أقفأها جميعا تلين له ، فينتفح أمامي أفق الحقيقة الرهيبة التي كنت أشفق من الاعتراف بها منذ حادث كسر المرأة .. واذا

أنا أتبين فاسما مشتركا بين جميع الحوادث التي أصابتنا ، كان بسبق البلية في كل مرة ، هو عينا مفيدة هانم ! .. ما من مرة وقعت عيناها على شيء نمين أو شهدت عندنا حفلا بهيجا أو .. الا وأصابنا عقب ذلك مكروه ، أو انكسر شر جديد ! .. رباه ، أما لهذه اللعنة من آخر ؟؟



♦ وبقيت في المعتقل سبعة أشهر ، قاسيت فيها من الآلام النفسية الفظيعة ما أترك لكم أن تتصوروه .. وحين أفرج عني آخر الامر ، وجاءت مفيدة هانم تهنئنا ، كدت أفقد زمام أعصابي فأطردها من البيت وأشييعها باللعنات .. لكنني تماسكت ، واكتفيت بأن طلبت من زوجتي بمجرد خروجها أن تقطع صلتها بجارتها ، بالطريقة التي تراها ! .. وحين سألتني عن السبب خجلت من أن أصارحها بهواجسي - سيما واني كنت أعلم أنها لا تؤمن بالحسد ! - فاخترعت لها قصة وهمية تبرر طلبي الشاذ العجيب ..

« ونفذت زوجني رغبتى بالتدريج ، وبصورة ودية .. فصارت تتراخى في رد زيارات جارتها ، وتكثر من الخروج في أوقات الزيارة الى ناد قريب اشتركت فيه خصيصا لهذا الغرض .. حتي فترت علاقتها بمفيدة هانم فتورا ملحوظا . ولكن حتي هذه النتيجة لم تكف لتقطع دابر هواجسي ! .. صار يكفي أن تقع عينا اللعينة على ، في خروجي أو دخولي ، أو على السلم ، أو في الشرفة ، حتي يستيقظ وسواسي ويتمكنني ، تشاؤم مرعب ، فأتوجس خيفة من العواقب وأتوقع مكروها .. فأظل أرقب ما يأتي به الغد ، بقلب واجف !

« واستحالت حياتي جحيما .. فقدت كل ذخيرتي من سلام النفس وسكينة خاطر ، والاطمئنان الى المستقبل ! .. حتي

انتهى الامر بى الى التفكير فى مخرج سريع من هذه الحال : هو الانتقال من مسكنى الى بيت آخر ، أبعد ما يكون عن « المجال الحيوى » ليعينى مفيدة هانم ! لكن أزمة المساكن وفداحة الابحار الجديدة قضت على الفكرة فى مهدها ، وقضت على بالخضوع لقلدى المحتوم الى النهاية ..

« وتوالى علينا المتاعب والاكدار ، فى فترات متتالية لم تكن تسمح لروى أن يفرح ، ولاطمئنانى وتفاؤلى أن يعاودانى ! » وتوالى لدى أدلة الاتهام ، وكلها تشير بأصبعها الى فاعل واحد: مفيدة هانم ! وقبل أن يطمئن مرور الايام من أوهامى وقع حادث جديد : كنا خارجين لحضور حفلة ساهرة تقيمها احدى جمعيات « البر » ، وكانت زوجتى قد ارتدت ثوبا جديدا رائعا من ثياب السهرة .. فلم نكد نهبط الى منتصف السلم حتى صادفنا مفيدة هانم صاعدة ! وحلا للعينه أن تبدى اعجابها الزائد بنوب زوجتى الجديد ، وتطرى شبابها الفاتن . وكانت عباراتها كاذبة كى تبلبل أفكارى وتنفضنى طيلة السهرة ! .. وحين عدنا أحست زوجتى ببرد ، فدخلت المطبخ لتعد لنفسها شربا ساخدا .. وما هى الا لحظات حتى انفجر فى وجهها موقد البترول وشبت النار فى ثوبها ، فأصيبت بحروق ظلت تعالج منها ومن آذارها أشهر طوالا !

« ومرة أخرى دخلت علينا مفيدة هانم لزيارتنا بدون « مابق اخطار ، وكذا قد دعونا بعض الاصدقاء لتناول الشاي ، فارتبكت وانسحبت .. لكنها لم تنس أن تلقى على مائدة الشاي قبل أن تخرج نظرة سريعة ، بدافع من الفضول ، فلم تمض ساعتان حتى ظهرت على ثلاثة منا أعراض التسمم من فطيرة فاسسدة أكلناها !

« وذات يوم كنا فى زيارة احدى أسر الجيران ، فقالت لنا

ربة البيت عرضا انها سمعت  
مفيدة هانم تمتدح زوجتي وتشيد  
بمبلغ تفانيها في حبي الى  
درجة أستحق أن أغبط عليها!!  
فلم أكد أسمع هذه الرواية حتى  
اعتراني انقباض مفاجئ، وكأبة  
شديدة، كالتي تصيب الشخص  
حين يتنبأ له منجم بارع بكارثة  
توشك أن تدمه!! وهكذا  
قضيت أسابيع نهيا لشتى ألوان  
المخاوف والوساوس، أتوقع في  
كل لحظة أن يصيبني أو يصيب  
زوجتي مكروه يفرق بيننا، ويحرمني من حبها الذي تحسدني



عليه الارملة اللعينة!  
« ووقعت الكارثة فعلا، بلا مقدمات!! عدت ذات ليلة فجأة  
من مهمة مصلحة في بلدة قريبة، قبل الموعد الذي حددته  
لعودتي، فوجدت زوجتي بين ذراعي رجل غريب، من أعضاء  
النادي الذي تتردد عليه!

ولكم أن تقدروا يا حضرات المستشارين عنف الصدمة التي  
أصابتنى، فسحقتنى سحقا!! فكلكم زوج وكلكم يستطيع أن  
بتصور فظاعة الطعنة التي تمزق قلب الزوج المخدوع حين  
يكتشف فجأة أن زوجته التي أظلمها سقفه، ووجدانه، سنوات!!  
قد استباححت أن تلغ في شرفه بلا رحمة ولا وازع من ضمير!



♦ يا حضرات المستشارين!!  
« ألح على وجوهكم تساؤلا حائرا يريد أن يفصح عن نفسه:  
« ما دمت أهلا لارتكاب جريمة القتل، فكيف ولماذا لم ارتكبتها

ساعتئذ ؟ وأى دوافع للقتل أقوى وأعنف من هذا الدافع الذى واتانى به القدر ؟ »

« وجوابا على هذا التساؤل المنطقي المفهوم أبادر فأقول : انى لم أرتكب جريمة القتل يومئذ من أجل مستقبل ابنى « وحيد » . ومن أجله وحده ارتكبت الجريمة ذاتها فيما بعد !

كان قد انقضى على الحوادث السالفة التى انتهت بتطليقي لزوجتى الغادرة قرابة عامين ، قوى فيهما « ايمانى » بمفعول عين مفيدة هانم ، بعد التجارب الرهيبة التى مرت بى ، والتجارب الاخرى الجديدة التى لن يتسع وقتكم لسماعها لو ذكرتها بالتفصيل ! . . . عامين قضيتهما مع وحيدى فى خوف متصل ورعب قاتل ، بل فزع مروع - أشبه بفزع القيامة ! - وذقت خللها من اضطراب الاعصاب وهواجس الاوهام ما لا قبل لاقوى جبار باحتماله . . . كنت طيلتهما أحنو على صغيرى اذا غدا . وأحنو عليه اذا راح ، كما يحنو النسر على فرخه من عدوان الزمان ، فى انتظار اللحظة التى ينطلق به فيها من موطن الخطر الى جو الامان ! . . . وكان حبى اياه وخوفى عليه قد أمدانى بعقلية وحشية ، سخرتها لبذل أقصى ما فى طاقة البشر لحمايته من خدش النسيم ! . . . دون أن أتوانى أثناء ذلك يوما واحدا عن البحث بكل وسيلة وحيلة عن مسكن آخر ، بايجسار تتحمله ميزانيتى . كنى أنتقل بالصبى اليه !

« وتحققت أمنيتى أخيرا ، فوجدت المسكن المنشود . . . ووقعت عقد الايجار . . . ثم طرت الى صغيرى والفرحة تنشرنى وتطوينى ، وهناك وجدت فرحة أخرى تنتظرنى فى صحف المساء : لقد نجح وحيدى فى امتحان الشهادة الابتدائية ، بل وظفر بالاولوية بين زملائه ، فدعته المدرسة الى حفلة تكريم تقام لهذه المناسبة فى عصر ذلك اليوم !

« لو رأيتموني يا حضرات المستشارين وأنا ألبس الصبي يومئذ حلته الجديدة الانيقة بنفسى ... وقد صرت أباه وأمه ! - ثم وأنا أطبع على جبينه قبلة الإعجاب ، وأخرج به والزهو يملأ أعطافي الى حيث ينتظره التكريم .. لقد رتم مبلغ الانزعاج الجنونى الذى أصابنى لحظتئذ حين فتحت باب مسكنى لأخرج ، وفى يدى الصغير ، فاذا أنا أرى بومة الشؤم « مفيدة هانم » واقفة على عتبة بابها ! - وأقسم لكم لو ان الشيطان بعينه تجسد لى لما انتزع له قلبى كما انتزع فى تلك اللحظة !! »

« .. ولو رأيتمونى وأنا آتية فخرا بابنى « المحتفى به » ، أمام مئات الآباء والامهات والتلاميذ الذين حضروا الحفلة فى ذلك المساء .. لتفطرت قلوبكم لفجيعتى وأنا ألتقط الصبى من عرض الطريق فى اليوم التالى وقد دهمته سيارة جامحة !



« ♦ وأحسبكم تستتجون ما حدث بعد ذلك يا حضرات المستشارين : مات وحيدى ! لفظ أمامى نفسه الاخير وأنا جالس على حافة فراشه مسلوب الرشاد ، أود لو أفتديه بكل رصيدي الباقي لى فى ذمة الدنيا من عمر ومال .. أو أنتزع نجاته من براثن القدر الغشوم ولو اقتضانى الصراع معه أن يعتصر دمي قطرة قطرة ، ويمتص من جسدى ماء الحياة نقطة نقطة ، حتى أسقط - بعد انتصارى - جثة هامة تحت قدميه ! »

« لكن أمانى ومساوماتى لم تبلغ مسامع النذر فيما يبدو ، فنفذ فى وحيدى قضاء الله الذى لا راد له !

« وجاءت مفيدة هانم لتعزىنى ، كالعادة .. ! والانسان اذا فقد فى كهولته زوجته ، وشرفه ، ثم ابنه الوحيد .. خليق أن يفقد معها أعصابه ، فيرتكب أى فعل .. لاسيما اذا رأى نفسه فى لحظة الصدمة وجها لوجه أمام المخلوق الذى يعتبره المسؤول عن كل ما حدث !



« وقد كان .. لم أكد أرى الارملة المنكودة تدخل على ، حتى اختلطت في ذهني ألف فكرة وفكرة ، وتتابع في مخيلتي ألف منظر ومنظر .. فاختطفت من جوار جثة الصبي مبضع الجراح الذي كان يحاول انقاذه به وهجمت على اللعينة كالوحش الكاسر .. لم أكن أنوى أن أقتلها فأريحتها من انتقامي في سهولة ويسر ، وإنما أردت أن أفقأ عينيها الشريرتين اللتين سلطتهما على كل ما كنت اعتز به ، وكانت هي محرومة منه ، فأفقدتني إياه !

« نعم ، أردت فقط أن أفقأ عينيها الاثمتين ، كي تقضى بقية حياتها في ظلام دائم أشد حلكة من ظلام القبور .. لكنها قاومت ، فجن جنوني ، وانهلت عليها بالسلاح الحاد أفتت به جسمها كيفما اتفق .. حتى خلصوها مني « جثة » فاقدة الحياة !

♦ يا حضرات المستشارين ..

« هذه قصتي ، سردها عليكم بدقة وأمانة أشهد عليهما الله .. لا طمعا في تبرئة نفسي ، وإنما لتكون عبرة للناس ، فمن أمسى في مثل حالي لا يعقل أن يتشبث لحظة بالحياة .. بل لئن كان لي مطمع في رحمة الله ورحمتكم فهو أن تعجلوا بانتشالي من جحيم هذه الارض ، لعلى أجد رحمة وراحة في جحيم السماء !

♦ يا حضرات المستشارين ..

« تريدون رقيبتي ؟ خذوها .. فما عادت بالشئ الذي أحرص عليه ! »



♦ وفرغ الرجل من « دفاعه » ، فأجال بصره فينا برهة وقد سبغ وجهه في دمه .. ثم نكس رأسه ، وأطلق زفرة ارتياح ، كمن أسلم مصيره لقضاء الله والناس ! ..

وبعد لحظة اقترب منه رجل في ثياب « التمريض » ، فربت على كتفه مواسيا في رفق ، ثم قال له في صوت لا يخلو من

حنان : « تعال بنا جوه يا عصمت افندى ٠٠ الهوا بقي ساقع  
وبعدين تاخذ برد ! »

فالتفت أنا الى مرافقى الدكتور (٠٠٠) - طبيب أول مستشفي  
الامراض العقلية - أسأله حائرا : « وما نصيب هذه القصة من  
الواقع والخيال ؟ »

فأجابنى على الفور : « كلها صحيحة بحذافيرها ، ما عدا  
النهاية ٠٠ فعلى أثر وفاة وحيدة أصيب الرجل بلوثة في عقله  
هيأت له انه قد نفذ بالفعل أمنية عقله الباطن فقتل جارتة  
الارملة ! ٠٠ وحين دخل عليه خادمه في غرفة ابنه ، وجده جائما  
فوق وسادة سريره يمزقها بطعنات نصله الحاد وهو يزأر  
متشفيا ويصيح صيحات هستيرية !

ومنذ اقتيد الى هنا وهو يقف كل صباح وراء هذا السور  
- الذى يخاله سور قفص الاتهام - فيلقى دفاعه هذا ، مخاطبا  
قضاته الوهميين !٠٠

فهمست لنفسي ودمعة الاشفاق تطفر من عيني : « ليت قضاء  
الله يدركه ، فيرحمه ! »





.. اما هذه فكوميديا طريفة أبدع كاتبها في السخرية من اساليب «مجلس الأمن» في معالجة المشكلات التي تعرض عليه ، بالمطل ، والتسويق ، والتهرب من حسم الامور ، ودفن مطالب الدول «غير الصديقة» في الف كفن وكفن من المناقشات البيزنطية والمناورات الدبلوماسية الماكرة !.. ولعل لطف ما في القصة براعة الكاتب في تقليد اساليب كل دولة من الدول الكبرى في معاملاتها مع خصومها وحلفائها ، وعلى الاخص اساليب الدبلوماسية البريطانية التقليدية العتيقة ، المشبعة بروح التحفظ والمداينة وتخدير الاعصاب ! ومن الناحية الاخرى فقد صور الكاتب الصراع الخفي «والحرب الباردة» الناشبة بين دول الكتلتين الغربية والشرقية ، بقلم يقطر سخرية وتهكما لالعين ، حتى لتشبه بعض مواقف هذا الصراع مناوشات القط والغار !

فتعال معي نزور هذا «السيرك» الدولي ، لنشاهد نموذجا طريفا من امثلة الصراع البارد بين القط الامريكي ، والدب الروسي ، والشعلب البريطاني !

المكان : قاعة اجتماع مجلس الامن الدولي ..

الزمان : فبراير سنة ١٩٥٦ ..

الاشخاص : ممثلو كل من دول : الاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وبولندا ، وهولندا ، واستراليا ..

الرئيس : افتتح الجلسة (٥٩٩) من اجتماعات مجلس الامن ..

مندوب الاتحاد السوفيتي : (يعطس فجأة فيرفع اصبعه طالبا الاذن

بالكلام ، فيلمحه الرئيس ويأذن له ) : اريد الكلام في مسألة ذات صبغة

شخصية يا جناب الرئيس

♦ الرئيس : هل للمندوب أن يشرح وجهة نظره ؟  
 ♦ المندوب السوفييتي : اود أن ارجو الرئيس أن يتفضل باصدار امره الى الحاجب كي يفتح النافذة التي في اعلى المدخل الشرقي لقاعة الاجتماع .. فاني احس بتيار هواء بارد في ظهري !  
 ♦ الرئيس : اذا لم يكن هناك اعتراض من احد فان مطلب المندوب السوفييتي يجاب فوراً .. فهل عند احد مانع ؟  
 ♦ مندوب الولايات المتحدة : الواقع انه لم يتح لحكومتى الوقت الكافي لدراسة هذا الطلب المفاجيء من المندوب السوفييتي بما يستحق من عناية .. ومن ثم يؤسفني ان اقول اننى لا استطيع الموافقة عليه في الوقت الحاضر .. وان يكن من الطبيعى ان حكومتى ترغب رغبة صادقة في اعطاء هذه المسألة نصيباً من اهتمامها وعطفها ، وتكييف وجهة نظرها - اذا أمكن - وفق آراء المندوب السوفييتي . ولكن من سوء الحظ ان هذا الطلب بالذات يمس اخطر مشكلات الاجراءات والمبادئ التي يلتزمها هذا المجلس . فمثلاً لا يستطيع المجلس ان يتجاهل الحقيقة التي مؤداها أن طلب اغلاق النافذة انما هو - واؤكد لكم هذا بكل حزم وقوة - مطلب من جانب واحد بطبيعته ، فلو سمحنا باقترار مثل هذه الطلبات التي تتوقف على الارادة المنفردة فماذا يكون مصر الامم المتحدة ، وخاصة الصغيرة منها ؟ انها تصبح عرضة لنوع جديد من التحكم والاستبداد من جانب اية دولة بمحض ارادتها !  
 ثم .. كيف نقبل ونقر زعم المندوب السوفييتي بشأن تيار الهواء الذي يحسه ، باعتباره حقيقة ثابتة ، بناء على مجرد قوله بذلك ؟ أنا مثلاً لا احس باى تيار هواء !

(وهنا يعطس المندوب السوفييتي عطسة اخرى باللغة الروسية !)  
 ♦ مندوب الولايات المتحدة (وهو يستدير الى «مترجم» الوفد السوفييتي): ماذا يقول ؟

( وفى اثناء ذلك يطلب الرئيس من المترجمين والمفسرين ان يهتدوا الى الترجمة الدقيقة الفرنسية والانجليزية للنص الروسى .. ثم تستأنف المناقشة )  
 ♦ مندوب بريطانيا : سيدى الرئيس . اولاً اريد - اذا جاز لى ذلك - ان اقول انى اؤيد على طول الخط ما أعرب عنه زميلى مندوب الولايات المتحدة . فاننا لم نواجه من قبل مطلباً باغلاق النافذة كهذا الذى يفاجئنا

به الليلة مندوب الإسعاد السوفييتي .. ولا أظن انه يليق بنا ان نرضخ له دون ان نوليّه أكبر نصيب من الدراسة الدقيقة والتمحيص ، والا تكون قد نورطنا في سابقة خطيرة تشر لنا في المستقبل مناعب جمة .. لهذا أظن انه من الاوفق ان نتصرف بمزيد من الحكمة والتبصر فندرج المسألة في جدول اعمال دورة اخرى - في شهر يونيو أو يوليو مثلا ، حين يتحسن الطقس - فاذا سار كل شيء على ما يرام وتحسن الطقس فعلا يكون من الممكن انهاء المسألة نهاية مرضية للجميع !

♦ مندوب بولندا : اجدنى مضطرا ياسيدى الرئيس ، عند هذه النقطة بالذات ، الى القول بانى - باسم حكومتى - أحس انا ايضا بتيار هواء .. ثم يهمنى ان اضيف شيئا الى ذلك فالتفت نظر المجلس الى قصاصة أحملها معى من جريدة (النيويورك تيمس) الصادرة هذا الصباح ، وقد نشرت في الصفحة الاولى منها خلاصة النشرة الجوية التى أصدرها مكتب الولايات المتحدة للارصاد الجوية ، وفيما يلى نصها اقراه لكم بحذافيره : «بميل الطقس اليوم الى البرودة وتهب رياح شديدة .. الخ» بناء على هذا يرى الوفد البولندى ان المندوب السوفييتى حين طلب اغلاق النافذة انما التزم روح ميثاق الاطلاق ..

♦ مندوب استراليا : سيدى الرئيس . ان القضية المعروضة على المجلس الان هى اغلاق النافذة - للاسباب التى أبداها المندوب السوفييتى - أو عدم اغلاقها . وبفحص تلك الاسباب يبدو لى ان الموقف لم يبلغ حد النضج الكافى الذى يستطيع معه المجلس ان يبحث في اجابة اقتراح المندوب السوفييتى .. فنحن - كما أرى - لم نطلع على أية بيانات بصدد المسألة . كل ما لدينا منها قصاصة من إحدى الصحف وتقرير غير موثوق فيه . واحسب ان واجبنا الاول ان نتحرى صدق ودقة تلك البيانات . لهذا اقترح ان ينتدب المجلس لجنة تحقيق مزودة بتعليمات تكفل الوصول الى الحقيقة الكاملة في مدة لا تتجاوز اسبوعا . وفي اثناء ذلك يستطيع المجلس ان يتصل بمكتب الارصاد الجوية كى يحيط اللجنة علما بكافة التطورات التى قد تطرأ على الحالة ..

♦ المندوب السوفييتى : اتى في الواقع عاجز عن فهم سبب تردد اعضاء المجلس في الموافقة على الطلب القانونى المشروع الذى قيمته باسم حكومتى.

لقد صرحت بوضوح تام بانى اشعر بتيار هواء بارد في ظهري يستدعى انطلاق النافذة . وبما ان المجلس لا يريد اجابتي الى هذا المطلب المنطقي المقول ، ارانى مضطرا الى ان اقرر عجزى عن البقاء لحظة واحدة في قاعة المجلس ! ( وعلى اثر انتهاء الترجمين من نقل تصريح المندوب السوفييتى الى جميع اللغات ، يتسحب المندوب ومعاونوه من القاعة .. بينما يظل مندوب بولندا جالسا في مكانه ، مكتفيا برفع ياقة «الجاكيت» على عنقه ! وبعد فترة قصيرة يعود الوفد السوفييتى بكامل أعضائه، بعد ان قاموا بجولة على الاقدام . ولا يكاد المندوب يجلس في مكانه حتى يرفع يده من جديد، فيأذن له الرئيسى بالكلام) :

♦ المندوب السوفييتى : منذ ان دارت مناقشتنا السابقة - ياسيدى الرئيس - تغير الموقف تغيرا كليا ، فان الشمس في الخارج مشرقة والطقس قد صار دافئا ، ومن ثم لم اعد اشكو من برودة تيار الهواء في ظهري . وواضح ان هذه الظروف تجعل من العقيم ان يفضى المجلس في مناقشة المسألة . وعلى هذا فانى اود ان اسحب طلبى الخاص باغلاق النافذة .

مندوب الولايات المتحدة : يسر حكومتى بالطبع ان تصلح ان المندوب السوفييتى لم يعد يحس بتيار الهواء . ولكن - من الناحية الاخرى - اجد من واجبى ان اقول انه ما دامت المسألة قد ادرجت في جدول الاعمال ، فيجب ان تبقى حتى ينتهى المجلس من بحثها . وفي رايى ان المحاولة الانفرادية من جانب المندوب السوفييتى يفرض سحب الموضوع من جدول أعمال المجلس ، هي محاولة تتنافى مع روح ميثاق الاطلنطى !

♦ مندوب بريطانيا : يبدو واضحا في نظرى - اذا جاز لى القول - ان المندوب السوفييتى قد ناقض نفسه . وفي ضوء هذه الحقيقة ذات المفزى ترى حكومتى ان المجلس يخون الامانة الموضوعة في عنقه اذا تخلى عن استكمال بحث المسألة . وانى امل ان تظل مدرجة في جدول الاعمال حتى فصل الصيف، حيث تفقد - كما قلت - اهميتها بحكم تحسن الطقس ..

♦ المندوب السوفييتى : يتبين لى من هذه المناقشات ما يشير في نفسى الشك فيما اذا كانت تصريحات بعض الاعضاء قد صدرت عن رغبة صادقة في إيجاد حل سلمى للمشكلة !! ففي الوقت الذى يتكشف فيه الموقف عن عدم

وجود تيار بارد ، يصير بعض الاعضاء على اثاره ضجة حول هذا الموضوع  
 • مندوب بولندا : انى ما ازال احس بتيار الهواء .. واعتقد انه آت  
 من ناحية الغرب !

• مندوب استراليا : هذه مسألة نستدعى تاليف لجنة من الخبراء تتولى  
 بحثها ، فنحن ما زلنا محوطين بمعميات حول حقيقة الامر ، ولى حاجة الى  
 معلومات وبيانات رسمية فى هذا الشأن . اننا ..  
 ( وعند هذا يدق جرس «الطابق» منبها عن اشتعال حريق فى البناء المجاور ،  
 فينفص اجتماع مجلس الامن ويخرج المندوبون والنظارة فى نظام ! )

### دبلوماسية !

◆ على اثر انتصار اليابان فى حربها ضد روسيا سنة ١٩٠٥ ، زاد  
 الاميرال «توجو» قائد الاسطول اليابانى الظافر - الولايات المتحدة  
 الامريكية زيارة شبه رسمية ، استقبل فيها بحفاوة بالغة . واثناء  
 تلك الزيارة اقامت له الحكومة الامريكية مائدة عشاء رسمية ، عهد  
 فيها الى وزير الخارجية وقتئذ - وليم جينجز برايان - ان يدعو  
 الحاضرين الى شرب نخب الضيف الكبير .  
 وكانت مشكلة !

للك ان وزير الخارجية المذكور كان من غلاة خصوم الخمر  
 ومحرميها ، فكيف اذن يشرب الشمبانيا ، بل ويدعو الجميع الى  
 شربها ؟

وخشى الكثيرون ان يؤدى الامر الى «الزمة» دبلوماسية بين  
 المولتين بسبب تزمى وزير الخارجية !.. وانتظر الجميع ماسوف  
 يحدث ، فى لهفة مشوبة بالقلق !.. فلما حانت اللحظة المناسبة نهض  
 الوزير فتناول قدح «الماء» الذى يخصه وقال وهو يرفعه امام الحاضرين:  
 «لقد احرز الاميرال توجو نصره الحاسم فى الماء (اشارة الى ان المعركة  
 كانت بحرية ! ) ، لذلك فلنشرب نخبه ماء !..»  
 وكان تخلصا غاية فى البراعة !

## عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب ، فى الاعداد السابقة من « كتابى » ، المسرحيات العالمية الآتية .. على التوالى : «خطايا الحب» لاوسكار وايلد .. ثم «الحب الأثم» او «سلطان الظلام» لتولستوى .. و«نزاهة الحكم» او «المفتش العام» لجوجول .. و«سلاح المرأة» لارستوفان .. و«فولبون» او «الشعلب» لـ «ابن جونسون» .. و«جيوكندا» لدانونزيو .. و«كلام الناس» لجوزيه اشيجاراي و«مدرسة الفضائح» لشريدان ، ثم «سرانو دى برجرالك» لادمون روستان واليوم اقدم لك فيما يلى هذه المسرحية العاطفية التاريخية المصرية والعريقة فى وقت معا ! فهى عصرية بالنسبة لمؤلفها ، قديمة بالنسبة لجوها وحوادثها ..

— وفى الاعداد القادمة تقرأ معى باذن الله المسرحيات العالمية الآتية : اوسكار وايلد : «مروحة اللىدى وندرمي» جون درنكواتر (ابراهيم لنگولن) — برنارد شو : «بيجماليون» — مكسيم جوركى : «الصعاليك» — تشيكوف : «الشقيقات الثلاث» — سابسن : «مهزلة الحب» — هوجو : «هرنانى» — مولير : «مدرسة الزوجات ، الرىض الموهوم ، البخيل» .. الخ — شكسبير : «عطيل ، هملت ، ماكبيث ، ترويض النمرة ، لاجر البندقية ، روميو وجوليت .. الخ» — سوفوكل : «اوديب الملك» .. الخ

عندما ترفع الستار ..



روائع المسرح العالمي (تمثيل .. وفناني)





# لعبة الحب والموت !

قصة تمثيلية كبرى

للكاتب الفرنسي المعاصر :

« رومان رولان »



## شخصيات الرواية

Jérôme de Courvoisier

جيروم دى كورفوازييه

Sophie de Courvoisier

صوفى دى كورفوازييه

Claude Vallée

كلود فاليه

Lazare Carnot

لازار كارنو

Denis Bayot

دنى بايو

Horace Bouchet

هوراس بوشيه

Lodoïska Cerizier

لودويسكا سيريزيه

Crapart

كراپار



زمان الرواية : آخر مارس سنة ١٧٩٤

مكان الرواية : باريس

### هذه الملحمة ..

.. عصر من الدم واللهب ، الدم فيه يضارع اللهب في حرارته وغليانه .. واللهب فيه أشبه بالدم في حيويته وسريانه !  
ذلك هو عصر الثورة الفرنسية الكبرى على ضفاف السين ، وقد أتت الثورة على أممائها ، واقتسلت في دم ملوكها وسادتها ، ثم التفتت بعد ذلك ظمآنة إلى دماء بنيها ، فراحت تلتهم قادتها واحدا بعد واحد !

ولن نفهم هذا العصر الحافل بالنفائض والانفعالات ، إلا إذا كشفنا نقاب الاحداث والاشلاء عن «قلوب» ابطل هذه الملحمة الاسطورية الهائلة ، لنرى فيها بواعث ذلك البركان ، وقد اختلط فيه الحب والكراهية .. وبسط الموت جناحيه السوداوين على هذين التوامين الجارين ، وألقى ظله الرهيب على ذلك البحر العاصف من الدم واللهيب !

وإذا كانت هذه المأساة المروعة التي تعصر القلوب ، وتجلو ذلك الصراع الدموي العجيب ، قد اتخذت لها عنوانا أشبه بالملهاة : «العبة» الحب والموت ! فما هي في الحقيقة باللعبة ، ولا بالملهاة .. اللهم إلا إذا فهمنا اللعبة بالمعنى الذي تمتزج فيه المخاطرة بالجنون ! وتصطرغ فيه شهوات الجسد بتوازع النفس وصرخات الضمير .. ! أو قل انه «رهان» عجيب مع القدر .. الراجح فيه والخاسر سيان : فالراجح فيه يعود بصفقة المفيون .. والخاسر فيه ظافر بأخوته، وإن خسر دنياه !

ولترفع الستار عن الرواية التي تكشف لنا كل هذه الافاق :

### — ١ —

◆ فعن في مفتتح هذه المأساة في بيت عالم فرنسا القذ ، رجل الطبيعة والكيمياء الخالد على العصور « جيروم دي كورفوازييه » ، وقد بلغ في هذه السنة ( سنة ١٧٩٤ ) الستين من عمره - بينما زوجته « صوفى » لم تتجاوز الخامسة والثلاثين! - وهذه حجرة « الصالون » الكبير تفضي الى الحديقة التي وافتها بشائر الربيع فكستها حلة جميلة فينانة من الخضرة المرصعة بالازهار ..

وعلى جدران القاعة لوحتان ، تمثل احدهما ربة الدار فى سن العشرين ، وقد رسمها المصور فى زى آلهة اليونان . وتمثل الاخرى رب البيت وقد انصرف الى عمله بكل جوارحه . . . وفوق المدفأة تمثال نصفى لفولتير وعلى شفتيه ابتسامته المشهورة التى تقطر سخرية مسمومة ! . . . وتحت صورة صوفى كورفوازييه « بيانو » ضخم أسود اللون . . . وفى جانب من الحجرة مكتب زوجها « جيروم كورفوازييه » زاخرا بالاوراق والكتب والاضابير .

**فلنغادر الحجرة الى الحديقة العتيقة ، حيث جنح قرص الشمس الارجوانى الى المغيب ، وقد اجتمع ضيوف ربة الدار فى حلقة كبيرة تحت أشجار الخوخ ، وراحوا يلهون ويرقصون كالاطفال ، احتفالا ببشائر الربيع . . .** حتى نال التعب من شيخ كان دخيلا على تلك المجموعة من الشباب هو « دنى بايو » ، فلهت وتلاحقت أنفاسه ، بحيث اضطرت ربة الدار الى أن تقوده من يده الى مقعد مريح فى الصالون . . . والتف سائر الجماعة حولهما يتذاكرون معا متاعب الحياة التى قفزت بهم جميعا فى الخمسة الاشهر الاخيرة سنوات ! . . . حتى جعلت من أنضرهم شبابا كهلا محطم النفس ، تداعبه مخالب الشيخوخة الباكرة ! .

**تذاكروا كيف كان خشب الوقود ينقصهم فى ذلك البرد القارس ، فيضطربهم الى البقاء بغير نار للتدفئة أسابيع متعاقبة . وكيف كان الخبز أشبه بقرص القمر المكتمل ، لا تكتحل به العين الا لما ، فيما ندر ! . . . وكيف كان بعضهم ينفقون سواد الليل كله وقوفا على قنطرة فى خارج باريس ، انتظارا لتوزيع بعض حفئات من نشارة الخشب ، المخلوطة بشئ من الدقيق !**

وهنا تساءلت ربة الدار « صوفى كورفوازييه » :

— بربكم أيهما أعتى وأشد وطأة : البرد أو الجوع ؟

فاذا الحاضرات من النساء يصرخن فى صوت واحد :

— البرد ! البرد ! البرد !

واذا فريق الرجال يصيح على العكس :

**- الجوع ! الجوع ! قاتل الله الجوع !..**

فتصيح بهم النساء مداعبات :

.. هكذا أنتم دائما : عبيد بطون !

لكن **صوفي** تحسم هذا الخلاف الطريف الذى أثارته ، قائلة :

« على رسلكم ! لا تختصموا ! فقد بلونا الامرين معا .. وقد

انتهى ذلك الشتاء النكد الآن ، فلننسه اذا كان الى تناسيه

سبيل ، ولنستقبل شعاع الشمس فى هذا الربيع بنفس راضية

قريرة بما نحظى به من متاع الحياة .. »

فيقول الشيخ « **دنى بايو** » : « ما أكرمك أيتها الصديقة

الكريمة حين دعوتنا لاهياء أول أيام هذا الربيع المشرق فى

بستانك ، حين تفتحت فيه أكام الزهر الباكر الجميل . فانها

لبشرى أى بشرى بعد ذلك الشتاء القاسى الطويل .. »

**صوفي** : وهل كان فى وسعى أن أحفظ بنشوة هذه الازهار

لنفسى ، أخصها بها من دونكم ؟ انا لفى زمن ندرت فيه المباحج

فما أحرى رفقة الصفاء أن تنقاسم ما يسبح به الدهر من متاع

قليل ...

وحينئذ تنفجر « **كلوريس** » ، وهى فتاة فى السابعة عشرة

فقدت خطيبها فى الحرب ذلك الشتاء : « رباه ! لقد افتقدنا

السرور والضحك منذ زمن طويل .. ( **باكية** ) ولكن هل يجوز

لنا أن نضحك بعد الذى متينا به من فقد الاعزاء ؟ لقد فقدت

خطيبى ...

فتجيبها **لودويسكا** ، الارملة الشابة التى فقدت زوجها منذ

خمسة أشهر : « وأنا فقدت زوجى ... »

ويقول الشيخ **بايو** : « وأنا فقدت ولدى ... لقد فقدنا جميعا

من نحب ، ولكن الحياة أقوى من كل هذا !.. »

**.. أجل ، الحياة أقوى من كل هذا ، وأقوى من الموت**

نفسه !.. فهذه هي المجموعة الشابة تستجيب لدعوة صوفي حين تدعوهم الى الاستمتاع بجمال الحديقة ، وإلى اغراق الاحزان في كأس من خمر الطبيعة ذات السحر والعطر !..

◆ ولكن ، واهي لساعات الصفاء ! ما أقصرها ! فان رقص المستبشرين بالربيع لا يستمر هنيهة حتى ترتفع في الشارع ضجة وقرع طبول ! انها مظاهرة كبرى من مظاهرات الثورة التي تقوم عند كل نبأ جديد من أنباء الخارج أو الداخل .. ولا يلبث أن يمر بائع الصحف مناديا على بضاعته : « ملحق ! آخر الانباء ! موقعة خطيرة مع الاعداء .. » فيتوقف الرقص والغناء ، وتتطلع الاعين الى الصحيفة التي لا زال حبرها طريا : لقد عادت قوات ملوك أوروبا المتحالفين الى التجمع ، ولا بد للجمهورية الشابة من رد العدوان بالقوة ، والاستعداد لتلك المعركة بحشد الجهود وتجنيد الجنود !..

ها هو شيخ الموت يرفرف من جديد ، ليتخطف أرواحا أخرى شابة ! وهذي هي الارملة « لودويسكا » - التي جعلت تبسط شباكه حول الضابط الشاب « هوراس » لتملأ به فراغ فراشها البارد الذي خلفه زوجها منذ خمسة شهور ! - هذه هي تتشبث بعنق ذلك الضابط ، فيقول لها :

- انه نداء الواجب ..
- بل قل نداء الدمار والهلاك !
- انه داعي الوطن ..
- بل قل داعي الجبايرة الطغاة أعضاء اللجنة الوطنية العليا ، أولئك الضواري ! لا تذهب ! لا تتركني ...
- لا مناص !
- لا مناص ؟ كيف ؟ أترحل الآن ...
- كلا ! ولكنني أتوقع ان استدعى بعد شهر أو نحو ذلك ...
- شهر ؟ اذن وافرحته ! ان سعادة شهر ومئة أربعة أسابيع

**تعديل عندى الخلد الابدى ! فلنستمتع بهذا الشهر ، ولئن خسرنا  
الغد ، فحسبنا أن اليوم لنا ٠٠٠ الليلة اذن ايها الحبيب !**

وكانت اذن الفتاة « كلوريس » التى فقدت حبيبها تنصت  
لهذا الحوار ، فرمقت الارملة بنظرة حقد شديد ، وانفلتت من  
انحجرة غاضبة ، فلحق بها الشيخ بايو والضابط هوراس  
لاسترضائها، وخلت الحجرة الا من صوفى والارملة، التى قالت :

— ماذا ساءها منى ؟

— أنت تعلمين ماذا ساءها منك ٠٠٠

— انها تحسدنى ! ولكنى فخورة بسعادتى وأنايتى ، فخورة  
بما أثير من حسد ، فالحسد يزيد من متعة اللذة . وهل لا يحق  
لى أن أستمتع بعد الذى عانيت من شقاوة وترمل . آه يا زوجى  
العزیز ، كم شق على نفسى فقدانك !

— ومتى مات ؟

— منذ ستة شهور ، لا بل خمسة ٠٠ وكم بكيت « هكتور »  
يومئذ ، حتى لقد حسبتنى لن أحيا بعده ، وان كل شىء قد  
انتهى ٠٠ ولكن هيهات ! فها هى الحياة تبدأ من جديد ، وهما هى  
شجرتى تورق مع بشائر الربيع ٠٠ ولكن عزائى اننى أشعر أن  
هكتور يشساركنى فى قبره لذتى واستمتاعى بهوى الجديد  
ومناعمه ! كلا ! أرجوك يا صوفى ! لا تبتسمى هكذا ! لا تهزئى  
بى ، فانى أعلم علم اليقين ان الموتى لا يعسون ، ولكنى أعلل  
نفسى بالالوهام وأخدعها بالباطيل ! انه لا يحسن ان خيرا وان  
شرا ، فهل على مثلى بأس — وهى تحس الخير والشر ، واللذة  
والحرمان — أن تمتع نفسها وتدفع عنها الالم ؟ هل فى ذلك  
غضاضة ؟ وما دام يحببى ، فلماذا ينقص على لذتى فى هواى ؟  
ألسنت شابة ؟ وهل ذنبى انه مات ؟ ٠٠ ولكنى حية ، فلماذا ألزم  
نفسى آداب الموتى ؟ آه ! ما أطيب العيش ! ما أمتع الحياة !  
— هناك يا أختاه حياة وحياة ٠٠ والحياة عندك هى الحب !

— ولا حياة بغير حب ! أراك تبتسمين مرة أخرى يا صوفى ،  
أيتها الحكيمة الرزينة التى لا تخضع لما نخضع له نحن الفانيات  
من ضعف بشرى ! لقد عرفت كيف تعيشين بمنأى عن أعاصير  
الهوى الجامح والعواطف الهوجاء ، لاأذة بحب شبه « أبوى »  
فى كنف رجل يضارعك حكمة ورزانة وسكينة نفس ، تعلقت  
به منذ نعومة أظفارك تعلق اعجاب يقارب التقديس .. فحياتك  
سما صافية الاديم لا غيم فيها !..

— ولكن لا اخالك تستبدلينها بغيوم سمائك المتلبدة الاديم؟!  
— اتعنين حبنى لهوارس ؟ كلا ! انى راضية بما قسم لى من  
عيش ! انى أعجب بك يا صوفى ، وآتمنى أن أحيا حياتك ،  
ولكن ذلك مستحيل الا عليك ... فأنت نعم الصديق ، ونعم  
الخدين ، بل نعم الوحي الملهم والباعث المحرك لذلك الرجل  
العظيم ، الذى كان صفى فولتير فيما مضى ، وهو اليوم صفى  
« كارنو » ...

◆ وفى هذه اللحظة يدخل الشسيخ بايو ، وكلوريس ،  
وهوراس ، ومعهم « ملحق » جديد لصحيفه ، يمدونه الى صوفى ،  
فتعرض عنه ضيقة الصدر بهذه الملاحق التى لا تحمل الا أنباء  
الكوارث والفظائع ، فتتناوله الارملة الطروب لودويسكا  
وتتصفحها :

- وى ! ما هذا ! انه فظيع ...
- ماذا ؟
- بيتيون ، بيزو ، وفاليه ...
- فاليه !...

وتنهض صوفى من مقعدها ، وقد خرجت من شفتيها حروف  
ذلك الاسم أشبه ما تكون بالصرخة ! ولكن لا ينتبه لتغير حالها  
أحد من الحاضرين ، لانهم مشغولون بالنظر فى الصحيفة من  
حول لودويسكا ... وهذه كلوريس تقرأ : « بالقرب من بوردو ،



عمر على جثث ثلاثتهم وقد التهمت الذئاب ١٠٠ !  
 ومرة أخرى لا يلتفت أحد الى صوفى التى ترتدى على مقعدها  
 دون كلام أو حراك، وتغطى وجهها بيديها ٠٠٠ فى حين يستأنف  
 هوراسى قراءة بقية الخبر : « لقد كانوا طريدى القانون منذ  
 شهر ، بعد أن أهدرت اللجنة العليا دمهم ، وأخيرا عثروا عليهم  
 فى مقارة مهجورة ، وقد بقرت بطن « بتيون » وخرجت منها  
 أحشأؤه ٠٠٠ »

— بتيون ؟ ملك باريس غير المتوج ، وعمدتها ، ورئيس الجمعية  
 الاهلية المدلل ؟

— « أما الآخر فقد وجد وجهه منهوشا ، وقد التهمت الذئاب  
 أنفه ، وشفثته ، فظنوه أول الامر بيزو ، ولكن الاوراق التى يحملها  
 تقطع بأنه ( فاليه ) ٠٠ »  
 — يا للمسكين !

— لا تجزعوا ، فقد رحمتهم تلك الذئاب من حد المقصلة الذى  
 أودى فى الاسبوع الماضى بصسديقيهم الحميمين « باربارو »  
 و « جوديه » ! يا للثورة الرعناء ! لقد خدعت جميع الناس ،  
 وغررت بهم ٠٠٠ لقد ظنوا حين ثاروا أنهم أقوياء ، ولكن ثودتهم  
 كشفت عن ضعفهم ، وتخبطهم ، واسفافهم الوضيع !

كانت هذه كلمات الشيخ « دنى بايو » الذى فقد وحيدته فى  
 هذه الثورة . وقد تلقاها الجميع فى صمت عميق .

وأخيرا ٠٠٠ كشفت صوفى عن وجهها الذى كانت تغطيه  
 يداها ، وجلست جامدة الطرف تحديق أمامها ، منطوية على انفعال  
 كظيم ، وعلى شفثتها ابتسامة باردة كالثلج !

**كلوريس** : يا لفاليه المسكين ! انه لم يجاوز الثلاثين !  
**لودويسكا** : لقد رقصت معه فى الربيع الفائت ٠٠ وكان من  
 أصدقائك يا صوفى ٠٠ والحق انه كان راقصا ممتازا ساحرا ٠٠  
**كلوريس** : ومنشدا خلافا للشعر الرفيع ٠٠

صوفي ( في شروود ) : أجل ، اني هادئة هدوء الاغوار ،

أغوار بحر من الألم ليس له قرار !

لودويسكا : صوفى !

صوفى : ( تلوذ بالصمت ! )

لودويسكا : ماذا تقولين ؟

صوفى : ( ممعنة فى الصمت والشرود ! )

لودويسكا : ماذا قلت يربك ؟

صوفى : ( لا تجيب ، ولا تتحرك ، فتميل لودويسكا فوقها ،

ولا تلبث أن تصيح ) :

لودويسكا : عزيزتى ! .. أتبيكين ؟

( فتضع صوفى يدها على قمها ، مشيرة الى لودويسكا

بالصمت ، ثم تبحث عن منديلها لتمسح دموعها ، فتمسح لها

لودويسكا دموعها بمنديلها )

لودويسكا : أحزان وأشجان ، وما يرى الناظر فيك الا صورة

السعادة والهناء ؟ لقد ملكت كل شيء : الحب ، والسمعة ،

والنفوذ ، والايمان بهذه الثورة التى شارك زوجك فى تأجيج

لظاها ...

صوفى : بل لا شيء من هذا لدى !

لودويسكا : كلا . كلا . لا أصدقك !

( تشير اليها صوفى أن تصمت ، لان دنى بايو قد اقترب منهما )

دنى بايو : ألم يقترب موعد اياب جيروم من الجمعية الوطنية ؟

صوفى ( وقد استعادت صوتها المألوف ) : لا يمكن التكهن

بموعد انتهاء الجلسة . فكم من مرة لبثت أنتظره طول الليل ،

حتى مطلع الفجر .. ( تسمع فى هذه اللحظة دقات موسيقى

عسكرية فى الشارع )

كلوريس : ما هذا ؟

صوفى : موكب المسوقين الى المفضلة . فانه يمر الآن من هنا .

♦ ( يسرع الجميع الى الحديقة لرؤية ذلك الموكب ، وتبقى

**صوفى ولودويسكا وحدهما )**

**لودويسكا :** لا أصدق يا صوفى ما قلته منذ قليل ...

**صوفى :** دعى هذا الحديث ..

**لودويسكا :** لا توحدى قلبك دونى . صارحيني : هل غشيت

سماء حبكما غاشية ؟

**صوفى :** حبى ؟ ان احدا لم يحبني قط ! لقد وهبت شبابى ،

وأمالى ، ورغبتى فى بذل النفس ، لرجل احترمته - ولا زلت

احترمه وأعجب به - فماذا صنع بكل ذلك ؟ لقد ضحى بى فى

سبيل عقيدته ...

**لودويسكا :** أليست هى أيضا عقيدتك ؟

**صوفى :** وماذا يعنينى من عقيدته ( مستغرقة ) بل عقيدتهما؟

لقد أحببتها واعتنقتها لانهما آمنا بها ، فأحبتهما فيها . فماذا

فعلت بهما وبى ؟

**لودويسكا ( غير فاهمة ) :** هما ؟ من هما ؟

**صوفى :** انى أكره هذه العقيدة التى تفسد علينا الحياة !

انها تفسد الناس فيقبلون عليها ويفرقون فيها كما تستفرقهم

الرذائل . أما الحياة فبسيطة ، هينة ، قريبة التناول ، لولا

هذه الاوهام التى نسميها المبادئ .. والتى تفسد علينا مذاق

كل شئ .. لقد أفسدتهما هذه الاوهام فضحيا بى أنا أيضا ..

**لودويسكا :** ولكن من هما ؟ زوجك ؟ ..

**صوفى :** كلا ... لقد سمعت الآن قصة هؤلاء المهدرين ..

**لودويسكا ( وقد وضت الحقيقة فى ذهنهما فصرخت ) :**

فاليه ! انه فاليه .. ( تتناول يدى صوفى فى يديها ولا تطلقهما

بل تلح عليها بصوت خفيض ) : انه فاليه ! خبرينى يا صوفى ..

أليس هو فاليه ؟

**صوفى ( مشيحة بوجهها ) :** بالله لا تزيدى جراح قلبى بترديد

اسمه ! ..

**لودويسكا ( تطلق يدي صوفى ) :** عفوك يا عزيزتى .. لقد عذبتك منذ قليل ونحن لا ندرى !

**صوفى :** لقد أحببته وأحببني . وكان كل حياتي . وكنت كل حياته .. أو هكذا ظننت ، فان ذلك لم يكن صحيحا ، لانه تركنى ومضى ليموت تلك الميتة الشنيعة فى سبيل هذه العقيدة المشنومة . ولكن لا جناح عليه ! فأننى أنا أيضا ضحيت به فى سبيل عقيدة أخرى .. ( بحقد ) فى سبيل ما يسمونه الشرف والعفة والوفاء الزوجي !

**لودويسكا :** صارحيتى يا صوفى . ألم تكونا خليلين ؟  
**صوفى :** كلا ! وهذا ما يحز اليوم فى نفسى ! ولكم توسل الى ، ولكم ألح قلبى على كي أستجيب .. ولكنى أبيت ، اعتصمت بما يسمونه الفضيلة ، ذلك الصنم الاعمى الذى ضحيت على مذبحه بكل حياتى ، وكل ما له قيمة فيها .. والآن ، وقد فات الاوان ، ضاع كل شئ ، .. فندمت ولات ساعة مندم !

◆ **وعلى حين** غرة يفتح الباب المفضى الى السلم .. ويدخل منه شاب غريب ، هزيل ، فى ملابس اليعاقبة ، ملطخ الثياب بالالواح ، أشعث الشعر ، مهلهل الثوب ، زرى الهياة ، وحشى النظرات ، وكأنه فريسة تتعقبها كلاب الصيد !

وما أن دخل حتى أغلق الباب ووقف وظهره اليه . ولم تره صوفى أو لودويسكا لان ظهرهما كان الى جهة الباب ، ولكن رآه الثلاثة الآخرون . بيد ان المباغثة سمرتهم فى مكانهم والجمت ألسنتهم ، فساد الصمت لحظة ، عميقا كالموت ! ولفت ذلك الصمت المفاجئ نظر صوفى ولودويسكا ، فاتجهتا مستطلعتين الى بقية المجموعة . وهنا فقط طالعت صوفى فى مرآة المدفأة الكبرى صورة « الغريب » الواقف بالباب ! فنهضت وقد ندت عنها صرخة ، ضاعت فى الضجة العامة التى صدرت عن :

**دنى وهوواس وكلوديس ( فى صوت واحد ) :** قاله !!

فاتجه « فاليه » الى ثلاثتهم  
وصسافحهم بحرارة ، وبصوت  
أجش ، ثم تلفت يبحث عن ذلك  
الوجه الذى لم يره بعد ...  
فلما رآها ، تلاشى الجميع من  
أمام ناظريه !

وكانت صوفى واقفة الى جوار  
البيانو الكبير ، شاحبة الوجه ،  
وقد اتسعت حدقتها دهشة ،  
وخوفاً ، وفرحاً .. فاتجه نحوها  
فاتحا ذراعيه ، قالقت بنفسها  
فى أحضانها !



فاليه : صوفى !

صوفى : أنت حى ؟!

فيلقى بنفسه عند قدميها ويحتضن ساقيها ، ويقبل ركبتيها  
من تحت ثوبها .. فقدميها .. ثم يركع ويقلب وجهه وعينييه  
وجبهته متمسحاً بجسم حبيبته ، وهى لا تتمنع ، بل تداعب  
شعره بأناملها وتتحنس وجه الحبيب العائد !!

صوفى : قم أيها العزيز .. انك خائر ، فاجلس فى هذا  
المقعد .. هنا ...

ويجلسان متجاورين ، بينما يتسلل الاربعة الآخرون خارجين  
.. حتى اذا تنبهت لذهابهم وأظهرت دهشتها ، قال لها فاليه :  
— ألا تعلمين اننى شخص خطر على كل من يرانى ؟ ان دى  
مهدر ، فمن رآنى ولم يقتلنى أو يبلغ السلطات عن أمرى كان  
من الهالكين ! .. لقد مضت على خمسة أشهر أطرق مع رفيقى كل  
باب فلا يفتح لنا .. وكم من ليلة باردة — تفتحت فيها ميازيب  
السماء وانهمر المطر كأفواه القرب ! — لجأنا فيها الى باب صديق

كريم . لى عليه أياد كثيرة بيضاء ، طالبين منه المأوى لساعة واحدة ، ولقمة خبز جافة ، وكوب ماء .. فلم يفتح لنا ، بل هددنا بالقتل اذا لم ننصرف .. أو يقتل نفسه ! .. ترى ، ألا تطرديننى أنت أيضا ؟

— يا للعزيز المسكين ! اشرب هذا القدح من القهوة . فما أشد اعياءك .....

◆ **وتنقضى** لحظات ، يسرب فيها ويقضم الخبز ، وهى نرعاه كالام الجنون .. حتى اذا أكل وشرب تناول يدها فقبلها .. وهى مستسلمة باسمه فى حزن وحنان .. ثم تضع يدها على رأسه وتسأله .

— ولكن كيف استطعت الوصول الى هنا ؟

— تعالى أولا واجلسى أمامى حتى أراك عن قرب .. رباه انها هى .. هى حقا .. وليست ذلك الخيال الذى طالما تراءى لى طفلة هذه الشهور ... هذه يدها حقا فى يدي .. !  
**صوفى :** خبرنى الآن كيف نجوت ؟

**فاليه :** لقد قاومنا الجوع والبرد وخطر القتل ، وسبقنا طريقنا المحفوف بالاعطار حتى أشرفنا على الحدود المؤدية الى بر الامان ، وهناك تخففت من كل ما ينقلنى من الزاد واللباس ، وقلت لرفيقي : اذهبوا أنتم الى الحرية والسلام .. أما أنا فعائد الى باريس ! .. لقد اتهماني بالجنون ، ولكنى لم أكن أرى لى مناصا من ذلك ، لان غاييتى لم تكن هي الحياة ، بل أن أراك !  
**صوفى :** أنا ؟

**فاليه :** أنت ! أنت حبي .. أنت كل حياتى ! وقد علمت ذلك علم اليقين ، فلا موضع للتمويه بيننا — ذلك التمويه الاجتماعى ! — فليس هنا الآن الا نحن : أنت وأنا .. لقد سرت الآن فى طرقات باريس لا أرى شيئا مما يحدث بى من الخطر ، لان خيالك كان يتراءى لى كعمود من النور يجذبني نحوه على الدوام ! لقد كنت

كوكب الصبح في ليل مسراى .. وكنت موقنا ان الموت ينتظرني في باريس ، وأن النجاة انما هي في عبوري الحدود . ولكني لم أشعر مع ذلك بغير أمنية واحدة : أن أراك ثم أنتهى الى الابد ! .. وقد حماني ايماني بك من الاخطار ، وأعمى عني الابصار . كنت أحس أن أنفاس الموت تتعقبني ، ورائحته الرطبة تهب على من مواطىء قدمي ! .. وأحسست أن العاشق النبيل يجدر به أن يجنب حبيبته ذلك البلاء ، لا أن يدنيه منها .. ولكن حبي اياك كان أقوى من خوفي على حياتي ، ومن خوفي على حياتك .. فاستوى عندي فقدى وفقدانك ، في سبيل أن أراك !

**صوفى :** وبعد ؟ ماذا ينتظرك من مصير بعد ذلك ؟

**قاله :** لم أفكر في هذا من قبل ! ( تنهض وتسند ظهرها الى البيانو ، ريثما تسيطر على انفعالها الشائر ، ثم تقول ) :

**صوفى :** يا صديقي العزيز .. كم أشكرك !

**قاله ( غاضبا ) :** تشكرينني ؟ ما بي الى شكرك حاجة !

**صوفى :** انى أرعد خوفا عليك فى هذا البلد ، فى هذا البيت المطروق ...

**قاله :** لا يهمنى الآن ماذا يكون من أمرى ..

**صوفى :** ولكنه يهمنى أنا ! يجب أن تهرب وتجتاز الحدود ، وتعيش لوطنك وايمانك

**قاله :** ما بي حاجة الى هذين ، فحاجتى كلها اليك أنت ! .. ولا قدرة لانسان على الهرب بغير ايمان يربطه بالحياة .. وقد كنت أنت هذا الايمان وأنا قادم الى هنا . فماذا سيكون دافعى وسندى وعتادى وأنا أبعد عنك بكل خطوة أخطوها ؟

**صوفى :** يكون دافعك أنا ! حبي لك ! وشعورك بأننى لن أقوى على الحياة اذا لم تكن أنت على قيد الحياة !

**قاله ( منتشيا ) :** أنت تحبيننى اذن ! أنت تحبيننى !

**صوفى ( مستركة ) :** أنت تعلم ... فلماذا حملتنى على البرح به !



فاليه : بل قوله - أعيد يد على سمعي .

صوفي : أحبك !

( يتعانقان في حرارة وهيام )

فاليه : شفتيك ! هات شفتيك ! فما أظمانى الى وردهما

المستطاب ... كلا ! لا تبتعدى عنى .. ولا تنفري من قذارة  
نيابى وسوء حالى ...

صوفي : اننى أحبك . وأحب سوء حالك ... بل أحب

براب يديك وأحوال نعليك ! ( وتنحنى فتقبل ثيابه الموحلة  
ويديه القذرتين ) !!

فاليه : آه ! ألا ما أجمل الحياة ! الآن طاب لى العيش واشتهته

نفسى ! اسمعى ! هينى لى جواز سفر مزور ، وثيابا أتكر فيها ،  
وعندئذ أستطيع أن أركب العربى العامة الى « دول » . ومن هناك  
أسير على قدمى الى الحدود .. وأنتظر أسبوعا فى مخبأ أدبره  
لنفسى ، ريثما تغادرين باريس بعد سبعة أيام للحاق بى هناك ..  
ثم نجتاز الحدود معا الى الحرية ، والحياة ، والسعادة ..

صوفي : أنا ؟

فاليه : الست تجبينتى ؟ الست لى ؟

صوفي : لا أستطيع ...

فاليه : وماذا يمنعك ؟

صوفي : واجبى ..

فاليه : الواجب ! يا لها من كلمة ! انها سلاح النفاق ، وتعله

من ينكل بأعدائه ومنافسيه ، ومبرر الهمجية والقسوة والعذاب  
... انها اكذوبة وهم ! انها قناع زائف للمقبح والشر ...

أما الحقيقة السافرة فهى أنا وأنت !

صوفي : وزوجى ؟ ذلك الشيخ الذى يحبنى ويثق بى ؟

اننى أحرم اذا هجرته !

**فاليه :** بل أكرمت حين تزوجته ! لقد أعطيته فوق الكفاية ، ولقد أكرم حين قبل منك شبابك أيتها الغريرة .. فلا تحمل همه ، لانه سيتعزى عنك بعلمه ، ومجده ، وكبريائه ، وصداقته للطفاة ! فلست فى حياته الا ثمرة من ثمرات ، ثمرة لم يعد يستطيع قطفها الآن !

**صوفى :** لو نكثت عهدي له لاحتقرت نفسى ....  
**فاليه :** ليكن . فما قيمة الاحتقار فى موقف كهذا ؟ لقد تحطم من حولنا كل ما تمثله الحياة الاجتماعية من ضمانات وحماية ، ولم يبق لنا الا حينا . انه ككوكب الصبح فى ليلنا الحالكة السواد .... فهل تقفلين دونه عينيك ؟

**صوفى :** ما أشوقنى الى النور !

**فاليه :** قولى ! هل تتبعيننى ؟

◆ فتدير نحوه وجهها وقد أشرق بالحب والهيام ، وتفتح فمها لتجيبه بالايجاب .. لكنها تسمع صوتا ، فتدفعه الى داخل حجرة النوم وتغلق عليه الباب !..

ويدخل جيروم من الباب ، فلا يرى صوفى لاول وهلة لانها واقفة عند باب المخدع ، فيتجه الى مكتبه فى يسار القاعة ، عارى الرأس ، وقد تشعث شعره الاشيب ، واضطربت عقدة رباط عنقه .. ودلت هيأته العامة على الاضطراب والحيرة .. ثم يرتقى فوق مقعد أمام المكتب ، ويضع رأسه بين كفيه ، ويغطفى عينيه بيديه ....

**صوفى :** جيروم ....

**جيروم :** .....

**صوفى :** ماذا بك ؟ ( وتضع يدها على عاتقه فيرفع اليها وجهه .. ثم يطرق ثانية ! )

**صوفى :** ماذا أصابك حتى تزعزعت قواك على هذا النحو ؟ من أين أتيت ؟

**جيروم :** من الجمعية الوطنية ..

**صوفى :** هل انتهت الجلسة ؟

**جيروم :** كلا . ولكنى لم أطق الانتظار حتى نهايتها !

**صوفى :** وماذا حدث فيها حتى جزعت الى هذا الحد . انك تعرف طبائع هؤلاء الناس ...

**جيروم :** انهم لم يعودوا بشرا .. انهم قطع من السائمة الغلاظ الاكباد . قطع من الكلاب المسعورة المنعطشة الى الدماء . انهم ذئاب وضباع وبنات آوى تصول وتزأر وسط قاعة المجلس الخاوية التى ذهب أكثر أعضائها ضحية هؤلاء الوحوش .. ومن بقي منهم زحفوا على بطونهم فى مذلة لبلتمسوا من جزاريهم هبة الحياة !

**صوفى :** خفف عنك ولا تنورن أعصابك . خبرنى ماذا حدث ..

**جيروم :** لقد سعد « سان جوست » المنبر ، واشرب عنقه ونفرت عروقه ، فتحاشت العيون نظراته ، وكل واحد يتساءل واجفا على من تراه سينقض هذه المرة ... رباه !

**صوفى :** وبعد ؟ ماذا فعل ؟ ماذا قال ؟ هل أهدر دما جديدا ؟ .. من ؟

**جيروم :** من ؟ لقد أتوا على جميع أعدائهم من أهل اليسار وأهل اليمين على السواء . فماذا بقى لهم ؟ بقى لهم أنفسهم . فبدأوا يتعاونون ويتناهبون ... وفى الساعة السادسة من صباح اليوم ألقوا القبض على ..

**صوفى :** على من ؟

**جيروم :** على دانتون !

**صوفى :** دانتون ؟ !

**جيروم :** لم تكن صديقين فى يوم من الايام ، فلم أكن أحب هذا الرجل العنيف الذى يرغى ويزبد كأنه طوفان من الوحل ! كنت أتقرز منه . ولكن من ذا الذى ينكر عليه مجده الثورى ، وعظمته الخطابية ، التى جعلت منه بحق روح الثورة المتجسد ؟ !

لقد بهت الجميع حين وصل الخبر الى الجمعية الوطنية ، لانه كان في نظرهم من مقدسات الثورة والشعب . وكم له من أفضال على أعضاء الجمعية في أوقات الضيق! .. ولكنهم اكتفوا بالهمس والسكوت ، فسكت كسكوتهم .. بيد أن أحد تابعيه تشجع ووقف خطيبا يطالب بإطلاق سراحه، واستجاب له بعض الاعضاء فتجاسروا على التصفيق ، وبدا ان الجمعية لن توافق على اعدام بطلها الكبير اذا استمر الخطيب في كلامه بضع دقائق! .. وفجأة دخل القاعة « روبسبير » ، فسادها صمت كصمت القبور، وقعت وسطه كلمات الخطيب الجسور كوقوع الحجر في هاوية لا قرار لها! .. فتلعثم ، واضطرب ، ثم غادر المنبر ، فصعده روبسبير من الجانب الآخر . ولم يعر خطبة ذلك النائب أدنى التفات ، بل اكتفى بقراءة قرار القاء القبض على دانتون بصوت رزين .. ثم تكلم كلاما غامضا عن « مؤامرة خطيرة » ضد الجمهورية وهنا المجلس بالخلاص من عضو فاسد خائن لقضية الوطن! .. وصفق المجلس بالاجماع مؤيدا القرار .. واذا بروبسبير لا يقنع الا بالاقتراع مناداة بالاسم ..

**صوفي :** وهل اقترعت ؟

**جيروم :** لقد اقترعوا جميعا ناشطين متسابقين . حتى ذلك الخطيب الذي حاول انقاذ أستاذة ، باعه بصوت عال متبرئا من ذنبه الذي أكد انه لم يكن يعرفه من قبل !

**صوفي :** وانت ؟ ماذا فعلت ؟

**جيروم :** حين نودي اسمي نهضت من مكاني ، وغسّادرت القاعة! فلما صرت في الشارع أصابني دوار، وترنحت، حتى كدت أقع ، لولا أن رأي عابر سبيل فصحبني الى مقهى شربت فيه كأسا ردت الى بعض قوتي .. وهانذا قد عدت ... وكم أود الآن لو رقدت على الارض ، وغصت في بطنها ، فلم أقم بعسد ذلك أبدا! .. فقد سئمت نفسي الناس ، ومجهم قلبي .. لقد

تحطم حلمي وايماني بالحرية ، فما خلق الانسان الا للعبودية والخسة والاسفاف الحيواني الذميم .. لقد أضعت في الاوهام عمري ...

**صوفي :** جيروم ! لا تبتئس يا زوجي العزيز واعلم ان ما تعانيه انما أعانيه معك . كلا . لست وحدك أيها العزيز ، فلا تحزن ، ولا تفقد ايمانك ، بل ايماننا معا ! وانما اصبر وثق ان العاقبة لنا ..

**جيروم :** ما أحلى ما تقولين ، وما أحسن وقعه على جراح نفسي الكلمة .. لقد رددت على ايماني بالحياة يا زوجتي . ما أسعدني بحبك !

( يظهر فاليه على عتبة الباب فلا يصبرانه ، وينظر الى تناجيهما الرقيق مغيظا غيرانا ، حتى اذا التفتا نحوه اختفى داخل الغرفة بسرعة قبل ان يرياه )

**صوفي :** انك عظيم وشجاع ، وستثمر جهودك يوما ما لتحرير هذا الشعب ، ان عاجلا أو آجلا ... فلا تقنط ، وثابر ، والتظر ...

**جيروم :** انني أشعر منذ شهرين انني مراقب . بل ان من بين أصدقائنا عيون تترصد حركاتي وأقوالى .. فكوني على حذر ، ولا سيما من الشيخ « دني بايو » ...

**صوفي :** يا الهى ! دني بايو ؟

**جيروم :** انه ينقل كل حرف وكل حركة !

**صوفي :** مستحيل . وما الدافع له على هذا ؟

**جيروم :** يشتري بذلك سلامته .. ثم ان الخسة تغدو في عهد الانحلال وباء يصيب الرجال بغير سبب ، وبلا ثمن ...

**صوفي :** لقد كان هنا اليوم .. ( يبدو عليها الجزع الشديد )

**جيروم :** وماذا تخشين من ذلك ؟

**صوفي :** لقد رأه داخلا ...

**جيروم :** رأه ؟ رأى من ؟

**صوفى :** رأى البذى أهذروا دمه ىءءل طالبا المأوى والملاذ...  
رأى فالىه !

**جىروم :** فالىه هنا ؟ فالىه حى ؟ لا أظنك رءءته خائبـا  
وأوءءت ءونه بابنا ..  
**صوفى :** بل هذا هو ...

♦ **ىءل فالىه ، وءءسء صوفى لءءرك للءللىن المءال ..**  
**فىءءءم جىروم نءو ضىفه مءءوء الءراءىن مرءبا فى**  
**ءماسه ، ىىء أن فالىه ىظل ءامءا فى مكانه لا ىءءرك .. وءىن**  
**ىهم جىروم بءقبىله ، ىشىء بوءهه وىءءء عنه !!**

**جىروم :** فالىه ! أىها الصءىق . ماذا بك ؟ ألا ءرىء أن ءضع  
ىءك فى ىءى ؟ أءشك فى ؟ ان ىءى ىىءك ، وانى لشاكرك  
انك ءءىءه لىكون ملاءك فى هذا الوقت .. وأءءذر الىك عن  
عءزى عن ءماىءك من أهءار ءمك . ولكنك ءعرف الظروف  
الءى نعىش فىها ، ولا ءنس انك وأصءقاءك أول من اسءن هذه  
السنة من الءءاءر والءروب الالهىة ...

**فالىه :** لءء أبىنا أن نهاءن الءىانة والءرىمة . ولكنى أرى  
غىرى ىهاءنهما مءاظة على ءىاته !

**جىروم (هسءاء) :** ءلك ان شىئا أعلى من ءىاءنا ىرءبط بها .  
هناك عملنا وقضىءنا وءورءنا الفءىة . ولا ىء من أن نضعى فى  
سبىلها بعواطفنا ...

**فالىه :** ما أهون الءضءىة بالعواطف على من لا عواطف لهم !  
فان هم الا كءلة من المنافع ...

**جىروم :** ما لنا ولهؤلاء ! انما ءءءء عمن ىعىشون لمباءءهم  
وأفكارهم ...

**فالىه :** هناك من ىموءون فى سبىل المباءىء ، كما ان هناك  
من ىعىشون منها وعلىها ...

**جىروم :** ماذا ءرىء أن ءقول ىا فالىه ؟ كانى بك ءعرض ىى  
وءهاءمنى ...

**فاليه : أجل !**

**جيروم :** ألا تستطيع فى هذه الساعة التى يهم بك فيها كل انسان فى باريس ، أن تعرف مبلغ ما أكنه لك من حب واخلاص حين أفتح لك ذراعى وبيتى ؟

**فاليه :** انى أكره المهادين للشر ، والمحاذرين ، والجبناء ... !

**جيروم :** أنا لا يوجه الى هذا الكلام ..

**فاليه :** بل اليك أوجهه ...

**جيروم :** ولكن اذا كنت تكرهنى الى هذا الحد ، فلماذا لجأت الى بيتى ؟

( لكن فاليه لا يجيبه ، بل ينقل نظراته الى الباب الذى يفتح وتدخل منه صوفى ، فترسم على ملامحه رقة وهيام .. ويلاحظ جيروم ذلك ... ولكن صوفى تصيح فى لهفة وجزع ) :

**صوفى :** لقد حضروا يا جيروم .. لقد هلك !

**جيروم ( شاردا مذهولا مما لاحظته ) :** من هم الذين حضروا ؟

**صوفى :** الشوارع محاصر ، والجنود يفتشون المنازل واحدا واحدا ... هيا انج بنفسك يا فاليه .

**جيروم :** الهرب مستحيل ، فالشوارع محاصر .. ولكن فى وسعنا أن نخبئه ..

**صوفى :** أرجوك . يجب أن ينجو .. ولو وجدوه هنا لهلك ..

**جيروم :** وهلكت أنت أيضا ...

**صوفى :** حياتى لا تهمنى اذا نجت حياته .. يجب أن يعيش . لا أريده أن يموت بأى ثمن !

**فاليه :** الآن لا يهمنى الموت ... فسوف نعيش معا ، أو نموت معاً !

**صوفى :** بل نعيش !

**فاليه :** اذن سنعيش !

◆ لقد نسيا الخطر ، ونسيا جيروم فى غمرة حماستهما

## لعبة الحب والموت

وفرحهما بحبهما الفتى .. وقد تشابكت يداهما، ونظراتهما! ..  
وتمضى لحظة صمت ثم يتكلم جيروم بفتور :

**جيروم :** الوقت ثمين وضيق . هيا يا صوفي خبثيه في الفجوة السرية وراء الفراش ، تلك الفجوة التي أحفظ فيها أوراقى السرية ، فانها تتسع لشخص يتمدد فيها .. هيا ... ولكن خذى له هذا القرص السام .. حتى اذا كشف الامر ، ولم يبق من الموت مقر ..؟! وخذى أنت أيضا يا صوفي هذا القرص ... خذيه ، فقد احتفظت لنفسى بنصيبى ... أسرعا ..!

**جيروم ( وحيدا ) :** انهما متحابان ! وهذا أعز الاصدقاء لا يتردد فى قتلى لو استطاع ليختلس منى زوجتى ! وهذه أكرم الزوجات وأوفاهن وقد تكشف نقاب الرياء عن تواطئها وإياه ! ولا شك أن قلبها ينطوى على تمنى الموت لى ، أنا الحائل دون سعادتهما فى هواهما الجامح .. وما بى من رغبة فى أن احتفظ قسرا بامرأة لا تحبني ولا تطلب قربى . بل ما بى من رغبة فى أن احتفظ بحياة هذا مبلغ حظى منها ، فهي حياة لا تستحق حتى الكراهية والحفيظة . بل لا تستحق الاحتقار ! لقد كان يمسكنى بالحياة خيط واحد ، وقد انقطع الآن هذا الخيط . فليكن الآن ما يكون .. فانى أترك هذه الحياة البشرية غير ناعم ، ولا أسف على فراقها ..! ( يتناول أوراقا من مكتبه فينثرها فوقه بشكل ظاهر ! ) حسبهم أن يعثروا بهذه الاوراق عند التفتيش كى يحكموا باعدامى !

◆ ويطرق الباب ، فيفتحه جيروم كورفوازيه لرئيس اللجنة الفرعية وجنوده . ويبدأ التفتيش فى كل مكان ، والرئيس العامى الامى السوفى يعتمد التحرش والنكاية بهذا العالم الغد ، لانه عالم ، ولانه قد ! ويعتمد اتلاف اللوحات الفنية والزخارف الثمينة ، لان الفن شئ ارستقراطى بفيض ! .. واخيرا يعثر على الاوراق ، وقد لفت جيروم نظره متعمدا إليها بحركة حذر



مفتعلة ، فيهلل فرحا بالنصر ، وبأنه قد ظفر برأس «كورفوازيه» الشهير بهذه الاوراق التى تهاجم لجنة الامن العام وتتهمها بالاستبداد !! وبهم بأن يقبض على جيروم من فوره ، لولا ان «كارنو» عضو لجنة الامن العام العليا يصل فى تلك اللحظة فيتهر القائمين بالتفتيش !!

كارنو : ارفعوا ايديكم عن هذا الرجل ... واحترموا اهل الفضل والاحترام !

الرئيس : اهنك امتيازات لاعداء الجمهورية ؟

كارنو : ان الجمهورية يا هذا مدينة لرأس هذا الرجل بما لا تدين به لالف من أمثالك ! ان مكتشفاته العلمية هى التى مكنت جيوشها من النصر بعد اليأس القاتل ... انه أجنحة النصر !

الرئيس : وأنا أكره النسور ... لانها تعلق عن الارض . وعن المستوى العام ... ونحن نطلب أن يكون الكل سواسية . ليسقط العلية ! وسأحتفظ بهذه الوثائق المرموقة ! ( ثم يخرج مع جنوده متذمرا ، ويبقى كارنو وصديقه كورفوازيه وحدهما ) كارنو : ماذا فى هذه الاوراق ؟

جيروم : وثيقة اتهامى ... اتهامى للطغاة ، ودليل اتهامهم لى بالتمرد على الطغيان ، أى بالخيانة والقدر ... فالطغيان الآن كنجوم السماء ، اذا رميناه بحجر ارتد علينا وحططنا ! كارنو : لقد سبقنى الاوغاد ، وكنت أحسب انى سأسبقهم . والوقت الآن ضيق . اسمع . لقد رتببت أمر نجاتك الى الحدود بجوازين مزورين أنت وامراتك ... فروبسبير لا يستطيع أن ينسى خدماتك للجمهورية ، وقد أغضى عن موقفك ووافق على تيسير هربك ، حتى لا يحتمل أمام التاريخ وزر دمك ، وأنت عالم الثورة الاكبر ... بل انه كان يود أن يحتفظ برأسك ذخيرة وطنية وكنزا لخدمة الجمهورية ، ولكن تصرفاتك زادت الامر

حرجا ، حتى لم يبق مناص : أما من تهريبك ، أو اعدامك ! ..  
الا اذا أعلنت صراحة موافقتك على القرارات الاخيرة للجمعية  
بالقضاء على المترددين والمعارضين ...

**جيروم :** الموت أحب الى من هذه الموافقة ... فلن أوافق - أنا  
نصير حقوق الانسان وحرية الفرد الشخصية - على عبودية  
الانسان للدولة !

**كارنو :** وهل نسيت انه لا حرية للفرد الا بسلطان الدولة  
وقوتها ؟

**جيروم :** ولا حرية كذلك للفرد اذا ابتلعت الدولة تلك الحرية  
والتهمتها ! ... ولا قيمة عندى لمجد الدولة اذا دفعنا فى سبيله  
أثمن ما فى الحياة ، وهو فضائل الشرف والمحبة والاخاء ! ان  
الدولة لا تقوم الا من أجل هذه الاشياء وحمايتها ، فكيف نجعلها  
تفترسها وتتغذى بها وتقف فوق جثتها ؟ لا كانت الدولة اذن  
اذا أهدرت روح العدالة وحرمتنا احترام أنفسنا وحرية ضماثرنا !  
وانى أسجل هذا الاحتجاج بدمى ، وأدفع ثمنه حياتى ...  
ولا أراها حينئذ قد ضاعت سدى .. ولا أسف الا على ما تركته  
دون تمام من أعمال وأبحاث علمية . فقد كان العلم وحده هو  
الصديق الوفى الذى لم يخيب أملى وحسن ظنى فيه ! ..

**كارنو :** اذن خذ هذين الجوازين ، واعلم اننى حجزت مكانين  
لكما فى العربة التى تسافر الى ديجون عند منتصف الليل ،  
لانى كنت واثقا مقدما من رفضك .. ففى نفسى مثل ما فى  
نفسك من مراة وتقزز ، ولكنى لا زلت أمل فى صلاح الاحوال  
يوما ما ! .. فلترحلا الليلة .. والافات الوقت ، فسيحضرون  
الى هنا عند الفجر للقبض عليكما ... وداعا !

◆ ويخرج ، بينما يظل جيروم دى كورفوآزيه جالسا الى  
مكتبه يفكر ، حتى يفتح باب حجرة النوم وتطل منسه صوفى  
فى حذر :

**صوفى :** هل انصرفوا ؟

**جيروم :** نعم . . .

**صوفى :** ولماذا أتى كارنو ؟

**جيروم :** لا وقت لدينا لتجاذب أطراف الحديث ، فالدقائق معدودة ، ويجب أن نقول ما لدينا قبل أن نخرج هذا الرجل الآخر من مكنه . . أنت تحبين هذا الرجل . لا تتكلمى . أنا أعرف كل شيء . ولست ألوّمك . فأنا أعرف عفتك وولاءك . وما دمت لم تستطعى المقاومة ، فلا بد أن أحدا غيرك ما كان ليستطيعها . . وأنا لا أطلب ما لا يستطيع . . .

**صوفى :** أنا أحبه حقا . فاغفر لى . . .

**جيروم :** اذهبى ، فأنت حرة ! . . ولست حائقا على أحد ، فليس الذنب ذنبى ، ولا ذنبك ، ولا ذنب أى إنسان . . . الذنب ذنب الحياة !

**صوفى :** ولكنك ستتعذب . .

**جيروم :** فى مثل سننى ، لا وقت لى كى أتعذب . فلا تفكرى الا فى نفسك وسعادتك . . اذا كان الى السعادة الحقّة من سبيل . .



◆ تنكىء الزوجة على المدفأة وهى واقفة ، وتتنجب ووجهها بين يديها . . فينحني الزوج التمس عليها فى حنان أبوى ويربت على رأسها حتى تهدأ . . وهو يرمقها باشفاق :

**صوفى :** لوددت أن أقيم على حبك وعهدك حتى الموت ، وأن

اشترى سعادتك بكتمان ما فى نفسى من عاطفة هوجاء ، بيد  
انها كانت أقوى منى فغلبتنى على أمرى ! لماذا تتغير القلوب  
ويختلف اتجاه الهوى ما بين عام وعام ؟ لماذا أحبك بكل ما هو  
سام نبيل ، وأحبه بكل ما هو عنيف قاهر فى تكوينى ؟ لماذا ؟  
لماذا ؟ ..

**جيروم :** لا عليك ! قانى رجل العلم والحياة . وقد عهدت  
الطبيعة لا تكثرث للعواطف ومبادئ الاخلاق .. فالذنب يا بنيتى  
ذنب الحياة . اسمعى . سترحلان هذه الليلة معسا ، بهذين  
الجوازين الرسميين باسمين مستعارين ، حتى تبلغا الحدود ..  
هيا معه ، انقضى حياته ، وهناءك .. هيا ولا تترددى ..

**صوفى :** كلا .. أنت نبيل وكريم .. ولكنى لا أستطيع  
فراقك فى هذا الظرف ..

**جيروم :** لقد فارقتنى بقلبك يا صوفى ، فلا عليك فى الحقيقة  
من بأسى ! ..

**صوفى :** وا حر قلباه ! وا عذاباه ! لقد منحتك الحب والوفاء  
حتى أمس ، فمالى اليوم أتركك بلا حب ولا وفاء ؟ وهل بقيت  
عندى قدرة على اقامة حياة جديدة ؟ وهل تواتينى الثقة فى الحياة  
بعد هذا الذى عانيت من قلبها فى قلبى ؟

**جيروم :** على رسلك ! وهونى عليك ! فالحياة التى تموت فى  
كل ليلة ، وتولد وتتجدد فى كل صباح ، قمينة أن تسكب فى  
قلبك النسيان ، وتجدد فى عودك أوراقا خضراء ، لا يقلقها انها  
نبئت مكان أوراق أخرى جفت وسقطت وذرتها رياح الخريف !  
.. هيا ولا تترددى ، فالوقت ثمين .. والدقائق معدودات !

**صوفى :** ولكن كيف حصلت على هذين الجوازين ؟ ..

**جيروم :** أعطانيهما كارنو ..

**صوفى :** آه ! لقد أعدهما لنا ، لك ولى .. أنت اذن فى خطر ؟

**جيروم :** لا خطر على الاطلاق . هيا ولا تضيعى الوقت ، كى

ننفدى من تحببى ...

**صوفى :** كلا ! لن أفارقك ، أو نذهب معا ! .. أنت فى خطر ، وأنت زوجى ، وصديقى ، وأبى ، وصفى أيامى ، ونجى أحلامى .. أحمل اسمك ، وأشادك حلوك ومرك ..

◆ **يظهر فاليه عند عتبة الباب مضطرب الثياب شاحب الوجه :**  
**فاليه :** هل ذهبوا ؟

**جيروم :** أجل ، ولكنهم سيعودون عند منتصف الليل ..  
اجلس قليلا فانى أريد أن أتحدث اليك . لقد أقنعت زوجتى بمغادرة باريس بعض الوقت لاسباب صحية ، ولن أستطيع مرافقتها لكثرة أعمالى هنا ، فهناك جواز سفرى وازحل معها الى بلدها بجوار الحدود ، ومن هناك تستطيع أن تجتاز الحدود الى الحرية والسلام ..

( يتناول فاليه الجواز ويتأمله مبهوتا معقود اللسان من فرط فرحته ! .. أما صوفى فتتناول جواز سفرها ، وبعد أن تنقل بصرها لحظة بين الرجلين .. تمزقه وتلقيه فى نار المدفأة ! .. )  
ثم تتجه نحو فاليه فتقول له بكل هدوء وسكينة نفس :

**صوفى :** لقد برح الخفاء أيها الصديق . ان زوجى يعرف سرنا ، وقد اعترفت له بالحقيقة ، فكان من الكرم بحيث رد على حرىتى كى أذهب معك . ولكنى وقد استرددت حرىتى منه ، قررت البقاء الى جواره بمحض اختيارى .. ( وتتجه الى زوجها فتهد اليه يدها ! )

**فاليه :** انك لم تحببى حبا حقا فى يوم من الايام !

**صوفى :** بل أحبك ، وسأحبك على الدوام .. ولكنى لن أكون العوبة هواى مهما طفى !  
**فاليه :** الحب والكبرياء لا يتلازمان .. أنت عبدة الكبرياء ، لا عابدة الحب !

**صوفى :** وهل كنت تحببى لو كنت مبتذلة منحتك نفسى

رخيصه ؟ هيا أيها الصديق ، أنج بنفسك ولا تغلت فرصة العمر .. أما أنا فقد أحرقت جوازي !  
**فاليه :** اذن سأبقى !  
**جيروم :** انه القبض الليلة ، والمحاكمة غدا ، والاعدام عند الغروب !

**فاليه :** رباه ! لا أريد أن أموت . كلا . انقذاني ...  
**جيروم :** هذا هو الطريق ..  
**فاليه ( يقف ولكنه يتردد ) :** يملؤنى الخزي من نفسى ..  
**صوفى ( تضع على كتفيه معطفا ، فى حنان الام ) :** لا عليك .  
 فاني أريد لك أن تعيش ، ويسرنى أن أراك تتعلق بالحياة !  
**فاليه :** أكرهها وأتعلق بها فى وقت معا ! ولكن ماذا حدث لى ؟  
 لقد تحدثت الموت كى آتى اليك . وهأنذا أفارقك اشفاقا من الموت ؟ ما أحقرنى ! ..  
**جيروم ( بحنان وعطف ) :** هون عليك . هذه هى الحياة .  
 والذنب ذنبها ، ولا ذنب لك ! ..

**( ينحنى فاليه فوق أنامل صوفى فيقبلها ، ثم يصافح يد كورفوازيه الممدودة اليه ، ويخرج بعد أن يقول لمنقذيه :**  
 « وداعا ! » )

◆ ويبقى الزوجان وحدهما ، هادئين فى وجه الموت ، وفى انتظاره ..

**جيروم :** ألسنت نادمة ؟  
**صوفى :** هل قضى علينا حقا ؟  
**جيروم :** لا مناص ...  
**صوفى :** اذن فلا بأس ، فقد انتهت دوامة الحياة : فلا رغبة ، ولا أمل ، ولا حرج ، ولا صراع ، ولا اختيار ، وانما الراحة الكبرى ! ..  
**( تضع رأسها على كتف زوجها الذى يحديق فى النار ساكن الاسارير )** .. يا زوجى النبيل العزيز .. يا من ضحيت بنفسك فى سبيلى ..

**جيروم :** ليس فى اسعاد من نحب تضحية يا صوفى ... ألا تذكرين أمسية كهذه ملئت فيها على أذنك وهمست فيها « اغفرى لى اننى أحببتك ؟ »  
**صوفى :** نعم أذكر .. والآن ، هل غفرت لى اننى نسيت ذلك يوما فى حياتى ؟

( فيقبل جبينها فى رقة وصفاء ويربت على كتفها الهشة )  
**جيروم :** أو لم أنس أنا أيضا واجبى فى الصراحة وشجاعة الرأى ؟ لقد هادنت الطغاة وسكت عنهم . والساكت عن الحق شيطان أخرس ... وها قد انتهى كل شئ ...  
**صوفى :** أجل ، والحمد لله انه انتهى ... فقد بلغ منى الكلال غايته ، واشتأقت نفسى أن تستريح ... بلا ندم ، ولا حقد .  
 ولا أسى ..

( الباب يدق ، ثم يفتح بعنف ، ويدخل منه الجنود ! )  
 ( ستار )

### من هو بطل القصة ؟

♦ اما وقد فرغت من قراءة ملحمة «رولان» الجبارة هذه فلعلك لاحظت انها تلقى فى روعك ان بطلها «جيروم كورفوازييه» شخصية حقيقية ، كان لها دورها فى الثورة الفرنسية الكبرى .. لكننا بالرجوع الى التاريخ لا نجد أثرا لشخص بهذا الاسم !  
 إذن فما هو مفتاح هذا اللغز ؟

أغلب ظنى ان المؤلف قصد باسم «كورفوازييه» ان يتستر على كرامة البطل الحقيقى الذى عناه بقصته ، والذى أرجح أنه «الافوازييه» ، العالم الكيمائى المشهور :

فاولا ، هناك تشابه لا شك فيه بين الاسمين !  
 وثانيا ، ان لافوازييه كان بالفعل عالما كيميائيا ذائع الصيت ، بل انه يعتبر مؤسس علم الكيمياء الحديث ، ومكتشف تركيب الهواء ووظيفة

الاوكسجين في التنفس ، وله أبحاث هامة في الحرارة وفيرها من أبواب علم الطبيعة .. الخ  
 وثالثا ، أنه أعدم بالقتل في الثورة الفرنسية بالفعل ، وفي عام ١٧٩٤  
 بالذات الذي تغيره المؤلف تاريخا لأعدام بطل قصته !  
 ورابعا ، أنه مات دون أن ينجب من زوجته نسلا - مثل «كورفوازييه»  
 بطل القصة !

وخامسا ، أنه أدى بدوره خدمات هائلة لوطنه ولدولاب الثورة ، بل  
 بوصل الى اكتشاف يزيد من قوة انفجار البارود بنسبة الثلث ، الأمر الذي  
 كان له فضل كبير في تغيير دفة القتال بين الانجليز وجيش الثورة يومئذ بحيث  
 قلب الاخرون فجأة ، بعد ان كانوا مغلوبين على أمرهم ...  
 وحين انقلبت الثورة على نفسها - كالقطة تاكل بنيها - قدم لافوازييه  
 للمحاكمة مع ٢٧ من زملائه الاحرار ، يوم ٢ مايو سنة ١٧٨٤ ، فحكم عليهم  
 جميعا بالموت .. ولم يلبث ان نفذ فيهم الحكم بعد يومين من ذلك التاريخ !  
 وقد علق أحدهم على اعدام لافوازييه بقوله : «ان الأمر لم يحوج الدولة  
 الا الى ثوان معدودات كي تفصل رأسه عن جسده .. لكنها قد تحتاج  
 الى قرن كامل من الزمان كي تجد رأسا آخر يعوضها عنه !»

## المؤلف

( ١٨٦٦ - ١٩٤٤ )

◆ والان ، احسبك ايها القارئ تريد ان تعرف نسينا عن مؤلف هذه  
 المسرحية الدامية ، الدامعة ؟! .. والحق اننى منذ بعيد المعنى ان أقدم لك  
 هذا الاديب الفرنسى الفحل ، الذى تصارع مكانته في الادب الفرنسى الحديث  
 مكانة «ستيفان زفايج» في الادب النمساوى و«تولستوى» في الادب الروسى  
 ... واذا كانت هذه المجالة المختصرة لا تفى «لرومان رولان» حقه أو بعض  
 حقه ، فحسبى - في انتظار فرصة أخرى أفسح وأرحب - ان أقدم اليك  
 اليوم حياته ومؤلفاته في سطور ..

ولد «رولان» في ٢٩ يناير سنة ١٨٦٦ ببلدة «كليمسي» بأقليم (نييفر) ،  
 ونلقى علومه الاولى في مسقط رأسه ، ثم أكملها في باريس ، حيث سطع نجمه  
 كطالب ممتاز . وفي المدة بين ١٨٨٩ و ١٨٩١ التحق بالفرنسة الفرنسية بروما  
 وفي سنة ١٨٩٥ عين مدرسا لتاريخ الفن في مدرسة «النورمال» العليا ، فمدرسا  
 في «السوربون» ، حيث أدخل لأول مرة دراسة «تاريخ الموسيقى» .. وفي تلك  
 الفترة كتب مؤلفاته الاولى في النقد والتاريخ ، ومنها : اصول المسرح الغنائي



الحديث ، «تاريخ الاوبرا في اوربا قبل لولى وسكارلاتى» (١٨٩٥) ، اسباب انحلال فن الرسم الايطالى ، مسرح الشعب (١٩٠١) ، دراسات في «ميليه» (١٩٠٢) ، بيتهوفن (١٩٠٣) ، ميكيل انجلو (١٩٠٦) ، ماسى الايمان ، سان لويى ، آيبر ، انتصار العقل (١٩١٢) . . على ان أعظم مؤلفاته قاطبة قصته المشهورة «جين كرىستوف» التى أصدرها في عشرة مجلدات في المدة بين سنة ١٩٠٤ - ١٩١٢ ، وهى تصور حياة موسيقى المانى ، وتنقسم الى ثلاث مراحل: «جين كرىستوف» ، و«جين كرىستوف في باريس» ، و«نهاية رحلة»

◆ وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى كان رومان رولان في سويسرا ، فنشر خطابا مفتوحا الى الرئيس هاوبتمان يعرب عن ذغره واستبشاعه لجريمة حرق «لوفان» ، فكسب بذلك عدااء الالمان . . كما كسب عدااء الفرنسيين انفسهم بسلسلة مقالاته السياسية التى نشرها في (جريدة جنيف) خلال سبتمبر واكتوبر سنة ١٩١٤ . ولكن برغم ان سمعته في وطنه قد تأثرت بسبب آرائه السياسية ، فانها ارتفعت وسمت في خارج فرنسا ، ولا سيما حين مثلت مجموعة مسرحياته التى تصور الثورة الفرنسية ، ومنها : دانتون ، ١٤ يوليو ، اللذاب ، ثم لعبة الحب والموت (التي قدمتها لك اليوم) وقد أحدثت جميعها هبة وحماسة هائلتين في برلين - ثم أعقبها بسيل اخر من المؤلفات الممتازة ، منها : كولا برونيون (١٩١٨) ، البشرى (١٩١٩) ، كليرامبو ، بير ولوى (١٩١٩) ، رحلة موسيقية في بلاد الماضى ، ليولى . وفى سنة ١٩٢٢ أصدر الجزء الاول من سلسلة «الروح المسلوقة للرب» التى منها : انيت وسيلفى (١٩٢٢) ، الصيف (١٩٢٤) ، الام والابن (١٩٢٧) ، بيتهوفن الخالق (١٩٢٩) . .

◆ وقد فاز «رومان رولان» بجائزة نوبل في الادب سنة ١٩١٥ ، وفى سنة ١٩٢٤ أصدر كتابه العظيم «المهاتما غاندى» الذى دافع فيه عن الزعيم الهندى دلاعا حماسيا حارا !

وبعد عشرين عاما من ذلك التاريخ مات رومان رولان في «فيليلاي» بفرنسا يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٤ . . بعد ان شهد ، بنشوب الحرب العالمية الثانية ، مصرع آماله النبيلة في سلام عالمى دائم ! وفى فرصة اخرى أرجو ان اقدم لك المزيد عن حياة رولان ، وأدبه ، وقصصه الإنسانية الزاخرة بالانفعالات . . والاحاسيس - العنيفة ، والمغفلة - ثم بالمثل العليا السامية . . والقيم الإنسانية الرفيعة . .

قصة قصيرة .

# الذئبة !

للروائي الإيطالي "جيوفاني فديرخا"



— ١ —

◆ كانت طويلة ، ونحيلة ، لكنها كانت ذات صدر ثابت مليء ، شأن السمراوات دائما — رغم انها لم تعد شابة !.. وكان وجهها شاحبا — كما لو كانت مربضة «بالملاريا» على الدوام ! — نطل منه عينان واسعتان فاحمتا السواد .. أما شفتاهما فكانتا حمراوين ، طازجتين دائما ، تبدوان في أى وقت وكأنهما تشتهيان أن تاكلاك .. !

وكان أهل القرية يسمونها «الذئبة» ، لأنها ما كانت تشبع قط من شيء.. . أما النساء فكان ينظرن كلما رأيتها مارة بهن ، وحيدة ، ككلبة ضارية تبحث عن صيد دسم ، وفي حركاتها الفاضية المريبة ما يذكر بالذئاب الجائعة .. فقد الفت أن تمتص ماء الحياة من أبنتهن وأزواجهن في طرفة عين ، بشفتيها القرمزيتين ! كان يكفى أن ترمقهم بنظرة من عينيها الكحيلتين الشريرتين كي ينطلقوا وراءها كالمسعودين ، ولو كانوا عاشرين لتوهم من صلاة حارة امام مذبح القديسة «اجريبينا» !.. وكان من حسن الحظ ان الذئبة لا تدخل الكنيسة قط ، لا في عيد القيامة ، ولا في عيد الميلاد .. لا لتسمع القداس ، ولا لتعترف !.. وفي المرة الوحيدة التي دخلتها فيها أضلت خادما تقيا من خدام الله ، ففقد سلامه الروحي وغوى بسببها !

◆ وكانت «ماريكا» المسكينة فتاة طيبة وظريفة ، لكنها كانت دائمة البكاء ، لأنها ابنة «الذئبة» ، وما من أحد يمكن ان يقدم على الزواج منها .. برغم قطعة الأرض الخصبة المشمسة التي تملكها في القرية !

وذاث يوم وقعت «الذئبة» في هوى فتى وسيم كان قد عاد لتوه من الخدمة العسكرية فاشتغل بالعصاد معها جنبا الى جنب في الحقل الذي

يملكه محامى القرية . كانا يقضيان النهار متجاورين يقتلعان المحصول ، فتدلهت الذئبة في حبه .. أحبته ذلك الحب الذى يشعره بان جسده يحترق تحت ثيابك ! الحب الذى تقاسى منه ، كلما التقت عيناك بعيني محبوبتك ، ذلك الظما الموجه الذى تقاسيه في ساعات يونيو القائظة وانت تعمل تحت الشمس المحرقة .. !



◆ لكن الفتى لم يابه لها ، بل ظل يتابع عمله الى جوارها وهو محتفظ بهدونه المألوف، فيما عدا بعض عبارات التجاهل القاسى التى كان يصدمها بها بين وقت وآخر حين يقول لها : « ماذا .. ماذا بك يا «مدام بينا» ؟ هل انت مريضة اليوم ؟ »

اما هى فلم تياس ! ظلت تاتى الى الحقل كل يوم ، فتنكب على جمع المحصول حزمة بعد حزمة ، تحت لهيب الشمس المتلظية ، دون أن تشكو من التعب .. بل دون أن ترفع ظهرها لحظة أو ترطب شفيتها بجرعة من زجاجة الماء ، كى لا تبعد وجهها قيد أنملة عن انفاس معشوقها «نانى» ، الذى لا ينفك يحصد ويحصد .. ويسألها من وقت لآخر : «ماذا ؟ ماذا تبغين يا مدام بينا ؟ » .. حتى كان مساء خلا لها فيه «الجو» ، حينما ابتعد الحصادون الى ظلة نائية استلقوا تحتها وراحوا في اغفائة من تأثير عناء النهار الطويل . وكانت الكلاب تنبح من بعيد في الحقول الممتدة المترامية .. فالتفتت الذئبة الى «نانى» وأجابته : «انت !.. اريدك انت !.. انك لجميل كضيء النهار ، حلو كالشهد .. اريدك انت يا فتى !»

فاجابها نانى ضاحكا : «لكننى افعل أن أحصل على فتاتك ذات الشباب الصبوح !» .. فرفعت الذئبة يديها الى رأسها ومزقت رباط شعرها ، دون أن تنطق بحرف .. ثم ذهبت ! ولم تعد الى الحقل منذ ذلك اليوم !

◆ ومضت اسابيع لم يقع فيها بصر الذئبة على «نانى» .. حتى بدا موسم عمر الزيتون في اكتوبر ، وكانت طاحونة العصر التى اشتغل الفتى فيها في ذلك الخريف قريبة من بيتها ، وصوتها الزعج يحرمها من النوم طيلة الليل ..

فالتفت اللبى الى ابنتها ذات صباح وقالت لها «احضرى آتية زيت الزيتون وتعالى مما نملؤها»

كان نانى حين دخلت عليه يقلف بالزيتون نحت حجر الرخى فى الغرفة المظلمة كالقبو ، ويصيح باليفل الذى يدير الحجر صياحه التقليدى، يستعته به على مواصلة الدوران .. فسأله مدام بينا : «هل تريد ابنتى ماريكيا؟» .. فاجابها متسائلا : «وماذا نعطيتها فى هذه الحال؟»

.. انها تملك ما خلعه لها والدها ، فوق انى ساهبها بيتى . وكفىنى ان تتركنا لى ركننا فى المطبخ انام فيه على فراش من القش .. !  
.. حسنا ، اذا كان الامر كذلك ففى وسعنا ان نتحدث بشانه قرب عيد الميلاد ..

لكن نانى كان ساعته اشعث الشعر منتسج الجسم والياب بالزيت ، فلم يحجب الفتاة .. فلما عادت مع امها الى البيت اعربت لها عن رفضها الزواج منه .. فما كان من اللبى الا ان أمسكت بابنتها من شعرها امام المدفاة وقالت لها وهى تصر على أسنانها فى لهجة التوعد : «اذا لم تتزوجيه فسوفلقى بك فى النار»

## - ٢ -

◆ وبعد الزواج ، كفت (اللبى) عن التجوال فى اوقات فراغها فى أنحاء القرية ، كالكلبة الجائمة .. ولم تعد تجلس فى نافذة بيتها ترمق المارة بنظرات المرأة التى تسكن جسدها الارواح الشريرة .. فاخذ أهل القرية يطلقون على هذا التبدل بقولهم ان الشيطان يصير راهبا حين يتقدم فى العمر .. بينما رجح آخرون انها لابد «مریضة» .. لكنها مع ذلك لم ترحم زوج ابنتها من نظراتها الجائمة ، التى كان الفتى يقاومها بضحكة ساخرة وهو يخرج صورة الطراء المعلقة حول رقبته ، كى يحتمى بها من الفتنة الصارية الاخذة بتلابيبه !

وكانت فسحته هذه تثيرها ، فتهرب الى الحقول كى تدفن همها فى أعمال الرجال : تزرع ، وتحصد ، وترعى الماشية ، وتجنى الكروم .. غير عابئة ببرد يناير القارس أو سموم الغسطنس الافريقية اللافحة .. وفى الوقت مابين الغروب والليل ، حين لا تخرج امرأة فاضلة الى الطرقات ، كانت مدام بينا

هى المخلوقة الوحيدة التى ترى جائلة فى صواحي القرية ، فى الحقول الوعرة  
أو فى الطرقات الملتهبة الاحجار من حرارة ما بعد الظهيرة .. فقد استألفت  
الذئبة سيرتها الاولى من التجوال فى الشوارع كالكلبة الجائعة !  
وذات مساء .. خرجت تسمى نحو حظيرة القنم التى كان الفتى يعرسها  
فى تلك الآونة .. فوجدته مضطجعا تحت ظلة من القش ولراءاه تحت رأسه ،  
فهمست له فى صوت مبجوح بالفعال الرغبة : «استيقظ .. لقد احضرت لك  
نبيذا يربط حلقك ..»

فتح ناننى عينيه عن آخرهما كطفل أزعج فى نومه .. و بوعى ما بين  
النعاس واليقظة رآها منحنية فوقه بصدرها الزجاج المتمجرف ، ووجهها  
الشاحب ، وعينيها السوداوين كاللحم .. فمد ذراعيه فى ذعر يذرا جسدها  
عنه ! وتنهده وهو يذفر وجهه فى العشائش الجافة مشيعا عنها ، ممزقا شعره  
بيديه .. ثم صاح بها : «ماذا خرجت تفعلين بعد الفسق ؟ اليك عني .. الهوى  
بعيدا .. واياك أن تعصرى الى الحظيرة مرة أخرى !!»  
وذهبت بالفعل ، تعبر الاحراش الملتهبة وهى تتميز غيظا ، محمقة  
بصرها الى الامام فى نظرات زائفة ، وقد أخذت تعيد تصنيف الخصلات التى  
تناثرت من شعرها الاسود الفاحم ..

لكنها عادت الى الحظيرة .. مرة أخرى .. ولم يعد ناننى يقول شيئا !  
بل صار يقلق اذا تأخرت ، ويمضى الى قمة الطريق الابيض القلر ليجث  
فنها ، والقرق يتصبب من جبهته ! .. ولكن ليمود فينهرها فى نهاية اللقاء  
فى كل مرة ، صائعا بها وهو يمزق شعره بيديه : «الهوى .. الهوى ، وحذار  
ان تعصرى الى الحظيرة مرة أخرى !!»

اما «ماريكيا» المسكينة فلم يعد فى وسعها غير ان تبكى ، ليل نهار ،  
وتعذق فى امها بعينين قرحتهما الدموع ، ونظرات الهبتها الغيرة - حتى لتبدو  
بدورها كذئبة صغيرة ! - وكلما رأت امها مقبلة من جهة الحظيرة ، شاحبة ،  
صامتة دائما ، صاحت بها : «المنحطة .. المنحطة .. ام منحطة !!»

- اصمتى .. اصمتى !

- لسة .. لست الا لسة !

- اصمتي !

- ساذهب الى الشرطة .. ساذهب !

- اذن فاذهبي ..

◆ ذهبت بالفعل، أخيراً ، وطفلاً على ذراعها .. ذهبت بلا نهيب ولا وجل ، ولا دمة في العين ، مندفعة كالجنونة !.. فقد صارت بدورها عاشقة ! أحبت الزوج الذي يخصها ، والذي أرغموها في البداية على قبوله وهو ملطخ بالزيت !! وخف الشرطي الى الزوج الآثم يهدده بالسجن وبالمشقة ، ان لم يرجع عن غيه ! فلم ينكر الفتى شيئاً ، أو يحاول تبرير فعلته ، بل ارتدى تحت قدمي الشرطي وهو يمزق شعره ويصرخ متوسلاً : «انها غواية رهيبة .. بحق السماء انتشلني من هذا الجحيم . واجعلهم يشنقونني .. او أرسلني للسجن .. ولكن لا تدعني أراها بعد الان قط .. قط !!»

فلما طلب الشرطي الى الذئبة ان تترك البيت اجابته في لهجة حازمة : «كلا ! ان البيت بيتي ، ولئن كنت قد اعطيته لابنتي كمهر عند زواجها وقنعت بركن صغير في المطبخ أنام فيه ، فاني ارفض ان اطرد اليوم منه !!»

◆ وبعد ساعات ، فيما كان تاني عائداً الى الحقل ، ركله بغل في صدره ركلة تركته بين الحياة والموت ! فاستدعوا له قسيس القرية كي يصلي من أجله .. لكن هذا رفض الصلاة مالم تطرد الذئبة من البيت ، فطردوها .. واعترف الفتى بخطيئته ودلائل الندم والتوبة على محياه ، حتى لقد بكى الجيران الملتفون حول فراشه وهو يحتضر .. لكنه لم يمت . وليته مات هذه المرة .. قبل ان يعود الشيطان فيتملكه ، بمجرد شفائه !

- ٣ -

- « اتركيني لحالي بحق السماء ، دعيني في امان ! لقد واجهت الموت ، وماريكيا المسكينة تكاد تجن ، وكل الناس يعلمون .. فخير لك ولي ان لا أراك ! »

وكم كان بوده لو استطاع تمزيق عيشيه في محجريهما ، كي لا يرى تينك العيين ، عيني الذئبة ، وهما تتسلطان على جسده وروحه ، وتفقدانه ارادته !.. ولم يدرك ماذا يفعل ليتخلص من اسار سلطانها الذي ضربته من حوله : صار يتصدق على الفقراء ، ويسزور المرضى . واستنجد بمعمونة القسيس ، والشرطي !.. وفي عيد الفصح مضى ليترف ، واعلن للجماهير

## المؤلف

١٨٤٠ - ١٩٢٢

يعتبره أكثر النقاد أعظم كتاب القصة الإيطالية في أواخر القرن الماضي .. ويقارنون قصته هذه على الخصوص بأدب زولا وموباسان وتولستوي .. ولد من أسرة كانت تقطن ميناء (قطانيا) بشبه جزيرة صقلية .. فلما بلغ العشرين عبر البحر إلى إيطاليا ، يحفره ظمأ أهل الجنوب إلى الظهور والمباهاة والمجد الاجتماعي .. لكن طبيعته الأدبية المنطوية ، المتحفظة المترفة ، عاقته عن أن يصادف نجاحا في المجتمع الذي طالما استبد به الحنين إليه .. فعاش يحلم بحب النساء الأرستقراطيات الفاتنات ، ويحقق على الورق في قصصه الأولى أحلامه الخيالية العريضة بين أحضانهن !..

واشتغل بالصحافة ، فنجح فيها ، وعاش منها .. فقصى العشرين عاما التالية ينتقل بين ميلانو ، وفلورنسا ، ونابولي . وخلال هذه المدة كتب قصصه الطويلة الثلاث : «أيفا» ، «تيجر ريال» ، «ايروس» .. فلما بلغ الأربعين صدف عن الكتابة في حياة المدن ومجتمعات المترفين وشغف بتصوير أحوال أهل الريف السذج البسطاء ، فاصدر مجموعته القصصية التي منها هذه القصة ، والتي صدرها بقصته الأخرى المشهورة «كافاليريا رستيكانا» ، التي اقتبست فيها بعد للأوبرا فخلدت اسمه بين الكتاب الكلاسيكيين العالمين !

الفقرة المجتمعة في الكنيسة أنه خاطيء ، ويستحق أن يزحف على بطنه ويلق أحجار عتبها المقدسة مسافة ستة أقدام !  
ولكن دون جدوى !

◆ وفي المرة التالية ، حين جاءته الذئبة لتغويه كعادتها ، قال لها وهو يصر على أسنانه : «اسمعي يا هذى .. إذا جئت إلى هنا مرة أخرى فاني - كوثوقي من وجود الله فوقنا في السماء - موقن من أنني سأقتلك ! » .. فاجابته في غير مبالاة : «اقتلني اذن وعجل ، فإن أستطيع العيش بدونك !» وجاءته مرة أخرى !.. فلما لمحها من بعيد مقبلة بين حقول الحنطة الخضراء ، ترك عمله في الكرم ومضى ليتناول فأسه من تحت الشجرة . ثم رآته الذئبة يتقدم نحوها شاحبا ، جاحظ العينين ، والفأس تلمع في يده .. لكنها لم تبطئ من خطاها ، أو تخفض من ناظرها ، بل مضت ميممة نحوه .. وعيناها السوداوان في عينيهِ !  
- «آه .. لعنة الله عليك !»  
وأهوى عليها .. !

## عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الأعداد السابقة من كتابى - فى هذا الباب - الكتب النفسية التالية : «كيف تصارح أولادك وبناتك بالعلاقات الجنسية» للعالم النفسائى ماكسوندل لاديل .. ثم «طريق السعادة الزوجية» لفريدريك برينك .. و«مركب النقص - أسبابه وعلاجه وامثلته عند المعلماء» تأليف و.ج. ماكبرايد .. و«حواد الجديدة - مرشد المرأة المصرية المستنيرة الى سعادتها ، قبل الزواج وبعده» للدكتور كورتى بيسل .. و«كيف تقهر الخجل» تأليف س.ه. ليار .. ثم «كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة» تأليف جون كينلى .

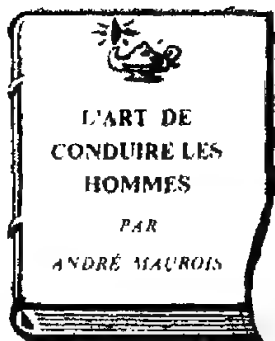
وفى الأعداد الخمسة الماضية قدمت لك من فنون الحياة التى شرحها الأديب العالى أندريه مورو : فن الحب ، ثم فن الزواج ، وفن الحياة العائلية ، وفن الصداقة ، وأخيراً فن العمل .. واليوم أقدم لك فناً سادساً هو فن الزعامة وقيادة الشعوب والجماعات .. يليه فى الأعداد القادمة بالذن الله : فن السعادة .. فن الشيفوخة .. فن التفكير الخ

## خوافز الحياة



النفس  
والجنس ..  
والمجتمع ..





اندريه مورو

# فن التوجيه

«قيادة الشعوب.. والجماعات.. والأفراد»



## الزعامة أنواع ..

الزعامة التي يقصدها « أندريه مورو » في كتابه هذا هي الزعامة بمعناها الأعم الشامل : زعامة السياسي على أتباعه .. وزعامة قائد الجيش على ضباطه .. وزعامة صاحب العمل على مرؤسيه .. وزعامة مدير المؤسسة أو الإدارة الحكومية على موظفيه .. وزعامة ناظر المدرسة على مدرسيه ، والمدرس على تلاميذه .. الخ

فكل من هؤلاء « زعيم » في قومه ، يلزمه أن يتقن فن زعامته ، أو فن قيادة وتوجيه مرؤسيه وأتباعه على الصورة التي تحقق الصالح العام ، للشعب ، أو الجيش ، أو المؤسسة ، أو المدرسة .. الخ وأنه ليس « كتابي » ، وقد تخلصت البلاد من أحزابها السياسية العتيقة التي نخرها سوس الفساد والتعفن ، أن يساهم في البناء الجديد بهذه اللجنة المتواضعة التي تعرض للقضوء في هذه المناسبة آراء فيلسوف عالمي مرموق المكانة : هو أندريه مورو

## كل عمل محتاج الى زعامة ..

◆ لا يحسن الناس الاضطلاع بعمل وانجازهم على خير وجه ، ما لم يقيم من بينهم من يتولى توجيه جهودهم جميعا نحو الغاية التي ينشدونها .. وتنجلي هذه الظاهرة أوضح ما تكون في الاعمال التي تتطلب تكاتفا منسقا .. فلن يقدر لشردمة من العمال أن تمتد خطا حديديا - مثلا - ما لم يرأسها شخص يشرف على حركاتها .. اذ أن كل عمل جماعي يعوزه التوجيه ، كفيل بأن ينقلب سريعا الى فوضى يفتقد فيها النظام .. ولعل من أتيح له القتال يوما في الميدان ، قد أدرك ضرورة وجود قائد يتولى الامر .. وهذا الذي يصدق على الجيش ، يصدق على العمل في أحواض السفن، وفي المصانع، وفي إدارات الصحف، وفي الدولة بأسرها .. فلا بد من رئيس حينما كان على الرجال أن يعملوا معا .

وما أن يظهر الرئيس ، وتسيطر الزعامة وتنتظم ، حتى يحل النظام محل القوضى ٠٠ وان انقياد الامة للنظام ، أو تمردا عليها ، لرهن بما يكون لحكومتها من قدرة على الحكم أو عجز عن اقراره ٠٠

### تمهيد تاريخي

♦ ولم تستطع الانسانية خلال تاريخها الطويل أن تبتكر من أساليب اختيار الزعماء سوى عدد ضئيل ٠٠ وأقدم هذه الأساليب طرا ، هو نظام الوراثة ٠٠ وقد كانت القبائل الرحالة في قديم الازمان تختار الابن الاكبر لزعيمها المتوفي كي يخلفه ، ولولا نظام « الابن الاكبر » لتعرضت الجماعة لحروب بين الاخوة ، تعقبها الفرقة والضعف والانحلال ٠٠ أما بالنسبة للدول فان انتقال السلطة – بالوراثة – يتم بسلام في الملكيات العريقة ذات الجلال والاحترام ، اذ يحظى وارث الزعامة بتقدير رعاياه ، مما يهيئ له – الى جانب السلطان – امتيازا طبيعيا تجعل أهميته عن كل تقدير ٠٠ والى مثل هذا الامتياز يعزى سمو مكانة صاحب العرش في انجلترا ٠٠

وقد أدرك « نابليون » هذه الحقيقة فرغب في أن ينشئ من سلالته أسرة مالكة ، اذ أدرك أن الملك يظل ملكا ولو منى بالهزيمة ، في حين ان الامبراطور الذي ينشئ عرشه بنفسه يظل بحاجة الى انتصارات مستمرة لتعزيز سلطانه ٠٠!

وما يصح في الدول ، يصح أيضا في مؤسسات الاعمال التي ظلت أجيالا عديدة تحت اشراف أسرة واحدة ٠٠ والخطر الاوحد لتوارث السلطة ، هو أن الابن الاكبر للأسرة – سواء في ميدان الحكم أو ميدان الاعمال – قد يكون امعة أو ناقص العقل ، فهل حتم أن تسلم مقاليد الامة أو العمل الى زعامة عاجزة ؟ ٠٠ الواقع أن ليس ثمة ما يحتم ذلك ، وقد عمدت بعض البلاد – التي يمارس الحكم فيها بالوراثة – الى التجاوز عن الوراثة عند ما كان وارث الزعامة يبدو غير أهل لها ٠٠ من ذلك أن البرلمان الانجليزي

عدل نظام وراثة العرش مرارا ٠٠ كما أن من كبار رجال الاعمال في الولايات المتحدة من أقدموا في حياتهم على اجراءات للحد من السلطة التي قد تؤول الى غير الاكفاء من أبنائهم ٠٠!

**الزعيم بالوراثة ، أو بالانتخاب ، أو الامتحان !**

♦ **واهم** ما يجب أن يتوفر في الزعيم عند اختياره أن تكون زعامته موضوع اعتراف من الجميع ٠٠ فإن جميع الزعماء الذين تكون زعامتهم موضع تشكك ، يفقدون القوة والنفوذ ٠٠ ومن ثم وجب أن يكون للزعيم الذي ينتخب ، نفوذ لا مراء فيه على أولئك الذين آثروه بالاختيار ٠٠ على أنه كثيرا ما يحدث أن ينتخب شخص لصفات غير تلك التي تتطلب في الزعيم - كأن يكون لبقا أو طيب النفس - فلا يلبث أن يكشف عن ضعف وقلة شأن ٠٠ كذلك قد يحدث في الامة التي تفرقها الاحزاب ، أن لا يمثل الزعيم المنتخب سوى قسم يزيد قليلا عن نصف الناخبين ، فاذا ما أبغضه القسم الآخر ، نشأ عن ذلك موقف يهدد الدولة بالخطر ٠٠ وكم من دولة كبرى رأيناها حائرة ، متخاذلة ، لان الاغلبية فيها انتخبت زعيما لا يحوز ثقة الشعب بأكمله ٠٠

وتزداد خطورة انتخاب الزعيم حين يقتصر الامر على جماعة صغيرة - لا دولة - فهنا يمارس الزعيم سلطته مباشرة ٠٠ وكذلك الحال حين يتحتم اعادة انتخابه في فترات معينة ، اذ كيف يستطيع في هذه الحال أن يحظى بطاعة أولئك الذين سيمتلقهم بعد قليل ليظفر بأصواتهم ؟

ولقد كانت الصين فيما مضى تختار حكامها عن طريق امتحانات ، اذا اجتازوها بنجاح فازوا باجازات ومناصب ٠٠ وتتبع هذه الطريقة في فرنسا اليوم ، الى حد ما ، اذ يتعين على الفرنسي أن يجتاز امتحانات معينة كي يفوز بمناصب الجيش ، والسلك الدبلوماسي ، ومعظم الادارات الحكومية الاخرى ٠٠ وهذه طريقة عادلة في ظاهرها ، اذ يخضع المتنافسون فيها

**لظروف واحدة .. ولكنها - فى واقعها - تنطوى على عيوب جسيمة ،** اذ أن تحديد السن فى الامتحان قد يضيع الفرصة على رجل منى ببطء النضوج العقلى .. فلا يشفع له أن يثبت حين يبلغ الاربعين من عمره انه زعيم حاذق .. ذلك لان صفات الزعيم الصالح قد تبقى كامنة ، لا تظهرها حتى الامتحانات فى الغالب ! ولذا نجد « بول فاليرى » لا يتردد فى القول بأن الانتخابات والشهادات هى أكبر عيوب عصرنا ..

**ولا يكتمل نظام الاحتكام الى الامتحان لملء المناصب ،** الا اذا تكرر عند كل ترقية جديدة تكون موضع تنافس - وهذا هو المتبع فى مهنة الطب فى فرنسا ..

### هل يكون كبر السن فيصل التفرقة ؟

◆ **ولا يحتاج نظام الاعتماد على كبر السن فى اختيار القادة ورجال الحكم ،** الى كثير شرح .. فمن المسلم به ان الناس يكتسبون خبرة وتجربة كلما تقدمت بهم السن - ما لم يكونوا أغبياء أو بلهاء أو أغلقت عقولهم دون المعرفة والعلم ! - على أن أحدا لم يزعم يوما أن شهادات الميلاد تكفى لاختيار أفضل المسنين على كثرتهم .. ومن ثم لا يمكن اعتبار كبر السن شرطا مطلقا فى التعيين للمناصب ..

ويبدو أن خير طريقة معقولة هى أن يتولى الرؤساء أنفسهم اختيار مساعديهم التالين لهم مباشرة، اذ أنهم سيكونون مضطرين الى الاعتماد عليهم ، والى تحمل مسئولياتهم .. فالحاكم الذى ورث السلطان ، أو الرئيس المنتخب ، يختار رئيس وزرائه بموافقة جمعية تشرف على تصرفاته أو برلمان .. ورئيس الوزراء يختار بدوره وزراءه .. وهؤلاء يختارون موظفى اداراتهم .. وهكذا يتألف جهاز الحكم بشكل هرمى معكوس ، يبدأ عند الرأس وينحدر الى القاعدة !

**والواقع ان هذا النظام صالح ما صلح البشر ..** وهو يقوم

على مبدأ حكيم ، ولكن تطبيقه غير ميسور من الوجهة العملية ،  
اذ أننا اذا استثنينا مناصب رئيس الدولة وعدد من الوزراء  
السياسيين ، نجد ان التعيين في جميع الوظائف - بما فيها تلك  
التي تتطلب دراية علمية - يجب أن يقوم على أسس من القيم  
الفنية والامانة الخلقية .. فمن مصلحة البلاد - وبالتالي من  
يحكمونها - أن يكون قائد الجيش أو مدير السكك الحديدية  
ممن لا ترقى اليهم الشبهات ، مهما كانت آراؤه السياسية مثلا  
.. ومهما كان أصدقاؤه أو علاقاته ..

ولكننا لانستطيع أن نجرد البشر من العواطف القوية .. ومن  
ثم نجد الصداقة والقرابة والزمالة السياسية تلعب دورا في  
ملء المناصب ، وهي ظاهرة يؤسف لها أحيانا .. ومن ثم يجب  
أن نحاول أن نسيطر على أنفسنا وغيرنا ، حتى لا تضيق المواهب  
في غمرة العواطف !

وهناك حالات يبلغ فيها الارتباك بالامة درجة تبعث على اليأس  
والقنوط .. وفي هذه الحالات ، لا يختار الزعيم أحد ، وإنما  
نختاره الظروف .. من ذلك أن « كرومويل » لم نعينه سلطة  
عليا حين فزع الى زعامة انجلترا ، ولم يكن سوى شخص مغمور  
على رأس شردمة من الفرسان ! .. ولقد جعلت الثورة الفرنسية  
من « بوناپرت » قائدا ، فجعل هو من نفسه زعيما للامة ..  
الى غير ذلك من الامثلة التي تنكرر في جميع الشعوب وجميع  
العصور .. ومن الواضح أن الزعيم الذي يفوز بمكانته عنوة ،  
لا بد وأن يكون حائزا للصفات اللازم توفرها للزعامة ، والا  
ما استطاع أن يحصل على السلطة .. واذا كانت ثمة صعوبة ،  
فانما تتمثل في تعرف ما اذا كانت مواهبه تؤهله لان يكون  
زعيمًا قوميا ، أو مجرد زعيم حزبي ..

وعندما يظفر زعيم لنفسه بالسلطة تنبت مشكلة من يخلفه  
في زعامته .. ولقد خلف « كرومويل » ابنه ولكنه لم يبق في

الحكم طويلا .. ومات ابن « بونابرت » فى منعه بعيدا عن الوطن .. وأبغض خليفة « لينين » أعمال سلفه فقضى عليها .. نخلص من كل هذا الى أن اختيار الزعيم مشكلة لم تلق حنى اليوم حلا حاسما ، اذ يعتمد كل شىء على الظروف الماضية وأهداف الامة فى مستقبلها .. على أن الزعيم لا يستطيع أن يهوى فى زعامته - سواء كان قد نالها بالانتخاب أو بالتعيين ، وسواء فرض على أمنه بحكم مولده أو بفوته - ما لم يكن حائزا لتلك الصفات التى تتطلبها الزعامة .. والتى نشرحها فيما يلى :

### الحزم والصرامة من لوازم الزعيم

◆ تتمثل رسالة الزعيم فى توجيه أعمال سواء ، ومن ثم كان لزاما محتوما عليه أن يعرف الى أى هدف ينتوى أن يقودهم .. واذن فاهم صفة يجب أن تتوفر له هى قوة الارادة ، اذ يجب أن يدرك كيف يتخذ القرارات وكيف يتحمل تبعاتها .. ومن الطبيعى أن عليه قبل أن يتخذ قرارا ، أن يلم بكافة المعلومات المتعلقة به ، وأن يتدبر جميع الظروف .. فاذا ما انتهى الى القرار وأصدر أمره به ، وجب أن يصبر عليه ويتمسك به ، ما لم تعترضه عقبة كاداء لم تكن فى الحسبان .. فليس ادعى لتبسيط همم الاعوان من رئيس متردد .. وقد قال نابليون فى هذا الصدد : « ان الحزم يغلب كل شىء .. »

ولا بد للزعيم من شجاعة أدبية عارمة كى يتخذ القرارات ، فانها كثيرا ما تكون مؤلمة له .. كما حدث للقائد الفرنسى « جوفر » فى بداية حرب سنة ١٩١٤ ، حين اضطر الى أن يقصى عن الجيش عددا كبيرا من القادة الذين كانوا اصدقاء له ..! ذلك لان سلامة الكثيرين ، تتطلب أحيانا التضحية بنفر قليل من الرجال .. وللزعيم أن يكون صارما ، بل أن الصرامة واجبة فى بعض الاحيان ، غير انه لا ينبغى له أن يكون شريرا ، أو قاسيا ، أو متعطشا للانتقام .. وعليه أن يزدري لفظ القول ، وأن يحرمه ان استطاع ..

## النزاهة الزم للزعيم من الذكا، ..

♦ ويجب أن يحيط الزعيم نفسه بهيئة من الاعوان المخلصين الذين يتولون عنه القرارات غير ذات الاهمية الخطيرة ، على أن لا يدعهم يطفون عليه ، أو يدع تصرفانهم تحجب تصرفاته .. وليختر لتنفيذ أوامره طائفة من الفنيين يصطفاهم ويودعهم ثقته، ويبيح لهم حرية التصرف ، مكفيا بأن يراجع ما يوافقونه به من معلومات بين آن وآخر ليستنونق من صحتها ودقتها ..

والزعيم المحرب الخبير يدرك أن ليس في طوقه أن يقتفى كل صغيرة وكبيرة من أعمال كل واحد من أعوانه .. وإنما ينبغي أن يقتصر - لا سيما في المسائل الاقتصادية - على أن يبين بعض الاتجاهات العامة ، وأن يصر على احترام المصالح الخاصة صونا للمصالح العامة ، فلا يسعى الى أن يضع خطة تعارض النتائج التي لا بد أن تتجه اليها رغبات الملايين .. مثله في ذلك مثل جندي المرور ، ينظم انسياب حركة المرور ، دون أن يأخذ على عاتقه أن يعين طريقاً معينة لكل مركبة !

وعلى الزعيم أن يوقر احترامه في نفوس مستشاريه وأعوانه، والا أفسح المجال للهواجس والدسائس . ولا سبيل للظفر بالاحترام الا بأن يكون جديراً به .. والزعيم العظيم هو ذو الشخصية العظيمة ، الذي ينزه نفسه عن المحاباة والمصلحة الشخصية .. ولقد كان « بلدوين » و « بوانكاريه » يفتقران الى الدكاء المتألق ، ولكنهما كانا فوق مستوى الشبهات في امانتهما واسرافهما في التدقيق في المسائل المالية .. ولقد وقف « بلدوين » قسماً من ثروته على أمته ، ولم يفكر « بوانكاريه » يوماً في أن يستغل موظفي الحكومة في مآربه الشخصية .. كان كل منهما يتصف بتلك الصفات « المستقيمة » التي ينشدها صاحب المصنع في مدير مصنعه ، أو في الزوج الذي يرجوه لابنته .. وقد مكنتهما هذه الفضائل الاساسية من أن يكونا



فوبين ٠٠ ولا عجب ، فان الديكتاتور يستطيع أن يفوز بالسلطان اذا ما كان مستقيما وفوق متناول الفساد ٠٠

### فليحذر الزعيم من ٠٠ النساء !

♦ ولا ينبغي للزعيم أن ينساق لغير عاطفة واحدة : عاطفته نحو عمله ومهنته ٠٠ وعليه أن يكون متحفظا ، وأن يذهب في ذلك الى درجة أن يحيط نفسه بالغموض ٠٠ ولست ألومه اذا هو حرص على أن يبدو كشخصيات الخيال أو الخرافات ٠٠ وانا لنرى في قصة كيلينج «الرجل الذي قدر له أن يكون ملكا» ، مغامرا استطاع بقوة شخصيته وحدها أن يسيطر على عدة قبائل من أهالي الجبال وأن يفدو زعيمها الاكبر ٠٠ ولكنه ما لبث أن فقد هيئته وعرشه ، حين ساقه ضعفه الى الوقوع في هوى امرأة من رعاياه ، فسمح لها أن تستبين انه ليس سوى ٠٠ رجل من البشر ! وقد قال نابليون : «كم من رجال وقعوا في صعاب لمجرد ضعفهم بازاء النساء » ٠٠!

ويسوقنا هذا الى الحديث عن زوجة الزعيم ٠٠ فهي تضطلع بدور شاق ، اذ عليها أن تذود عنه الدنيا بأسرها ، وأن تجنبه أن يتعب نفسه فيما لا طائل من ورائه ، وأن تكبح نفسها عن أن تقترح أي عمل ينطوي على تهور أو اندفاع ، وأن تجعل له من بيته ملاذا آمنا ، لا دولة أخرى يضنيه حكمها ٠٠ فان البيت أصعب الدول حكما !

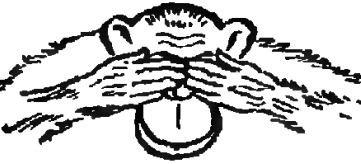
دار الجدل يوما حول أهم الصفات اللازمة للسياسي ، في حضرة « وليم بيت » - أصغر سياسي تولى رئاسة الوزارة البريطانية - فذكر أحدهم الجد ، وذكر آخر النشاط ، وذكر ثالث اللباقة ٠٠ أما « بيت » فلم يذهب مذهبه ، بل قال ان الزم صفة لرئيس الوزراء هي « الصبر » ٠٠ وكان مصيبا ، ولكن الصبر ليس لازما لرئيس الوزراء وحده ، بل هو لازم لكل من يقتضيه واجبه أن يزعم جماعة من الناس ٠٠ ذلك لان

الغباء عامل يخالط شئون البشر ، والزعيم الحق هو الذى يتوقع دائما أن يصادفه ، فيروض نفسه على احتمال طالما كان غباء عاديا . . وهو الذى يدرك أن آراءه ستعرض للنسوية ، وأن أوامره ستنفذ فى اهمال ، وأن الغيرة لا بد أن تدب بين أعوانه ، فيحسب لكل هذه الظواهر التى لا مناص منها حسابا ، وبدلا من أن يسعى للبحث عن رجال منزهين عن الخطأ - وهو نوع لا وجود له بين الناس - ينجح الى الافادة من خير من تحت امرته من الناس ، كما هم فى واقع الامر ، لا كما ينبغى أن يكونوا . .

### النظام . . والكتمان

♦ ومن أنواع الصبر مواصلة الجهد . . فالزعيم الحق لا يخال اذا ما بلغ هدفا أن كل سُئُون دولته قد سويت الى الابد . . فليس فى الدنيا استقرار دائم لشيء . . وقد أثر عن « نابليون » قوله : « أن أكثر اللحظات خطورة هى تلك التى نصحب النصر ! » . . وما من دولة ، ولو كانت غنية قوبة ، تستطيع أن تبغى سنين عديدة دون أن تتأسس على النظام ، والا وقعت أزمته فى أيدي أسوأ مواطنيها . وهزمتها جاراتها . . وانما يخلق بزعيمها أن يدرك أن جهوده لا تثمر نتائج « خالدة » ، بل يجب أن يبدأ الجهاد من جديد فى كل صباح ! . .

والحكمة أو التعقل فضيلة لا تقل عن الصبر لزوما . . وقد قال ريشليو ان « الكتمان هو روح الشئون القومية » . . وفقد تشارلس الاول - ملك انجلترا - عرشه ورأسه نتيجة عدم حكمته ، اذ بلغت به الغفلة أن أفضى الى زوجته الفاتنة بخطة وضعها للتخلص من نفر من أعضاء البرلمان ، فافضت بها بدورها الى وصيفة كانت موضع ثقته . . وكان لهذه اصدقاء بين غرماء الملك ، فبادرت الى ائذارهم . . وهكذا وجد الملك - حين حانت ساعة العمل - أن صيده قد فر ، وإن الشعب قد هب مشهرا سلاحه . . ومن هذا نستخلص العبرة التالية : « لا تقل الا القول الضرورى . . ولا تفصلا لمن ينبغى الانضاء له ، وحين



يكون ذلك الافضاء واجبا ..  
ومن ثم كان الصمت مرغوبا ،  
والكلام يفضح الافكار ، ويبدد  
شجاعة المرء .. وهوبا لاختصار ،  
بفضي على التركيز الذي لا غنى  
عه ..

وليس من شك في أن من  
أصعب الامور على الزعيم أن يوفق  
بين التحفظ والوقار اللازمين  
لمركزه ، وبين الانس والود للذين  
يعوزانه عند اختيار أعوانه ..  
ولكن من السهل التغلب على هذه  
الصعوبة بالحصافة التي تودعها الطبيعة أولئك الذين يولدون  
ليحملوا التبعات الجسام ..

### الشجاعة .. والصحة !

يضاف الى هذه الصفات جميعا : الشجاعة الجسدية -  
الفضيلة الوحيدة التي تحول دون النفاق - والصحة .. فان  
الصحة الجيدة تزيد الزعيم نفوذا وقوة ، وتيسر له الاسباب  
لكي يكون صبورا ، دائب العمل ، قوى العزيمة .. ولقد كان  
من أعظم صفات المارشال « جوفر » شهوته للطعام ، وقدرته على  
النوم حينما يطلبه .. فان التوازن البدني يهيء للعقل اليقظة  
والمبادرة ..

و « الهدوء البارد » أهم صفة لمن يقدر له الحكم .. ويؤثر  
عن القائد الفرنسي « جاليني » انه بعد أن أصدر أوامره في  
الميدان ، قى احدى المعارك ، تحول يقرأ كتابا .. فلما عجب  
« بييرلوتي » من هذا التصرف ، وكان بعد شأبا ، قال له  
جاليني :

- لقد فعلت كل ما فى طوقى ، وآن لى أن أنتظر وأرقب ما يجرى .. وخير لى أن أفكر - خلال الانتظار - فى شىء آخر .. وكانت هذه طريقة نافعة لتصفية الذهن وحفظ اتزانه ..

### الذكاء .. والثقافة .. وسرعة البت

◆ وإذا كان للخلق الاهمية الاولى ، فإن الذكاء لا يقل عنه لزوما .. ومن الامور المرغوبة للزعيم أن يكون واسع العلم .. فالتاريخ والشعرينيان معرفته بأحاسيس البشر .. والثقافة نتيج للرجل العامل الفرص كى يسترد هدوءه بين وقت وآخر ، اذ تضع تحت امرته نماذج للصفاء الذهنى ، فضلا عن أثرها فى توسيع أفق التفكير ..

وينبغى أن يحتفظ ذكاء الزعيم بالبساطة والصفاء .. فمن المتعذر الاقدام على اتخاذ قرار أو عمل اذا كان الذهن مليئا بالنظريات والمشروعات المعقدة .. والمصنع الذى ينكب بتنظيم « معقد » لا يقل تبديدا للمال عن المصنع غير المنظم اطلاقا .. وكذا نجد أن المشروع الذى يديره رجل واحد ، يفوق المشروع الكبير ، لان نفقاته تقل عن نفقات هذا ، فى حين أن منتجاته تفوق منتجات الاخير جودة .. ومن ثم وجب على الزعيم أن لا يعتنق سواء مبادئ قليلة بسيطة ، يستخلصها من التجربة ، ويعززها التطبيق ..

ويجب على الزعيم أن يعرف كيف يستخدم عقول سواء .. وقد قال ويشليو: « على المرء أن ينصت طويلا ، وأن يتكلم قليلا ، اذا شاء أن يحكم أمة كما ينبغى للحكم أن يكون ! » .. على أن الانصات لا ينبغى أن يكون الا لاولئك الرجال الذين يؤتون الدراية الدقيقة .. والصمت خليك أن يفرض على الثرثارين الذين لا ينطقون الا لفوا ! ..

وينبغى أن يكون الزعيم سريع البت فى الامور ، فالوقت عامل هام فى كل عمل .. وان مشروعا غير كامل يشرع فى تنفيذه فى

الوقت المناسب ، لافضل من مشروع كامل يأتى تحقيقه متاخرا  
 .. وأحيانا يكون الوقت من الاهمية بدرجة تجعله موضوع  
 الاعتبار الاول ..

◆ ويتصل الزعيم بأعوانه بثلاث طرق : بالاوامر التى  
 يصدرها ، وبالتقارير التى يتلقاها ، وبجولات التفتيش والتفقد  
 التى يقوم بها ..

ويجب أن يكون الامر الذى يصدره الى مرؤوسيه واضحا ،  
 قبل كل شيء .. فقد يجوز أن يكون التفكير مبهما ، وأن يكون  
 فى المشروع شيء من الخيال ، ولكن « الامر » يجب أن يكون  
 دقيقا .. فكل الاوامر عرضة لان يساء فهمها ، ومن باب أولى ،  
 فان الامر المبهم عرضة لان لا يفهم اطلاقا .. والزعيم الحكيم هو  
 الذى يقر بأن الذين يفهمون بين الناس قلة ، وأن كل امرئ  
 - فى الغالب - مهيا للنسيان .. ومن ثم وجب على الزعيم أن  
 لا يقتصر على اصدار الاوامر ، بل ويراقب تنفيذها ، وأن يتدبر  
 عند اصدارها كل احتمال قد يقضى على مفعولها .. فليس لغيا  
 المخلوقات ولا لسوء الحظ حدود .. والشئ غير المرتقب هو  
 الذى يحدث دائما .. ومن ثم فان الزعيم الذى يعمل على احباط  
 عوامل سوء الحظ ، والذى يحصن نقاط الضعف فى مشروعاته  
 ضد الغيا ، يكون أكثر قدرة على فرض ارادته ، ممن لا يعيا  
 بهذه الاجراءات ..

على أن هذه الاحتياطات تغدو أقل لزوما ، حين يوفق الزعيم  
 فى أن يجمع حوله أعوانا دلتته تجاربه على أنهم اهل لثقته ..  
 ومن ثم نرى لكل زعيم قومى وزراءه ، ولكل قائد أركان حربه ..  
 وهؤلاء الاعوان يمتازون بأنهم يالفون الغريب من صفاته ، فهم  
 يعرفون كيف يخدمونه ، وهم يفهمون على الفور أوامره ، ويعنون  
 بتنفيذها بحرفيتها .. على أن العالم لم يؤت من الرجال الذين  
 يمكن الركون اليهم سوى قلة ضئيلة . وقد قيل عن الرئيس

« ويلسن » انه كان يؤمن بالانسانية عامة ، لكنه كان يضمن بنقته على الافراد ٠٠ أما الزعيم الصادق، فهو الذى لا ينق بالانسانية، ولكنه يثق بنفر قليل من الناس ٠٠ فكيف يختار هؤلاء الناس ٠٠؟

◆ ان من واجبات الزعيم أن يألف بالجماعات التى يستطيع أن يجند منها لنفسه أعوانا ٠٠ ولقد كان « جامبيتا » يجوس خلال كل بقعة فى فرنسا حتى يتعرف على رؤساء الاقلام الحكومية ٠٠ ومن واجب الشخص الذى يحظى بشرف حكم أى بلد ، أن يسعى لاكتشاف خير رجال هذا البلد ليوثهم المناصب الحكومية الهامة ٠٠ وهو يجب أن لا يقتصر على الافادة من الموجودين منهم، بل ان عليه أن يكتشف عناصر جديدة ٠٠ وتتولى الاحزاب السياسية ، فى بعض البلاد الاجنبية ، هذه المهمة - كما يفعل حزب المحافظين فى انجلترا، الذى يكلف بعض أعضائه بأن يظلوا على اتصال بالجامعات الكبرى ، أملا فى العثور على شبان يمكن أن يتحولوا يوما الى ساسة ٠٠ ولديهم مدرسة لتدريب هؤلاء تدريبا خاصا ، فاذا أظهروا ذكاء وتألقا ، سعى الحزب حتى يحصل لهم على مقاعد فى البرلمان ، وأقدم رئيس الحكومة على أن يتيح لافضلهم شيئا من التجربة بأن يتخذ منهمسكرتيرين برلمانيين ثم لا يلبث أن يجعلهم وكلاء وزارات ٠٠ ومعنى ذلك أن من واجب رئيس الحزب أن يعنى بتكوين « طبقة » حاكمة ، وكذلك الحال بالنسبة لرؤساء الشركات أوالمؤسسات الكبرى . وكثيرا ما يكون من الصعب خلق تفاهم تام بين الاعوان ٠٠ على أنه يجب أن لا تقوم للخيلاء ولا للعصبية المحلية - أىاعتزاز كل ادارة بنفسها - قائمة فى أية ادارة ، بحيث تعادى بقية الادارات ٠٠ ولك أن تتصور حال السكك الحديدية اذا قامت خلافات بين الادارة وأقسام الحركة ٠٠ أو حال الجيش اذا دب نزاع بين القيادة والضباط فى ميدان القتال ٠٠ ومن ثم كان

من المهم أن يفهم كل امرئ أن الجيش أو المصنع أو الدولة  
نسبه في مجموعها جسدا حيا ، منفصلا ، اذا تنازعت أجهزته  
بعضها مع البعض كان في ذلك « انتحار » أدبي له ٠٠ !

وكثيرا ما يحدث أن تدب الغيرة والحسد بين الاعوان  
الذين يكونون لرئيسهم اعجابا فائقا يحفزهم على أن يجدوا في  
العمل من أجله ٠٠ اذ يشتد طمع كل منهم في أن يحظى بالاثرة  
لديه ! ومن ثم كان على الزعيم أن ينوقع هذه المواقف الشائكة ،  
وأن يعالجها ، اذ أنها تتهدد كفاية « فريقه » بأبلغ الاخطار ٠٠  
وكما يستطيع سائق السيارة الخبير أن يحدث أى خلل في  
محرك سيارته بالانصات الى صوته ، كذلك يشعر الزعيم - الذى  
فطر على الزعامة - بتحول أتباعه عن الاخلاص له ، فيبحث عن  
السبب ويصل اليه ٠٠ وغالبا ما يكون السبب تافها ٠ وقد  
بهز أحدهم كنفه بدافع من حركة عصبية ، فيسئ آخر فهم  
حركته ويظنها مقصودة لاهانتة ٠٠

### أثر الاتصالات الشخصية !

ويتلقى الزعيم عادة تقارير عن الروح المعنوية والنفسية  
لأعوانه ، وعن نتائج الاوامر التى يصدرها ، ولكنه دائما لا ينق  
في هذه التقارير ٠٠ اذ أنها قد تشتمل على معلومات مغالى فيها ،  
أو مشوهة ، أو ناقصة ٠٠ والطريقة الوحيدة لتفادى الوقائع  
الخاطئة ، هى التفتيش الشخصى من آن الى آخر ، فإن هذه  
الزيارات تكون ذات آثار عجيبة ، اذ تعقبها في الحال تقارير  
لحمتها الصديق وسداها الدقة ٠٠ وقد روى المارشال بيتان انه  
تولى فى سنة ١٩١٥ قيادة قطاع كانت القيادة تصر من أسابيع  
عديدة على المضى فى مهاجمته ، وكانت النشرات تنبئ عن مغام  
ضئيلة وخسائر جسيمة من وراء هذا الهجوم ٠٠ وهدت الحكمة  
« بيتان » الى أن يرتاب فى الامر ، فذهب بنفسه الى الخطوط  
الامامية مستصحبا أجهزة المساحة والكشف ، واذا به يرى أن

النشرات كانت تزيف لارضاء القيادة ، وأن المغانم كانت من وحي الخيال .. ذلك لان التقارير التي ترفع لذوى الامر غالبا ما تصاغ لتلائم ما يهون ، أو توضع فى قالب يعزز نظريات الموظف الذى يعدها ..

### اظهار الثقة والصراحة فى النقد .. لازمان !

♦ **والزعيم المدقق** أقدر على بث روح الحماس للعمل من الزعيم الذى لا يكثرث .. وخير سبيل الى فرض الشدة هى أن يحيط الزعيم نفسه بأولئك الذين يعرف قيمة مواهبهم دون سواهم .. فان أى رجل قد يسهل عليه احتمال النقد اذا ما تبين بجلاء أن خلقه وذكاءه بعيدان عن أى ارتياب .. وأحكم مسلك يصدد هذا النقد هو أن يذكر الانسان فى سرعة وقوة ما يشند بنفسه الشعور به ، فان اللوم القاسى اذا وجه بسرعة ، يكون أقل ايلاما من اظهار الاستياء بالمناجزة والتجهم .. وجدير بالاعوان أن يتبينوا أن الامر الذى لا ينفذ كفيل بأن يجبر عليهم المتاعب .. وانهم براء من الامر الذى يؤدى تنفيذه الى ضرر ، لان الزعيم الحق ، يتحمل دائما كل مسئوليات أعماله ..

**والزعيم هو المدافع الطبيعى** عن شعبه ضد جشع القوى ، ومن ثم فعليه أن يستوثق من أن أعوانه يعاملون عماله وجنوده بالعدل والاحترام .. وهذا أصعب قسم فى واجباته ، اذ عليه - فى الوقت ذاته - أن لا يوهن من نفوذ معاونيه ، أو يحتمل أية اساءة الى سلطتهم .. وليست ثمة قاعدة لتبيان هذا الامر ، وانما عليه أن يعمل بنفسه على حفظ التوازن بين الحالين ..

ومن واجب الزعيم أن يتبين قدر الامكان أى استياء يسرى فى صفوف الحكوميين ، وأن يعالج الظلم قبل أن تتراعى اليه الشكايات .. ولكى يتسنى له ذلك ، يجب أن يظل على اتصال وثيق بالرجال الذين تحت امرته .. وليذهب الى الخنادق ان كان قائدا ، أو ليذهب الى المصنع مع عماله من أن الى آخر ان كان



مديرا .. وليكن واسع الخيال الى حد ما ، اذ لا بد له من أن يفهم حياة غيره من الناس حتى يستطيع أن يقي أولئك الذين تحت زعامته ، متاعب لا داعي لها .. ولا سبيل الى كسب ودهم الا بمنحهم الود . والا بأن يكون قادرا على أن يؤدي مهامهم بنفس الاجادة التي يؤدونها بها .. وقد فطر الناس على احتمال بلقي الاوامر ، بل واستساغتها ، اذا اتبعت الحصافة في اصداها ..

### توطين النفس على احتمال النقد !

♦ **والحكم والقيادة** فنان يتباينان في وقت السلم .. فالقيادة هي تسيير جماعة من البشر تحت حكم النظام الى هدف معين .. ومن ثم يدرك ضابط الجيش أن رجاله في طاعته دائما ، اللهم الا في حالات نادرة يشتد فيها العصيان .. كذلك هو يدرك هدفه تمام الادراك .. كما يدرك رئيس أى مشروع تجارى أن عليه أن ينتج سلعة معينة بثمن معلوم وبكميات محددة ، وانه اذا أخفق قضى على نفسه بالخراب وعلى مستخدميه بالبطالة .. ومن ثم فهو سيد نفسه - طالما التزم حدود القانون - اللهم الا حين ترتبك الظروف الاجتماعية ..



والديكتاتور كالقائد : يقود بقوة النظام أكثر مما يحكم .. وعلى رئيس حكومة أية أمة حرية أن يوجه أعمال أية جماعة - لا تجد ما يضطرها الى طاعته الا خوفها من الفوضى - نحو أهداف مبهمه ، متغيرة .. وعليه أن يتوقع أنه لا سبيل له الى عمل ما دون انتقاد من معارضيه .. وكلما قويت رغبتهم في أن

يضعوا غيره محله ، اشتدت قسوتهم عليه .. كما ان عليه أن يروض نفسه على أن أعوانه ليسوا مجرد أتباع يجب أن يدينوا له بالطاعة العمياء ، وانما هم سواسية معه ، وهم خلفاؤه المرتقبون ..

◆ **والآن** .. ما الفضائل التي يجب أن نتطلبها في الرجل الذي نأتمنه على تولى أمورنا ؟ ..

### تفادى الاصطدام بالعقبات !

ان الفضيلة الاولى ، هي أن يكون واسع الافق ، قادرا على أن يدرك ما يحتمل وما لا يحتمل .. ما يمكن وما لا يمكن .. فليس يجدى في السياسة أن تصاغ المشروعات العظيمة السامية اذا لم يكن في الوسع تنفيذها بسبب الحالة القائمة في الدولة .. والسياسى العظيم هو ذلك الذى يتعرف على البواعث والدوافع التى تحرك الشعب ، ثم يقدر الى أى مدى يستطيع أن يمضى في طريقه دون أن يصطدم بها .. ولا يجب أن يسمح لنفسه بأن يحابى طبقة ما ، متغافلا عن رد الفعل الذى لا مفر من أن يتور فى نفوس الجماعات التى يهملها .. وانما عليه أن ينظر الى الشعب كجسد حي كبير ، يعتمد كل عضو فيه على بقية الاعضاء .. وكما يفعل الطبيب ، يجب على الزعيم أن يتعرف درجة حرارة الراى العام كل يوم ، فاذا اشتدت « الحمى » عمل على أن يتيح للبلاد أسباب « الراحة » فترة من الوقت ..

وكما يقدر السياسى الماهر قوة الراى العام تقديرا تاما ، فانه يدرك أيضا أن من الميسور له أن يؤثر عليها .. فهو اذ يحسب مدى قدرة الناس على أن يظلوا غير مباينين بأعماله ، يجب أن لا يغفل ان لهم لحظات عنف ، وأن احتجاجاتهم القاضية تكون مشروعة اذا كانت تصرفات الحكومة تجر عليهم الفقر ، وتذهب بحريتهم التقليدية ، أو تتدخل فى حياتهم الخاصة بدرجة كبيرة .. على أنهم لا يتوانون عن أن يسلموا قيادهم

لرجل يدرك الى أين يسير ، ويريه بوضوح انه يضع مصلحة الامة نصب عينيه ، وأن لهم أن يتقوا به ويركنوا اليه . .

وليس تقدير طاقة الشعب وامكانياته هو مجرد القدرة على الاعتراف بأن ثمة أشياء مستحيلة . . فهذه فضيلة سلبية . . وانما الفضيلة الايجابية أن يقدر الرجل الشجاع أن هناك أموراً ممكنة وان بدت شديدة الصعوبة . . والسياسي العظيم لا يكتفى بأن يقول : « ان هذه الامة ضعيفة . . نائمة . . ولسوف أوقظها . . ان القوانين والمبادئ والافكار من صنع الناس ، ومن ثم فسوف أغيرها اذا دعت الضرورة » . . وانما يجب قبل كل شيء ، أن لا يكتفى بالكلمات ، بل يتبع العزم بالعمل . . وأن يقدم على تحقيق الاهداف التي يحددها ويعينها بدقة ، بالطرق التي تبدو له . . فاذا اعترضته عقبات وجب أن يلف حولها . . فان الغرور ، والاعتزاز بالعقل ، والتحمس للأسلوب ، من أخطر العقبات التي تعترض طريق السياسي ، حتى لنجد بين زعماء الاحزاب من لا يتورع عن تضحية بلاده في سبيل نظرية أو مجموعة من المبادئ . . في حين أن الزعيم الصادق هو الذي يقول : « لندع المبادئ كي ننقذ الامة » . .

◆ وينبغي أن يكون الزعيم واقعياً . . فليس في وسع « نبي » من الانبياء أن يحول جماعة من الناس الى رجال ونساء كاملين الاستقامة ! . . وانما حسب السياسي العظيم أن يكون مثل صاحب المتجر الحكيم ، الذي يدرك أن عليه أن ينظف متجره كل صباح . . واذا ما وقعت مشاجرة ، تحملها في صبر وهو يوطن نفسه على أن أخرى لن تلبث أن تنشب بعد أن تخدم هذه ! . . وهو يوافق على أية تسوية أو صلح ولو لم يكن مرضياً ، أو كان مجرد حل مؤقت ، لانه يدرك أن لا شيء يدعو الى الرضى التام ، أو يستمتع بالدوام ، في شئون البشر . . وأن السلام ( الدولي أو الاجتماعي ) لن يلبث أن يقترب مهما

تكرر ناخراً ٠٠ ولن نمضي عشر سنوات أو عشرون ، ثم تدهم مهمة جيله ٠٠ ولا يلبث الجبل التالي أن يتسلم العلم ليواصل حمل الرسالة ١٠٠!

### من حق الزعيم أن يعطى فرصة كافية ٠٠

♦ ومن حق الزعيم - الجدير بلقبه - أن يطاع ٠٠ والشعب الذي لا يستطيع احترام زعماءه يقضى على نفسه بالدمار ، اذ يغدو عاجزاً عن اتیان أى عمل ٠٠ وقد يؤثر المجتمع نظاماً للحكم على نظام آخر ، كأن يستبدل بالحكومة المدنية أخرى عسكرية ، وعندئذ يصبح الولاء للزعيم المختار فرضاً واجباً ٠٠ اذ أن نقص النظام كفيل بأن يقضى بالهزيمة على أى جيش ، وبالخراب على أى صاحب مصنع ٠٠

كذلك من حق الزعيم أن يطمئن الى احتفاظه بزعامته ، اذ لا سبيل له الى تحقيق نتائج طيبة ما لم يتح له الوقت الكافي ٠٠ فينبغي ان يمنح وقتاً يمكنه من أن يكتسب خبرة وتجربة ، وأن يظل في زعامته ما لم يتضح أن الشعب قد اخطأ الاختيار ، وأن المختار غير اهل للزعامة ١٠٠!

ولكن ٠٠ كيف يتسنى التوفيق بين النظام ، وطول أمد تولى الزعيم لمنصبه ٠٠ وبين حرية ممارسة حق الانتقاد ؟ ٠٠ أو لا يحتمل أن ينقلب الزعيم الذي أوتى سلطاناً غير محدود ، الى طاغية أو مجنون ؟ ٠٠

الواقع ان الطاعة يجب أن تكون مطلقة ، سواء في الجيش أو في كل الحالات المدنية ، التي تتطلب عملاً عاجلاً ، على العموم ٠٠ وليس لاحد - سوى القادة - أن ينتقد ٠٠ أما في الحياة العادية للدولة الحرة ، فلكل انسان حق الانتقاد ، في حدود تعينها التجربة ٠٠ واذا اقتضت ارادة الامة بوضوح أن تغير زعمائها من وقت الى آخر ، وجب أن يتم هذا التغيير ٠٠ ولا يجب أن يكون التغيير متكرراً في اوقات قصيرة ، أو أن يأتي نتيجة املاء رجل الشارع ١٠٠!

♦ **والتربية الخلقية** ألزم لاولئك الذين بعدون للزعامة ،  
 منها لسواهم ٠٠ اذ ينبغي على الزعيم أن يحرز - الى جانب  
 قدره على الاشراف على زملائه - شعورا قويا بالواجب ٠٠ اذ  
 لا سبيل له الى الاحتفاظ بمركزه ما لم يجعل نفسه - فى كل يوم -  
 أهلا لهذا المركز ٠٠ وليس بالزعيم الصالح ذلك الذى يقتصر  
 - اذا وضع على رأس جماعة أو مشروع نجارى - على السعى  
 لتحسين شئونه الخاصة فحسب ٠٠ لا ولا هو بالقائد الصالح  
 ذلك الذى يقبل عبء الزعامة ثم يضع ملذاته فوق مسئولياته ٠٠  
 لا ولا ذلك الذى اذا وضع على رأس غيره من الناس ، أطلق  
 لغضبه وعناده العنان ، أو أسرف - من ناحية أخرى - فى  
 المحابة والمحسوبية ٠٠ لا ولا ذلك الذى اذا صار اليه نصيب  
 من ادارة السياسة الخارجية لبلاده ، ضحى بالخير الدائم  
 للبلاذ ، من أجل الحزازات والدسائس الداخلية ٠٠  
 ان الدور الذى يجب على الطبقات الزعيمة أن تؤديه ، هو أن  
 توجه ٠٠ أن ترشد الى سبيل الكرامة والعمل ٠٠ فالزعامة  
 ليست امتيازًا وتفضيلا ، وانما هى شرف وثقة ٠٠



وينبغي أن يكون  
 شعار الزعيم  
 واعوانه جميعا أن  
 يعملوا « يدا  
 واحدة »، متكاتفين،  
 متساندين، متكاملين  
 المهام والمسؤوليات،  
 كالجوقة الموسيقية  
 التى يسود عازفيها  
 جميعا التوافق  
 والانسجام !

## آراء لابن المقفع : الزعيم وصاحب السلطان

.. اما وقد عرفت آراء فيلسوف من الغرب ، فى الزعامة وفنونها ..  
فيحسن ان تعرف آراء فيلسوف من الشرق ، فى نفس الموضوع ، كى تقارن  
بين العقليتين ، والاسلووين .. وصترى ان الشبه بين افكار الاثنين كبير !!

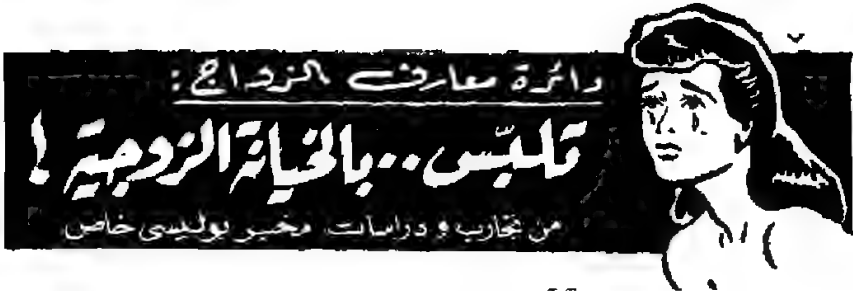
♦ ولاية الناس بلاء عظيم • وعلى الوالى أربع خصال ، هى  
أعمدة السلطان وأركانه التى بها يقوم وعليها يثبت : الاجتهاد  
فى التخير ، والمبالغة فى التقدم ، والتعهد (أى الرقابة والتفقد)  
الشمديد ، والجزاء العتيد (العظيم) ..

قاما بخير الوالى للعمال (الاعوان) والوزراء ، فانه عسى  
أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اخنار ألفا .. لانه من كان من  
العمال خبارا ( أى طيبا ) فسيخنار كما اختير ..  
واما التقديم والتوكيد ، فانه ليس كل ذى لب أو ذى أمانة  
يعرف وجوه الامور والاعمال •

واما التعهد ( أى الرقابة والنقد ) ، فان الوالى اذا فعل  
ذلك كان سميعا بصيرا ، وان العامل اذا فعل ذلك به ( أى  
شعربالرقابة والتدقيق فى فحص أعماله ) كان متحصنا حريزا ..  
واما الجزاء ، فانه تنبئت المحسن والراحة من المسىء ..

وأعمال السلطان كثيرة ، وقليل ماتستجمع الخصال  
المحمودة عند أحسد ، وانما الوجه فى ذلك والسبيل الذى به  
يستقيم العمل أن يكون صاحب السلطان عالما بأمور من يريد  
الاستعانة به ، وبما عند كل رجل من الراى والفناء ، ومافيه من  
العيوب ، كى يوجه لكل عمل من يصلح له ..

ثم على الولاة ، بعد ذلك ، تعاهد عمالهم وتفقد أمورهم ،  
حتى لا يخفى عليهم احسان محسن ولا اساءة مسيء .. ثم عليهم  
أن لا يتركوا محسنا بغير جزاء ، ولا يقرؤا مسيئا ولا عاجزا على  
الاساءة والمعجز ، فانهم ان تركوا ذلك ، تهاون المحسن ، واجترأ  
المسيء ، وفسد الامر ، وضاع العمل ..



## دائرة معارف الزواج : تلبس... بالحياة الزوجية !

من تجارب ودراسات مخبر بوليسى خاص

◆ «دوجلاس بنتليف» - كاتب هذا المقال - يكسب عيشه من العمل كمخبر خاص ومستخدم مدنى بمكتب «حكمدار» منطقة «الوس انجيلس» بأمريكا ، لعلاج قضايا الزواج .. ومع ذلك فهو أزهد الناس فى التدخل بين أى زوجين على غير وئام ، لانه يؤمن - على ضوء الخبرة التى اكتسبها - أن اشد الخلافات الزوجية استعصاءً بسهل حلها لو أن الزوجين بحثا معا اسبابها فى صراحة تامة منذ البداية .. فان تفاهم الزوجين كفىل بأن يصون زواجهما من الانهيار !

### استغاثة زوجة !

◆ خيل الى ان صوتها يشق «سماعة» التليفون شقا ليخرق اذنى وهى بمسول :

- لقد غادرا الحانة منذ قليل ، وافنقيت أثرهما حتى انتهيا الى فندق خاص .. فاسرع .. فى وسعنا الان أن نفاجئهما متلبسين !..

- حسنا .. هدى من روعك ، وانتظري ..

وارشدتها الى مقهى قريب من الفندق الذى ذكرت لى عنوانه ، لتنتظرني ريثما الحق بها .. اذ كنت قد اعتدت مثل هذا الموقف ، فكلهن يتسفن اليه بنفس اللهفة حين يلجأن الى مشورنى !.. وكانت صاحبة هذا النداء المنفعل قد حدثتني من قبل عن عدم وفاء زوجها ، وعن رغبتها فى فضح خيانتها .. ووقعت عقدا أفرت فيه بأنها استاجرتنى لهذه الغاية .. وكانت موزعة بين الآسى والرغبة فى الانتقام ، ولا تفتأ تردد العبارة الخالدة : «صبرا .. الى ان افاجئه متلبسا» ..

وما قد حانت لها الفرصة !..

## تجبه .. رغم خيانتها لها !

◆ وعندما لحقت بها في المقهى ، اشارت الى سيارته التي كانت مستقره امام الفندق .. واستطعنا ان نفاجئته مع خيلته في موقف لا يحتاج الى تعليق !.. وعندئذ التفت انا الى الزوجة الثائرة .. كي ارى تأثير الموقف على اعصابها ، وكم كانت دهشتي حين رايتها لم تنظر الى زوجها ، وانما اشارت بعنفها تنامل المرأة التي كانت في الفراش !.. وبعد ان اشبهت فصولها النسوى الى رؤية شكل غرمتها ، تحولت معى مولية ظهرها الى مسرح الماساة ، متجهة في صمت نحو سيارتي ، وهي تنتحب وتردد : « لا اريد ان اراه ثانية بعد اليوم ! »

.. ولكن بكاءها كان ينطوي على معان اخرى .. لم تخف على !

◆ وصحبته الى مقهى هادئ .. وكانت قد كفت عن البكاء تقريبا ، وراح تعدد اخطاء زوجها منذ عرفته ، حتى اذا استذكرت شهر العسل ، لم تتمالك نفسها ، فعادت الى البكاء قائلة : « لا اريد ان انفصل عنه ، فانا احبه .. احبه من كل قلبي .. ولعل حماقتي واغلاطى هي التي ساقته الى هذا المسلك .. لا .. لا اريد ان انزكه ، ولكنني اريد ان اعرف مدى العلاقة التي تورط فيها .. ! »

وكان هذا عين ما اعادت ان تفعله مثيلاتها ممن تملأ قضاياهن الملاف المقدسة في مكنتي !!

## اذا ذهبت الحيرة .. عاد الحب !

◆ والانسان يحار لاول وهلة ازاء هذا التناقض المجيب .. اذ كيف تنشيد زوجة العودة الى زوجها ، بعد ان تبينت بعينها خيانتها ؟.. لقد ظلت بظلة هذه القصة اربعة اشهر وهي مقفلة القلب بالالم من مسلك زوجها والحقده عليه ، فكيف تطلب بعد ذلك ان تعود اليه ؟

ولكنهن جميعا يفعلن ما فعلت .. ولعل السر في ذلك يرجع الى ان نفس المرأة منهن تهدأ بعد كشف الخيانة ، فلا تعود تحيا في غمرة الريب والهواجس ، وتتخبط بين الشكوك ، وانما هي تصل الى لحظة التأكد ، فتتخلص من الحيرة ، ويصبح في وسعها ان تقطع برأى حاسم : اما ان تنفصل عن الزوج الخائن ، واما ان تصفح عنه !.. ويبدو ان التأكد من الخيانة ، اخف على نفس الزوجة من قسوة الشك .. او - على الاقل - هذا ما خبرته بنفسى خلال السنوات الطوال التي قضيتها اعمل كمخبر خاص .



## الزوج يخون وهو كاره !

♦ ولا يقل موقف الزوج عن موقف الزوجة غرابية .. وانك لتخطيء اذا طنته يترفع عن أن يتشد الففران ، بعد أن يفاجأ متلبسا بالخيانة .. فالواقع انه يسعى الى التماس صفح زوجته ، اذ ان ضميره لا يلبست ان سنيقظ .. بل انه ربما استيقظ قبل اقتضاح الامر ، فان معظم حوادث الخيانة الزوجية تنشأ عن رغبة الزوج في الفرار من عدم الوفاق في البيت .. وعن الرغبة في تجنب الشقاق مع الزوجة ، والمخلص من سكانها ولومها .. «مناقشتها» !

ولا يكون للرغبة الجنسية في أكثر الحالات دور يذكر في هذا الشأن .. فكم من زوج صارحنى ان كل لقاء بينه وبين خليلته كان لا يزيد عواطفه الا حنيئا الى زوجته !.. ولكن الواحد منهم لا يكاد يتورط في علاقة آئمة ، حتى تتعذر عليه اسباب الخلاص .. ولا يجد سبيلا الى العودة الى زوجته بطريقة تحفظ عليه كرامته .. ومن ثم يظل سادرا في غيه ، عن غير رغبة !.. ومن الغريب حقا ان الزوج الاثم كثيرا ما يتمنى ان ينكشف اثمه ، فمهمل الفضيحة امامه طريق النهاية : اما الى صلح ، واما الى طلاق .. وفي معظم القضايا التي من هذا النوع ، كنت اتحرى رغبة الزوج الخائن ، ثم اجمع بينه وبين زوجته ، وانركهما بصفيان موقفهما امامي ، دون أن افترح حلا ..

## أهم مايجب معرفته قبل الزواج

♦ وترجع القصة في العادة الى ان الشابين يلتقيان .. رجل وفتاة .. فلا يلتفتان ان يقعا في الهوى ، ويتزوجان ، وقد وقر في نفس كل منهما انه عرف صاحبه تمام المعرفة .. والواقع انهما يكونان قد غفلا عن معرفة اهم الأمور ، فلم يتدبرا الوسيلة لتسوية ما قد ينجم بينهما من خلاف .. ولم يتفقا على حكم يحكمانه بينهما اذا اشتد الشقاق ..

فاذا تطورت الامور الى اسوأ حدودها ، واستدعيت للتدخل بينهما ، يكونان قد بلغا نهاية التردد والتذبذب بين الطول ، فيجلسان امامي ، ويبدآن في استعراض اسباب الشقاق من البداية ، ليتعرفا سر ما أصابهما !..

## دور الناحية الجنسية فى الخلافات الزوجية ..

◆ ومن أكثر الأسباب شيوعاً ، الخطأ فى التمهيد للعلاقة الجنسية بين الزوجين ، والعجز عن تنظيمها .. فان هذه الناحية من العلاقات الزوجية كثيراً ما تكون غائبة عن ذهن الفتاة عند الزواج ! .. وكم من فتاة زفت الى زوجها وهى أجهل ما يكون بواجباتها .. اذ أن الحواجز التقليدية تحول بين امها او فريادها وبين مصارحتها وتزويدها بما يكفل لها أن تكون على استعداد لان يوفق بين أحلام العذارى ، وما فيها من ترفع عن الجسد ، وبين الفريضة الطبيعية التى لابد من اشباعها بين الزوجين ..

ويكون النتيجة ان تصطدم مشاعر العذراء .. او ان تروض نفسها على جهل .. او أن يخفق الزوجان فى تنظيم هذه العلاقة بينهما ..

◆ واذا ذكر ان رجلاً جاءنى يوماً يشكو من أن زوجته لم تعد الى دارهما منذ خمسة أيام !

وكان هو شاباً فى حوالى الثلاثين من عمره ، مقبول المظهر ، متوسط الغامة ، عادياً فى كل شيء .. وقد أخبرنى بأنه تزوج قبل عامين ، ولم نسأله عن زوجته ان يبيع فى البيت ، بل اصرت ان تتخذ لنفسها عملاً شغل معظم وقتها .. وكانت اذا انصرفت من العمل ، رافقت زملاءها وزميلاتها فى سهراتهم ، حتى ادمنت على الخمر .. الخ

ومع ذلك فقد كان الزوج توافاً الى أن يستعيدها ..!

ودللتى تحريانى على أن مسلك الزوجة كفىل بأن يحيطها بالشبهات .. فسميت الى لقائها .. وتحملت كل ما صبته على رأسى من سخط حين اطلعتها على مهمتى وتحريانى التى تكفى لأن تبيح لزوجها ان يطلقها ! .. ثم انبأته بان الزوج المهجور ما يزال باقياً على حبها ، رغباً فى ان تعود اليه .. وان مهمتى هى ان اوفق بينهما !

## الصراحة بين الزوجين أساس التعاون

◆ واذا سألها عن أهم أسباب هجرها اياه ، تبدت عليها الحيرة والارتباك - وهما ظاهران نمان فى الغالب عن التردد والاستحياء من الكشف عن المتاعب الجنسية ! - فسميت الى استمراجها برفق ، حتى استطعت ان احملها على الحديث بصراحة .. واذا ذاك انفجرت باكياً ، وراحت تتحدث

وبقي ، وقد وجدت في الحديث تخفيفا وتسرية عما كان يشغل على نفسها ..  
وهذه ناحية اخرى من غرائب النفس البشرية ، خبرتها في مهنتي ..  
فان الشابة تستحي ان تتحدث عن متاعبها في الناحية الجنسية ، حتى الى  
زوجها .. ولكنها ما تكاد تلمئن الى - وانا الغريب عنها - وما تكاد تواجه  
صراحتي ، حتى تتطلق في الحديث .. في صدق وصراحة .. فهي بهذا  
الحديث تستعرض المشكلات وقد جردتها لأول مرة من الاقضية الكثيفة التي  
سخلها عليها التقاليد ، وتنقب بينها عن سر فشل حياتها الزوجية !  
وكانما هذا الحديث بزيل غشاوة عن عينيها ، فلا تلبث ان تغنع  
بان من اهم دعائم الحياة الزوجية ، ومن الهم واجبات الزوجة ، ان تصارح  
زوجها دائما بمتاعبها في هذه الناحية .. وان تقترح عليه - اذا استدعى  
الامر - ان يستشيرا طبيبا اخصائيا .. الخ

### الصلح في ٦٥٪ من الحالات !

♦ وكان هذا ما اقتنعت به بطله فصنتي هذه .. فعادت الى زوجها ، وهما  
الان من أسعد الأزواج .. وان كنت اشعر انني لم اقم بنصيب يذكر في  
تحقيق هذه النهاية الموفقة ، فلولا ان كلا منهما كان صادق الرغبة في تعرف  
سر مشكلتهما والسعى الى حلها ، لكان الطلاق قد فرق بينهما منذ سنوات ..  
والواقع انني كلما عدت الى ملفات القضايا التي تناولتها ، اجدني ازاء  
ظاهرة ذات معنى هام ، فان ٦٥ في المائة من القضايا الخاصة بالخيانة الزوجية،  
قد انتهت الى صلح بين الزوجين، مهد لتفاهم عميق، واستقرار في الزوجية. !  
ذلك لانه ليس ثمة عملية من الدقة والخطورة كالزواج .. انه شركة  
قد تنتهي الى افلاس سريع ، لانفه خطأ في ادارتها .. ومع ذلك ، فهو في  
افلاسه او ازدهاره ، يتألف من عواطف وصلات انسانية مرهفة .. ويبدو  
ان اهم اسس الخلاف فيه ، يتمثل في حاجة الشركة الى ان يبحث طرفاها  
أمرها معا ، ويناقشا مسائلهما في صراحة وتفاهم ، ويستشيرا أهل الخبرة  
ان استدعت الحاجة .. ولا يجب ان تستمر الشركة على زقل وعدم رضى  
وتفاهم بين الشريكين .. ومن ثم فان الزواج المزعرع ، الذي لا يقدم فيه  
الزوجان على بحث مشكلتهما معا وحلها سويا في تفاهم ، لا يمكن ان يكون  
زواجا ناجحا ، ولا يمكن ان يفضي على الزوجين سعادة ما ..

## عزيزى القارىء ...

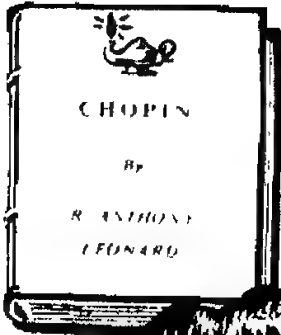
فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة :  
 « ديفاليرا » .. و « هاريبالدى » ..  
 و « لويس باستير » .. و « اميل زولا » ..  
 و « ماركونى » .. و « تشايكوفسكى » ..  
 « حمصطفى كمال » .. وهم من هم من  
 العلماء فى السياسة ، والطب ، والادب ،  
 والاختراع .. والموسيقى .. الخ  
 وفى العدد الماضى قدمت لك القسم  
 الاول من قصة حياة الموسيقى العالمى  
 الخالد « شوبان » ، واليوم اقدم لك  
 الشطر الثانى والاخير من حياته وفرامه  
 الفاجع مع عشيفة رجال الفن « جورج  
 صاند » ..

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله  
 بهؤلاء الذين تشاق الى معرفتهم منذ  
 بعيد : لورد بيرون ، شيللى ، براوننج ،  
 دانتي .. بيتهوفن ، شوبرت .. فولتير ،  
 شوبنهاور ، نيتشه ، ارسطو .. بوذا ،  
 كونفوشيوس .. داروين ، ايتشتين ..  
 شكسبير ، جوتة ، اديسون ،  
 فورد .. بلزاك ، ديكنز ، والتر سكوت ،  
 ديماس ، دستوفسكى ، موبسان ..  
 كولبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس  
 الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل  
 انجلو ، رفايل ، ليوناردو دى فنشى ،  
 وغيرهم

## الخالدون



## عظماء فى غير السياسة



حیات

فنه ..  
وغرامه ..  
ومآساته



### شبابه الباكر ..

◆ في القسم الذي نشرناه في العدد الماضي - من سيرة الموسيقى العالمى فردريك شوبان - رأينا كيف هاجر الفنان الشاب ، وهو في سن العشرين ، من وطنه بولندا وحط رحاله في باريس - عاصمة الفن ووطن الفنانين - مدفوعا بنصح اساتذته له بالإبتعاد عن مركز الصراع الطاحن بين مواطنيه وبين جيش الاحتلال الروسى ، والسعى الى جو من الهدوء والاستقرار يكفل له التفرغ للإنتاج الفنى ..

فلما استقر به المقام في باريس اقام عدة حفلات موسيقية لم تحقق له الكسب المادى المرجو ، لكنها لفتت اليه انظار اعلام الموسيقى ذوى النفوذ ، الذين قدموه الى المحافل والدوائر الفنية في المجتمع الباريسى الراقى .. فلم يلبث ان تهاافت عليه النشء من هواة الموسيقى كي يتعلموا اصولها على يديه . وفتحت له ابواب القصور ليحزف في حفلاتها العانة الرقيقة ذات الطابع الحزين ، الذى هو انعكاس لنفسيته المكتئبة ، ونتيجة طبيعية لعوامل ثلاثة : اولها اصابته بمرض ذات الرئة منذ شبابه الباكر .. وثانيها حنينه المنيق الى وطنه الجريح وقلقه على مصيره .. وثالثها فشله في غرامياته السابقة وكانت بدورها ثلاثة ، هى على التتابع : عشقه الجنى «الشال» لشاب عملاق من اصدقائه .. فغرامه بفتاة من تلميذات معهد الموسيقى تدعى «كونستانسيا جلادكوفسكا» .. ثم حبه لابنة نبيل بولندى هى «مارى وودزنسكا» التى عارضت اسرتها في زواجها منه ! .. لكن كل هذه الغراميات لم تكن الا بمثابة المقدمة لحبه العظيم للادبية العاشقة «جورج صاندا» .. الذى نروى قصته اليوم :

### صداقة العمر

◆ لم تمض على شوبان فى باريس بضعة أشهر ، حتى بدأ قلقه الفكرى وهواجسه النفسية يخليان مكانهما من رأسه للامل العريض، فى أن يحقق شمس باريس المشرقة ومجتمعاتها اللامعة للغريب الوافد عليها هدفه : تقوية بدنه الهش ، وشفاء نفسيته المكتئبة !

وكانت فرنسا في ذلك الحين - بعد ما استنزفت حروب بابلون من دماؤها الغزيرة - أشبه بامرأة جريحة من معاربات « الامازون » الياسلات عادت الى أسرتها، وبدأت تستمتع بالجيل الجديد القوى من أبنائها الذين يعبدونها وينسجون حولها هالة من الاساطير ، بل ويمدونها بدمهم وقواهم المتجددة . وكان على رأس ذلك الجيل من المتغنين بمجد بلادهم : الشاعران الفريد دى موسيه ، وبودلير ، والموسيقي برليوز ، والاديبان هيجو وبلزاك . . ثم وفد الى هؤلاء من وراء « الرين » اخوتهم فى الرضاع : هاينريك هاينى ، وفرانز ليست ، ومندلسون . . الخ

فى هذا المجتمع من الفنانين الحالمين الذين واتتهم الجراة على أن يتخيلوا فيصوروا عالما أفضل ، عاش الفتى البولندى الساهم المريض ! . كان يجلس الى البيانو فيسحرهم جميعا بفنه، بموسيقاه الشبيهة بأبيات الشعر! . . وفى احدى الحفلات التى أقامها الوافد الغريب كان بين الحاضرين « فرانز ليست » أعظم عازفى البيانو فى عصره، والى جواره جلس ساحر الموسيقى فيلكس مندلسون . . فلما بدأ الشاب البولندى فى عزف الحانه أحس الاثنان كأنهما يسمعان الحانا من السماء . . فلما انتهى من العزف افتتحا عاصفة حماسية من التصفيق له . . . وقد انتابت « ليست » على الاثر طائفة من الشكوك والهواجس خشى معها أن يكشف هذا المنافس الخطر ذو الوجه النحيل ضوء عبقريته هو . . لكن هذه الافكار الانانية لم تلبث أن تبخرت على وهج تحمسه لاكتشاف النجم الجديد . . وهكذا عاش ليست وشوبان الى النهاية أخلص صديقين . ولم يتوان الاول - يعاونه مندلسون - عن تشجيع الفنان المبتدىء وتقديمه للوساط الفنية والمجتمعات الرفيعة فى كل مناسبة ، فكانا أول من أخذوا بيده فى الطريق الشاق الذى اختطه لنفسه . .

لكن شوبان كان - على العكس  
من صديقه ليست - ناسك  
منزمتا ، مترفعا بطبيعته ، يكره  
المجتمعات ، ويخشى زحاه  
الجماهير .. ولو انه لم يكن  
ينردد في غشيان صالونات  
الارستقراطيين .. وحيثما كان  
يعزف لهم « كان الهواء يموح  
بحوريات من الجنة ! » ، على  
حد تعبير أحد معاصريه ! .. وبدأ  
الحظ يبسم له ، والمال ينهال  
عليه من الحفلات ، ومن دروس



البيانو الخاصة .. فاتخذ له مسكنا أنيقا ، وعقد صلات مع عدد  
من النساء اللواتي قدرن نبوغه فغمرنه بمزيج من شعور الشفقة  
والحب ، الشبيه بحب الام لطفلها .. لكن حبه اياهن كان مجردا  
من غريزة الجنس ، فان ضعف بدنه الهش اضطره الى أن يلتزم  
حياة العفة المطلقة ، وان تكن عفته الجثمانية الاجبارية قد أضفت  
على موسيقاه - كتعويض عن حرمانه - ثملا روحيا ، وروعة  
منمطة النظير ! ..

### الفالس .. والمازوركا .. والبولونيز !

◆ ولعل مما يدهش كل من يحصى الحان شوبان أن يجد  
عدها ضئيلا نسبيا ، بالقياس الى من سبقه من الموسيقيين  
المكثرين أمثال : باخ ، وهاندل ، وموتسارت ، وبيتهوفن ،  
وشوبيرت .. الذين كانوا ينتجون الحانهم بالعشرات ، والذين  
يعتبر شوبان الى جانبهم متكاسلا عقيما ! .. لكن الواقع انه كان  
من فئة الفنانين الذين يتشدون الكمال في انتاجهم ، فتراهم  
يدققون ويمحصون .. وهكذا لم يكن يضع « نوتة » واحدة بغير



عناية ، و لا يهمل المراجعة والتغيير والتبديل . . بل كان يعذب نفسه بالشك والتردد فى أدق دقائق ألحانه وأضال جزئياتها !

. . وكما كان انتاجه قليلا فى عدده كان أيضا محدودا فى سوعه وألوانه . فان جميع أسلافه من الموسيقيين المعروفين كانوا يدلون بدلوههم فى شتى أبواب التأليف الموسيقى ، فيضعون السمفونيات ، والاوربات ، والالحان الكنسية ، والحن الآلات الموسيقية المنفردة . . الخ - أما شوبان فلم يبعثر جهوده بل احتص بها آلة واحدة هي البيانو . . وحتى فى هذا المجال الصيق لم ينتج من الالحان الجدية التقليدية - وهي ألحان « السوناتا » و « الكونشرتو » - غير ثلاثة من الاولى واثنين من المانية . . أما أكثرية ألحانه فكانت من أنواع جديدة وغريبة على الفن الجدى حتى ذلك التاريخ ، وأهمها ثلاثة أنواع : الفالس والمازوركا والبولونيز . . التى وان كانت كلها معروفة من قبل الا انه انفرد فيها بلون خاص فريد ، ميزه عن جميع من طرقوا هذه الابواب الثلاثة . . حتى لقد أجمع النقاد على أن شوبان هو اول موسيقى سيطر على البيانو سيطرة أحاطت بكل طاقته وأخرجت مكنون كنوزه . . بل وانطقته بالحن لم يكن العالم يحسب انه - كآلة موسيقية - قدير على اخراجها . . الامر الذى أخرج الموسيقى الكبير روبرت شومان عن طوره حين سمع احدى مقطوعات زميله البولندى الناشء فهتف مأخوذا « أيها السادة ، ارفعوا قبعاتكم . . فنحن أمام عبقرى ! »

على هذا المنوال سارت حياة شوبان فى باريس حتى بلغ الثامنة والعشرين ، عام ١٨٣٨ . كان يؤلف الالحان للبيانو ، ويصق دما من رثيته الهالكيتين . ويحظى باعجاب الناس بموسيقاه . وسخرتهم من تخنئه . . حتى لقد بات فى أشد الحاجة الى دافع نفسانى جديد قوى ، والا عجز عن المضى فى طريقه . . فمن ذا الذى يستطيع أن يضع موسيقى قوية ، وقلبه خائر؟ . . وكانت

كآبته ما نزال تلازمه : « رغم انى ارى الخطرة حتى فى الشتاء ،  
فانى اراها براسى فقط » اما قلبى فهو دائما غارق فى الوحشة  
والصقيع ! »

وبالاختصار .. فقد كان فى حاجة الى حب قوى عارم يوقظ  
النسار الكامنة فى اعماقه .. أو الى لمسة سحرية تجرى  
تيار الحياة فى أصابعه المريضة !!  
عندئذ ، وفى اللحظة المناسبة ، اقتحمت عليه حياته الخاوية  
جورج صاند !

### الفرام الذى أوقد الشعلة !

◆ وغرام شوبان وجورج صاند يعتبر من أعقد الالغاز فى  
تاريخ الموسيقى العالمية - بل وفى تاريخ القلب البشرى قاطبة .  
هذا المركز المظلم للعواطف الانسانية !

فقد كان الفنان مختل الاعصاب ، لكن مدام صاند كانت تفوقه  
شدوذا ! كانت كتلة من المتناقضات النفسية . وقد زادت الحقيقة  
غموضا والقصة اضطرابا محاولات المؤرخين تحديد المسئول  
منهما عن النهاية التعمسة التى انتهى اليها حبهما الطويل .  
كما أسرف رواة حياة شوبان فى القسوة والمهاجمة لجورج صاند ،  
وصيغ شخصيتها باللون الاسود الفاحم ، مما يتنافى مع الحقائق  
فى كثير من المواضع .. وان يكن الامر المؤكد انها واحدة من  
أغرب الشخصيات النسائية التى عاشت على وجه الارض !

كان اسمها الاصلى « اورورا دوبان » .. انحدرت من سلالة  
الماريشال ساكس ، الذى كان ابنا غير شرعى لاوغسطس الثانى  
ملك ميسونيا ، وجرت فى دماء أسلافها كثير من اللوثات  
الاخرى المشنومة .. لكن ذلك كله لم يردع أسرتها عن القائها ،  
وهى فى الثامنة عشرة ، بين ذراعى زوج داعر فقط لا تحبه ،  
يلعى « كازيمير دوديفان » ، وكان من سراة الكريف فاحتلمته  
ثمانى سنين ثم لم تطق صبرا فهجرته ورحلت الى باريس

.. وهناك ألقت قصة طويلة نافهة بالاشتراك مع شباب اسمه حول صاندو - ومنه اشتقت لقبها جورج صاند - أعقبها بقصة أخرى ألقتها بمفردها وسمتها «انديانا» .. فظفرت القصة برواج عائل رفعها الى مصاف «أوسع الكتب انتشارا» في تلك السنة، ورفع مؤلفتها الى مرتبة الشهرة بين يوم وليلة ..! ومنذ ذلك التاريخ حتى آخر حياتها الطويلة - في سنة ١٨٧٦ - ظلت مدام صاند تؤلف القصص بنشاط خارق ، حتى جاوزت مؤلفاتها المائة كتاب ..!

لكن الشهرة التي وافتها صحبت معها السمعة السيئة ، فان مدام صاند لم تستطع أن تعيش على وفاق مع المجتمع أو تحترم تقاليده ، حتى في أبسط الامور ، وهو الزى النسائي ..! فحين بينت أنها تستطيع أن تذرع شوارع باريس في زى طلبة الحي اللاتيني ، منحت نفسها حرية ارتداء ملابس الرجال أينما ووقتها سمعت ..! حتى ليتمكن أن يقال انها كانت الزعيمة الروحية أو الجدة الاولى لانصار الحركة النسوية الذين أقروا حرية المرأة في عصرنا الحديث ..!

لكنها لم تكف بارتداء ثياب الرجال ، بل اقتبست عنهم هواياتهم ، فصارت تدخن السيجار ، ثم الجوزة ..! وحين رفعت ضد زوجها دعوى الطلاق أثار الامر ضجة وفضيحة شائنة، لكنها واجهت العاصفة بعدم مبالاة، مفضلة حريتها على سمعتها ..! على أن الشيء الذي لم يستطع أن يغفره لها مؤرخو حياتها - أكثر من مغامراتها العديدة الفساضحة وشلوذها - التحالها لنفسها ذلك الحق الذي كان دائما من حقوق الرجال الخاصة ، وهو حق إنهاء الصلة الفرامية وهجر الحبيب ..! فقد كانت دائمة التنقل بين أحضان الرجال وفق هواها ، وكانت هي التي تهجرهم في كل مرة دون سبب معقول ، الا العثور على عشيق آخر ..!

لكن مغامراتها جميعا لم تحقق لها السعادة المنشودة ، فكانت دائما نهبا للألم النفسى الناشئ من خيبة الامل والفشل فى الحب . . . !

وقد قضى « بلزاك » اياما فى ضيافتها ، ببيتها الريفى الكائن فى ضاحية « نوان » - فى يناير سنة ١٨٣٨ - فكتب يصف مساعره التى خلقتها فى نفسه اقامته عندها ، قال : لقد وجدت « الرفيقة » جورج صائد حالسة أمام المدفأة فى غرفة واسعة ندخن سيجارا . وكانت مرتدية بنطلونا احمر وجوربا جميلا وخفين أصفرين مزركشين بالحواشى والاهسذاب . . . أما عن جسمها فقد لاحظت ان أسفل ذقنها قد امتلأ شحما ولحما ، لكن شعرها ما يزال فاحم السواد لا يتخلله شعرة واحدة بيضاء ، برعم الكوارث التى تنابها فى غرامياتها ! وبالمثل لم تتغير بشرتها السمراء ، ولا عيناها اللامعان ، ولا طابع الغباء الذى يبدو عليها حين تستغرق فى التفكير ، فان جمالها كله - كما قلت لها بعد دراسة شخصيتها - يكمن فى عينيها ، حين تكون منبهاة !

### كيف بدأت العلاقة . .

◆ وقد التقت صائد بشويان سنة ١٨٣٨ ، ( وكانت قد نفقت يدها لتوها من علاقتها بالشاعر الفريد دى موسيه وختمت الفصل الاخير من قصة حبهما الحار العنيف ! ) . . . وكانت وقتئذ فى الرابعة والثلاثين - تكبر شويان بثمانى سنوات - والده طفلين شرعيين وراعية ألف ذكرى غير شرعية ! . . . لا تنى تبحث وتنقب عن تلك العاطفة الأسرة التى طالما حلمت بها . . . لكن أحدا من عشاقها لم يكن فى مثل قوة شخصيتها ، أرقوى منها بحيث يسيطر عليها ويخضعها ، ومن ثم فانها كانت لهم بمثابة الام والعشيقة فى آن واحد ! لكنها لم تخضع لواحد منهم خضوع العبيد ، وفى أثناء بحثها عن

عزوات جديدة كانت أسند النساء سؤقا الى من يفزوها ! .. وقد عبرت عن هذا فى مجال الحديث عن الاديب الفرنسى بروسبير مريميه - مؤلف قصة «كارمن» - بقولها : « لو ان ميرييه فهمنى لربما أحبنى .. ولو أحبنى لربما قهرنى .. ولو استطعت ان أخضع لرجل لكان فى ذلك خلاصى ، فان حريتى تخنقنى وتقتلنى ! »

.. وعلى ضوء هذه الطبيعة الطاغية نستطيع ان نفهم سر رفوع شوبان - رغم ذوقه المرفه وشغفه بالجمال - فى شباك هوى هذه المرأة المحرومة من الجمال ، بقامتها القصيرة البدينة وبسرتها السمراء كالهنود ، وأنفها الكبير وفمها الواسع ! .. ففى عدا عينيها الجذابين ، النسبيهتين ببخيرتين واسعتين من السواد السائل - لم يكن فيها ما يعجب شوبان ، بل كان فى طباعها الكثير مما ينفره ، ولا يلائم تحفظه وارسستقراطيته ! والواقع انها أحبته قبل ان يحبها ، فعلى أثر لقائهما الاول - الذى سبقته فترة انتظار ولهفة كان كلاهما خلالها يسمع عن شهرة الآخر ويتوق الى معرفته - كتب هو يصف شعوره فقال : « يا لها من امرأة منفرة .. ولكن أهى امرأة حقيقة ؟ اننى على استعداد لان أشك فى ذلك ! » .. فلما أقبل صيف ذلك العام ، وكانت صحة الفنان على غير ما يروم ، دعتة صاند كى يفضى فترة استجمام فى بيتها الريفى فى « نوان » .. فلم تمض أسابيع حتى كانت أشهر قصة غرام فى الجيل تغتمر فى قلبيهما ! .. صارت هى تدعوه « ملاكى » وتعنى به كما تعنى باطفالها ، بل وعدته بأن تكرس حياتها كلها فى سبيل شفائه من مرضه .. وسرعان ما بادلكها هو حبها بل فاقها فيه .. لم يعد يستطيع العيش بعيدا عنها ، وان أحس فى البداية بالخجل من غرامه الى حد العرص على كتمان أمره عن أسرته وأصدقائه ، والاحجام عن توجيه عبارات اهداء أى لحن من ألحانه اليها .. رغم كونها الموحية له بأروعها !

وفى الشتاء التالى ( ١٨٣٨ - ١٨٣٩ ) قررت صائد أن تقضى أشهراً فى جزيرة « مايورقا » ، وأقنعت شوبان بأن يصحبها هى وطفليها الى هناك . فذهب وهو يتوقع أن يجد فى الجزيرة جنة استوائية يسترد فى شمسها الدافئة صحته المضمحلة . . . لكن أقدامهم لم تطأ أرض الجزيرة حتى بدأت الامطار تنهمر بشدة ، والعواصف تعصف براحة الليل ، بل انه أصيب فوق أصابته بنزلة شعبية حادة . . . وسرعان ما تواترت الاشاعات فى الجزيرة بأنه مريض بالسل - فى وقت لم يكن يعرف فيه للداء الويل علاج ! - فحاول الاهالى الاعتداء على حياته أكثر من مرة . وتقاطر أطباء الجزيرة عليه ، يفحصون بصاقه ويسمعون رئتيه ويهزون رؤوسهم يائسين . . . أو على حد تعبيره فى أحد خطاباته : « انهم يعاملوننى كحيوان . . . قال أحدهم اننى سوف أموت . . . وقال ثان ان بينى وبين الموت خطوة . . . أما الثالث فقال اننى ميت بالفعل ! »

### أيام تعسة . .

ولم يكد يستقر بالوافدين المقام فى الفيلا التى استأجروها حتى أصدرت السلطات الطبية أوامرها الى شوبان بمغادرة المدينة فوراً ، وأعادت طلاء جدران البيت كله على نفقته . . . فاضطر العاشقان الى الانسحاب الى أطلال دير عتيق مهجور فوق التلال القريبة من البلدة ، لقضاء بقية « أشهر العسل » المشؤومة تحت سقفه . . . وكان الدير من ابنية القرن الخامس عشر المشيدة على الطراز القوطى ، سمك جدرانه ثلاثة أقدام ، وأسقفه شاهقة الارتفاع ، ونوافذه ضيقة صغيرة - مثل كوى السجون ! - وحجراته ( أو بالأحرى زناناته ) خاوية مخيفة ، وممراته رطبة مظلمة ومتعرجة مثل « بيت جحا » . . . وكان يطل على المقابر المحيطة التى يحدها سور من أشجار السرو . . . فاضطر القادمون الى أن يشغلوا منه ثلاث زنانات - أو « نعوش » على حد تعبير

شوبان ! - عاشوا فيها فى حال يرثى لها، وبؤس لا يوصف! .. وزاد الطين بلة ان الاهالى قاطعوهم ، فتعذر عليهم الحصول على غير الاطعمة القذرة الفاسدة !

وبعد أن قضوا فى هذا الجحيم ثلاثة أشهر ، قرروا العودة الى فرنسا ، قبل قوات الاوان ! .. وأثناء الرحلة لم ينقطع نزيف الدم من رثى شوبان .. وحين بلغا «برشلونة» فقد قدرا كبيرا من دمه قبل أن يتمكن الطبيب من وقف النزيف ! .. وعند وصولهما الى مارسيليا كان أشبه بشبح يسير على قدمين .. وهناك استراح الراكب أياما حتى عاودت المريض بعض عافيته فاستأنفا السفر الى بيت صاند الريفى فى « نوان » .. لكن سوء تأثير اقامته فى جزيرة « مايورقا » لم يزايله قط ، فلم يسترد صحته بعد ذلك يوما كما كان قبل الرحلة المشؤومة .. أما تعلقه بجورج صاند - التى صارت فى هذه الاثناء خليلته ، تحت تأثير الشفقة من جانبها أكثر من الحب ! - فقد تضاعف بعد البطولة التى أبدتها فى خدمته بالجزيرة ، والتفانى فى رعايته ! .. وفى فرنسا سارت حياتهما فى السنوات التالية على وتيرة واحدة . كانا يقضيان الصيف فى بيتها بضاحية «نوان» ، وبقية العام فى باريس فى بيتين متقاربين .. وكل مساء يلتقيان فى صالونها العامر بعلىة القوم ، فقد غدت وقتئذ أشهر امرأة فى أوروبا !

ومرت سبع سنوات ..

### ٩٠٠ الحلقة المفقودة

♦ أما الفصل الاخير من القصة فهو أكثرها غموضا واضطرابا، ففي سنة ١٨٤٧ انقطعت الصلة بين العاشقين ، فى ظروف اختلف فى تحليلها المؤرخون ، وان كانت تتلخص فى أن نزاعا عائليا نشب بين المرأة وبين ابنتها وابنها أثناء اقامتهم فى « نوان » ، فانهاز شوبان وهو فى باريس الى صف الابنة ضد أمها .. الامر الذى ساء صاند فكتبت الى عشيقها خطابا اعتبره

بمثابة فرار بطرده من حياتها وقلبها ! ٠٠ أما محتويات الخطاب بالضبط فما تزال مجهولة ، اذ مزقه شوبان بعد أن اطلع عليه صديقه الرسام ديلاكروا دون غيره ٠٠ وقد كتب الرسام في مذكراته يصف الخطاب بأنه « شرير وفظيع للغاية » ولم يزد! ٠٠ على أن المرجح أن المرأة كانت قد ملت الحياة مع حطام مقضى عليه بالموت البطيء ، وضافت ذرعا بسعاله المزعج ، فظلت تترقب الفرصة المناسبة للخلاص من أسره ٠٠ حتى وجدتها أخيرا ، فسارعت بانتهازها في غير رحمة ، آملة أن تقتنص من شبابها الباقي فرصة الظفر بغرام أخير مع رجل قوى صحيح الجسم يعيد إليها إيمانها بالحياة ، بعد أن لم يعد لدى شوبان ما يقدمه اليها ، وخاصة منذ أشبعت منه فضولها وشهواتها وهجرت حسمه العاني مكتفية بالاستمرار في صداقتها «الروحية» له ٠٠! على أن المنصف لا يستطيع أن يغمط مدام صائد فضلها على شوبان ، من أكثر من زاوية ٠٠ فقد طالما استحنته على الانتاج فاشبعت غروره كفنان وأرضت كبرياءه وطموحه الى الشهرة ٠٠ ثم غمرته بفضلها الاكبر حين سهرت على العناية بصحته فأطالت عمره سنوات، هي أحفل فترات حياته بالانتاج الفني ٠٠ ولا شك أنه لولا تمريرها اياه بنفس التفاني الذي كانت تعامل به فلذات كبدها لما عاش أكثر من أسابيع معدودة بعد عودته من جزيرة « مابورقا » المشؤومة ٠٠!

### اللقاء الاخير

♦ أما هو ، فلم يبق - بعد أن هجرته - ثمة شيء يحول بينه وبين ذراعى عشيقته التالية : الموت ! ٠٠ وفي انتظار عناقها الابدى لم يلق الفنان بعشيقته السابقة مدام صائد غير مرة واحدة بعد انفصالهما ، وكان ذلك في مارس سنة ١٨٤٨ ، حين تقابلا على سلم منزل صديق مشترك لكليهما ٠٠ وقد كتبت هي تصف ما حدث : « ضغطت على يده المرتجفة الباردة كالثلج ٠٠





كنت أريد أن أكلمه .. لكنه  
سحب يده وابتعد مسرعا ! ..  
وفي تلك اللحظة العابرة أنباها  
بأنها قد صارت جسة ، فإن  
ابنتها التي خاصمتها قد وضعت  
طفلا ! .. وحين عاد الى البيت  
كتب في مذكراته : « لم أعد  
أومن بالدموع .. فقد رأيتها  
تبكي ! »

والواقع ان القدر لو كان  
رحيما بالفنان المذب لختم صحيفة  
حياته عقب قطيعته مع مدام صاند  
مباشرة .. فانه في العامين

الذين عاشهما بعد القطيعة كان أشبه بالجنة التي تنحامل على  
نفسها وهي بثياب الكفن ! تفوح منه رائحة القبر ، ولا يخال  
من يراه أن تحت ثيابه بقية من لحم ودم .. بل صار أشبه  
بشخصية خرافية من شخصيات الاساطير ، أو شبح يسير على  
أنغام لحنه الجنائزي ، مشيعا نفسه الى مثواه الاخير ! ..

.. ولم ينتج فنا خلال ذينك العامين ، فان جناحه المكشوف  
- كبريائه - كان قد جرح في الصميم جرحا غائرا لا سبيل الى  
التثامه .. فضلا عن انه من العسير أن تطالب بالانتاج الفني  
شخصا سئم الحياة ولم يعد يريد أن يعيش ! ..

وحين نشبت في فرنسا ثورة ١٨٤٨ اضططر للانتقال من  
باريس الى انجلترا ، حيث قضى ثمانية أشهر كان خلالها موضع  
حفاوة وتكريم مجتمعان لندن ومحافلها .. لكن ظهره قد اجدوب  
من فرط نحوله ، وسعاله لم يكن ينقطع .. ورغم بؤسه فانه لم

يحجم عن احياء عدة حفلات لاغاة اللاجئين البولنديين ..  
وأخيرا نجا بنفسه من ضباب لندن البارد عائدا الى باريس ،

حيث أوشك ماله على النفاد ، لولا أن أسعفه اسكتلندية ثرية من تلميذاته بمبلغ ٢٥ ألف فرنك أرسلته اليه سرا ٠٠! وظلت ذؤابة الشمعة المترنحة تتأرجح فى مدينة النور أسابيع آخر ، كان فيها جسمه الفانى يتنقل بين قاعات الموسيقى فى العاصمة كالظل ، وموسيقاه الرقيقة تردد أغاني الريح والنجوم وغوامض الليل ، فيفهمها الشعراء والعشاق والاطفال ٠٠ لم يبق حيا منه غير ذهنه وأصابه فقط ٠٠ ونشرت الصحف نبأ وفاته أكثر من مرة ، قبل وقوعها ٠٠ وفى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٤٩ وقد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وسمعه يهمس : « لقد وعدتني بانى لن أموت الا بين ذراعيها ! » ثم أوصى الذين يحفون بفراشه : « عند ما أنتهى اعزفوا لى شيئا من الموسيقى ، فسوف أسمعها من العالم الآخر ! »

### عبقرية « موزار »

◆ سأل شاب ذات مرة الموسيقى الشهير « موزار » عن كيفية وضع « السيمفونى » ٠٠ فأجابه موزار : « انك شاب ، حديث السن ٠ فلم لا تبدأ بوضع المقطوعات السهلة قبل التفكير فى وضع السيمفونيات ؟ » فقال الشاب : « لكنك الفت سيمفونيات وانت فى سن العاشرة ، اليس كذلك ؟ » فأجاب موزار : « نعم ، ولكنى لم أسأل أحدا عن كيفية تأليفها ! »



غراميات الشاعر من أقوى عوامل وحيه . وشاعرنا اليوم هو «الغريد دى فينى» الذى اتصف الادب الفرنسى بمقطوعات من الخلد آياته ، وخاصة فى الفترة التى ألهم فيها وجدانه حبه وصلته بالمثلثة الفرنسية «مارى دورفال» ، التى اشتهرت فى عصرها بانوتها القوية وجالبيتها الفالقة .. وفيما يلى مقتطفات من أدوع ما «نثر» الشاعر فى رسائله الى محبوبته ، وهى رسائل تفيض بالالم الدافق والاسى المميسق :

- ١ -

باريس : ٣ يوليو ١٨٣٣

يا حبيبتي ..

♦ ان ما فاسيته بسببك منذ ان اتمتلى مسكنك الجديد، يجعل من الوصف ولا يكفى ما بقى من عمرى كى يجعلنى انساها .. ولكن ، اخيرا ، رأيتك بالامس .. وبعد الساعات الأربع التى قضيتها فى الهوى والقبل ، شعرت بانك قد فتحت لى روحك على مصرعيها ، كما اعتدت ان تفتحى لى لراعيكلا .. فشكرا لك ألف مرة يا ملاكى ، يا جميلتى الفالية .. فلقد استرددتك ! ان توبتك الرقيقة يا طفلتى قد محت كل شيء .. وما انا اعود فامنعك تقى ، وامهد اليك بهراسة حبك ، وشرفك ، فلا تنسى هذا .. ولا تفرطى فيهما اما ما بقى راسبا فى أعمال روحى من سينات الماضى ، فهو اقصى من الحزن .. هو التماسه ، والخيبة الفاللة .. وانى لاحس فى نفسى ، لأول

مرة في حياتي ، بمار فطيع .. فان الكلمات التي جاءت نفسي بالامس كي انطلقها قد اسخطتني على نفسي ، الى حد لا استطيع التعبير عنه .. احسست اني اقتطع قطعا من لحمي وعظمي ، وفي سبيل انتقامي طعنت قلبي ! .. انه لفظيع ما فعلت ، ولكن ثقي انه اشد ابلا ما لي .. منه لك !

### - ٣ -

الخميس ٤ يوليو سنة ١٨٣٣

( على اثر عودته من لقائها في الساعة الاولى صباحا ! )

يا حبيبتي ..

اعود من لقائك بقلب كسير يعاني هما يعوق الف مرة ما فاسيته منك في الماضي .. فلکم تسبيين لي قلقلنا وحزنا يا ملاكي الغالي ، ولشد ما تززعني في نفسي اسي ممضا يا جميلتي المسكينة المحبوبة ! والا ، او حقا تفكرين في ان تنيبي عنك «لوزا» في الكتابة الى بين الحين والحين ؟ انك لو اردت ان تلتليني شجنا وحزنا لما كان عليك ان تفعلني غير ذلك ! .. فان خط يدك هو الذي يلزمني ، وما انشده هو ظل ذراعك على الورق ، اليوم وغدا وعلى الدوام .. الى اخر نسمة من حياتي !

اواه ، اية فسوة ان تتهميني انا - انا الذي تعرفين ادق دقاتك شعوري - بانني لم ابدل من اجلك ما فيه الكفاية .. كانني استطيع ان احسن عليك بشيء ! .. ورغم ذلك فاني اصفح عنك ، ولئن كان في طوفي بقية من جهد يبذل فسوف تريته مراقبا من اجلك ، يوم تمنحيني ثقتك كاملة .. فانوسل اليك يا جميلتي «ماري» ان تكفي من اثاره الرعب في قلبي بتهديدا اياي على هذه الصورة في كل مناسبة .. وان تؤمنيني على المستقبل كما استطيع ان افكر فيك واكتب اليك وانا مطمئن الخاطر !

صباح الجمعة

لقد نال مني الاعياء الليلة فتمت نوما عميقا .. وحين صحت ادهشني ان اجد وجهي سايبا في دمي ، وعيني ما زالتا تفيضان ! اي حلم بالذ الذي تراءى لي فجعلني انشج في منامي ؟ .. لقد اسأت الي والتمني مساء امس ياملاكي الجميل ، فمتي تكفين عن فركك ؟ اما تعلمين كم احبك .. واي انفعال دائم يلهب قلبي من نهوك ؟

- ٣ -

## الخميس ٢٩ أغسطس

ما تزال الام راسي تملبني ، وشعوري بالوحشة يضئني .. فلكم  
احس اني وحيد ، لانك لست معي .. ولكم احبك يا حبيبتي الغالية ماري  
انك لا تكفين عن الشكوى من الحياة ، فماذا تركت لي انا اذن ؟ انك  
بميشين في اعياد متصلة ، اما انا فاعيش في شبه مستشلى .. وليطيل الى  
انك تتعمدين التظاهر نحوى بالفرحة والقضب كى توهمينى انك مهتمة بامرى  
اكثر من الواقع !.. اواه ، لن أستطيع المضى في الكتابة اليك الان فاننى  
مكتئب ..

وهكذا يمضى الشاعر فى خطاباته الى محبوبته على هذا  
النمط فيسكب على الورق أناته وآسائه ، وضحه وبكاه ..  
دون أن يرق له قلبها .. او ترق له دنياه !  
وهكذا الحياة !

## احلام .. مشرة !

◆ كان المؤلف الانجليزى المعروف « روبرت لويس  
ستيفنسون » يلهم الكثير من موضوعات قصصه أثناء  
احلامه ، فاذا ما استيقظ من نومه بدأ يكتبها !.. وقد  
روت زوجته فى هذا الصدد فى مذكراتها ما يلى : « صحت  
من نومي ذات ليلة على صوت صرخات مزعجة كان يطلقها  
زوجي وهو نائم ، فظننت انه يعاني كابوسا وأيقظته ..  
وكم كانت دهشتي حين عنفني غاضبا بقوله : « لماذا  
أيقظتني ؟ كنت أرى فى الحلم قصة رائعة ! »  
وكانت تلك بداية قصته المشهورة ( دكتور جيكل  
ومستر هايد ) !

## عزيزى القارىء ...

قدمت لك من القصص البوليسية في  
الاعداد السابقة : (لغز المرأة المخطفية)  
لاجانا كريستى .. و(جريمة شارع  
مورج) لادجار الان بو .. ثم (قارىء  
الافكار) لادجار والاس ..

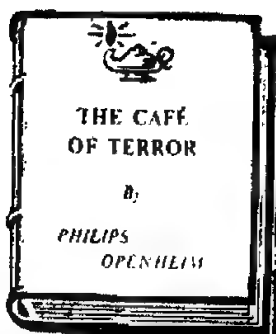
واليوم اقدم اليك فيما يلى هذه  
القصة البوليسية (حانة الرعب) لليليس  
اوبنهايم .. وقد ارتحلنا في هذه  
القصص على التوالي الى : لندن ، ثم  
باريس ، ومونت كارلو .. فشهدنا في  
كل عاصمة مظاهرة غامضة ..

ولى الاعداد التالية نظوف معا بمشيئة  
الله ببقية العواصم ، في ركاب هؤلاء  
السادة من الكتاب العالمين : البارونة  
اوركرى ، تشارلس ديكنز ، سير آرثر  
كونان دويل ، ادجار الان بو ، موريس  
لوبلان ، اجاتا كريستى ، سير والتر  
سكوت ، اونوريه دى بلزاك .. نيوفيل  
جوتيه .. واشنجتون لرفنج ..  
اوستن فريمان .. وغيرهم من كتاب  
القصص البوليسية وقصص الرعب  
والمغامرات ..

## رياضة الذهن



غوامض  
القصص  
البوليسى !



### المؤلف

يعتبر « فيليبس اوينهايم » من اطباء كساب قصص الجريمة والفصص البوليسية في اوروبا في اواخر القرن التاسع عشر وخلال الثالث الاول من القرن العشرين .. وقد جاء يوم كانت قصصه تنشر بعدة لغات في مختلف البلاد ، في وقت واحد .. وكان بارعا في حبك المواقف التي تنطوي على المفاجآت والانفعالات العاطفية .. وقد اعتاد ان يستمد موضوعاته من القضايا الدولية الواقعية .. قضايا الجرائم ، والاختيالات ، والجاسوسية ، والاختفاء في ظروف غامضة ، والفرار من يد العدالة ، او من يد الجريمة ، على السواء ..

كتب اول قصة له في العشرين من عمره ، فكانها كانت السادة التي ازيلت من طريق مادة فوارة ، اذ اندفع بعد هذه القصة في انتاج فياض من القصص القصيرة والمقالات ، فضلا عن الروايات الطويلة التي كان ينشر النتين منها في العام .. في المتوسط !

ومن اطرف مايروى عنه ، انه اقبل على كشف الخطر التوتوني والمطامع الالمانية في عدد من قصصه ومقالاته قبل وخلال الحرب العالمية الاولى ، مما اثار حقن السلطات الالمانية عليه ، فاصدرت خلال الحرب حكما باعدامه .. على ان ينفذ هذا الحكم حين تحتل القوات الالمانية إنجلترا ..

### نزهة تكشف عن جريمة !

◆ كان «المركيز» غاضبا في ذلك الصباح .. فما كان ليستمري المضي في ذلك الممر الجبلي الضيق المشرف على « مونت كارلو » ، المحفوف بالوهاد والصخور المقلقة ، والمكسو بالاعشاب والطحالب والاحجار الصغيرة .. وكان يفيظه منظر مرافقته «ماديلون» وهي تنطلق برأسها العاري وخطاها الخفيفة .. وضحكاتها المرحية تعلن أن هذه النزهة المضنية انما كانت تبعث في نفسها الجبور بدلا من الارهاق ! .. وكان يزيد من حقن صاحبنا المركيز ذلك الابتهاج الذي تبسدى على ثالثهم « مستر صمويل بيللينجهام » وهو يسير بخطى نشيطة ، وسيجاره في



مه ، كأنه لا يجد أية مشقة أو عناء .. حتى اذا اشتد بالمركيز التعب ، تهالك على كومة من الاحجار ، وراح بجفف بمنديله العرق الذى كان يتفصد من جبينه ، ثم صاح :

- لن أمضى خطوة أخرى فى هذه النزهة السخيفة .. أجل ، انها سخافة ! .. اننى لاشعر بالالام تجتاح معدتى ، وركبتى ، وظهرى .. مالهدا جئت ! .. أين السيارة ؟! .. وهتفت «ماديلون» فى رثاء :

- مسكين يا عماء ! .. لقد نسيت أنك لم تألف مثل هذه الرياضة .. وكان خليقا بك أن تعيش فى انجلترا كما عشت انا ، لتألفها .. ولكنى ما أظنك تنكر روعة المنظر الذى نطل عليه ! ..

وانساب نعليه على المنظر فى سيل من السباب باللغبة الفرنسية ، حتى فطن أخيرا الى ما قد يسببه للمستتر «بيللينجهام» من امتعاض ، فأمسك لحظة محرجا ، ثم قال :

- سأعتذر عما قلت ، حين تهدأ ثأترتى .. أما الآن ..

فأجابه «بيللينجهام» قائلا : «لم يبق أمامنا سوى مسافة نفل عن كيلومتر واحد .. اذ أعتقد أننا سنجد الطريق العام حلف تلك الاكمة .. وقد أمرت بالسيارة أن نلحق بنا هناك ، فلا ينقضى ربع الساعة يا «مركيز» حتى تكون فى «سان فليكس» ! .. فقال «المركيز» فى حيرة وهو يستوى قائما على قدميه : « آه ، لو استطاع المرء أن يجد شيئا من الشراب ! .. »

- سنعودك عن صبرك بالتأكيد .. فلقد قمت بهذه النزهة من قبل ، وأظن - اذا لم أكن مخطئا - ان ثمة حانة أو مقهى يقوم عند انتقاء هذا الممر بطريق العربات التى تحمل الاخشاب من الغابة ..

والفى «المركيز» فى هذا الامل ما يث فيه شيئا من القوة ، فعاد الى السير متعثرا .. وان هى الا خمسون ياردة تقريبا ،

حتى ألفى الثلاثة أنفسهم ينتهون الى الطريق الذى تسلكه عربان  
حمل الحشيش ٠٠ ولاح لهم عن كنب مبنى صغير أبيض ، فأشار  
المستر «بيللينجهام» قائلا :

— ها هو ذا مقهى الغابة ٠٠ ولعله أسوأ مقهى عرفته ، ولكننا  
لن نعدم فيه قسطا من خمر «ديبونييه» دون أن نصاب بتسمم ٠٠  
فقال «المركيز» وهو لا يتمالك نفسه من الابتسام : «لأبأس  
بخمر «ديبونييه» ٠٠ ان المكان يحمل معالم الفقر والقيادة .  
ولكننى أرجو أن نجد زجاجة من هذه الخمر لم يفض خاتمها ٠٠

### المقهى الهجور !

♦ وواصلوا تسلق الطريق دقائق أخرى ، انتهوا بعدها الى  
المقهى ٠٠ وكان المبنى صغيرا ، كثيب المنظر ، لا يشجع مظهره  
على الدخول ٠٠ وقد قامت فى خارجه ثلاث مناضد حديدية .  
حول كل منها مقعدان ٠٠ ولم يكن ثمة مايدل على الحياة فى  
المكان ، وان كان الباب مفتوحا ٠٠ وولج الثلاثة ، فلم يروا  
أحدا وراء مائدة «البار» ولا فى الحجرة الزرية المظهر ٠٠ وان  
رأوا زجاجات على الارفف ، وكوبا على «البار» مليئا الى نصفه  
بالكونياك ٠٠

ورفع مستر «بيللينجهام» عقيرته بالنداء ٠٠ وحلوا  
«الكونت» حنوه ، فلم يجبهما سوى صدى أجوف ، موحش ٠٠  
وترثشوا لحظة ، ثم تقدم المستر «بيللينجهام» الى باب خلف «البار»  
ففتحه ، واذا به يفضى الى مطبخ فقير فى اثاثه ، تتأثر فيه بعض  
البصل ، وتلى من سقفه مشجب علق فيه أرنب ذبيح ٠٠ ولم  
يكن ثمة نار موقدة ولا ماينم عن أن أحدا عمر المكان من عهد  
قريب ٠٠

وعاد مستر «بيللينجهام» ينادى ، فلما لم يتلق جوابا ،  
فتح بابا آخر يكشف عن درجات سلم ٠٠ ونادى الانجليزى فى

«بتر السلام» ، ولكنه لم يكن أسعد حظا من ذى قبل ، فكر الى زميليه قائلا :

- ليس في المكان مخلوق ما ..

فاقترحت «ماديلون» أن يبحثوا عن أهل المقهى في الخارج ، فانبرى المستر «بيللينجهام» للبحث ، وهو لا يكف عن النداء .. ثم ارتد عائدا وهو يقول :

- ان المكان مهجور !!

فقالت الفتاة : « لقد لاحظت أن القرية التي مررنا بها كانت تستعد للاحتفال بأحد الاعياد .. فلعل أهل المقهى ذهبوا اليها .. أو لعل الرجل الذي يتولاه يقطع خشبا في الغابة .. » وابتسم «المركيز» وهو يتأمل الزجاجات التي كانت على الارفف ، ثم أشار الى واحدة قائلا :

- ليس يعنيها سوى أنهم تركوا لنساء زجاجة من خمر «ديبونية» ، فلنفض سداداتها يا صديقي «بيللينجهام» فنظمي منها غلطنا ، ونترك الثمن ..

وتناول الزجاجاة من مكانها .. وسرعان ما وجدوا ثلاث كؤوس ، حملوها الى إحدى المناضد الحشنة القائمة خارج المقهى ، وجلسوا ينعمون بالشمس الساطعة ..

♦ ونفت من «ماديلون» زفرة ارتياح وهي تقول : « ان هذا المكان يبعث في كيائي قشعريرة .. فهو يبدو خاويا ، ساكنا .. فأجاب «بيللينجهام» : « انه في بقعة منعزلة .. نصبت اخشاب الغابة عندها ، فلم يعد يرتادها قاطعو الاخشاب .. » وقال «المركيز» : « خليك بنا أن نحمد للقوم صنيعهم ، اذ تركوا الباب مفتوحا في غيابهم .. ما شعرت يوما لحر «ديبونية» بمثل هذه النكهة اللذيذة .. ولكن ، كم بقي بيننا وبين البقعة التي تنتظرنا فيها السيارة يا صديقي «بيللينجهام» ؟ »

- لا أكثر من نصف كيلو متر .. وثمة درب غير وعر يفضي بنا الى السيارة ..

وتنهذ «المركيز» في ارتياح وهو يعيد ملء كأسه ، في حين أبت «ماديلون» أن تتناول مزيدا من الشراب .. وراحت تتلمل في جلستها ، ثم قالت :

- لست أدري لم أكره هذا المكان ؟ أترانى منساقا مع الوهم اذا قلت انه يبعث في نفسى شعورا بالرهبة ؟ ..

وأشعل «المركيز» سيجارا ، واضطجع في مقعده وقال :  
- اننى أدرك السر فى ذلك .. فها هو ذا مقهى على حافة غابة .. وقد اجتمعت كل الظروف المهيئة لقصة مؤثرة ..  
أذكر اننى قرأت مرة ..

وأسك عن الكلام فجأة ، وأفلت السيجار من بين أصابعه .. وقفز مستر «بيللينجهام» عن مقعده ، اذ رأى «ماديلون» تجمد فى مكانها وقد شحب وجهها ، وندت منها صرخة مرتاعة ..  
وأشارت الى نافذة تعلو باب المقهى ، وصاحت :

- لقد رأيت وجهها .. هناك شخص فى الحجرة ! ..  
فتمالك مستر «بيللينجهام» نفسه وقال : «وماذا يروعك من هذا ؟ لعل فى المكان مريضا رهن الفراش .. أكان ذلك الوجه لرجل أم لامرأة ؟ ..

- لست أدري .. كل ما استرعى انتباهى أنه وجه ! ..  
وأسرغ مستر «بيللينجهام» الى داخل المبنى فغاب حوالى خمس دقائق ثم عاد قائلا : «ليس فى الطابق العلوى سوى غرفة واحدة .. ولم أجد بها مخلوقا .. وليس بها مخبئا يلوذ به أى انسان .. ولا صوان ، فكل ما بها سريران يبدو من مظهرهما انهما لم يرتبا بعد آخر مرة نام فيهما صاحباهما .. ولكننى أؤكد أن ليس فى المبنى كله مخلوق واحد ! ..

فتطلعت اليه «ماديلون» وقالت فى اصرار : «وانا أؤكد اننى رأيت وجهها ..»



فقال «المركيز» : « لا بد  
وانك تستطيعين أن تحكّمي  
ما اذا كان وجه رجل أو وجه  
امراة »

— كدت أقول انه وجه شاب  
صغير ، لولا أن شعيره كان  
أسود كثا ، ومن ثم يحتمل أن  
يكون وجه فتاة .. وانما روعني  
مه عيناه .. ناشدتكما أن  
تصرفا معي ، فلست أقدر على  
البقاء هنا .. ولا على الخوض  
في هذا الحديث ثانية .. بنفسى  
شعور بأن شيئا رهيبا وقع  
هنا .. وكل ما أرجوه أن أنسى هذا المكان والوجه الذى  
رأيت ! ..

◆ **ودس مستر «بيللينجهام» ورقة مالية من فئة العشرة  
فرنكات تحت زجاجة الخمر ، ثم انصرفوا .. ولم يسيرا طويلا  
حتى لاحت لهم السيارة التى استأجرها المستر «بيللينجهام»  
لتكون تحت امرتهم فى ذلك اليوم .. فما أن استوا فيها حتى  
نهده «المركيز» فى ارتياح ، وقال المستر «بيللينجهام» :  
— والآن يا «مس ماديلون» ، لننس المقهى القدر ، والشبح  
الذى رأيته ..**

**ولكن نسيان ذلك الشبح لم يكن هينا .. فبينما كانت  
«ماديلون» تسير مع مستر «بيللينجهام» فى ذلك المساء ، بين  
كازينو «مونت كارلو» وملهى «شرو» ، اذا بها تتشبث بلراع  
زميلها فجأة فى ذعر .. وتصيح مرتاعة :**

**— انظر ! .. انظر ! .. هذا الفتى الجالس فى المشرب ! .. !  
وتبع بصر مستر «بيللينجهام» اشارتها ، فوقع على فتى**

يجلس الى مائدة فى مشرب قريب ، وقد بدا مظهره غريبا فى الوسط الذى كان يحوطه .. اذ بدت ملابسه - رغم جدتها - مخالفة لازياء الحضر ، شبيهة بتلك الملابس التى يرتديها الريفيون فى أعيادهم .. وكانت قبعته منزقة الى مؤخره رأسه ، مماثلة لقبعات أهل الجبال ، ذات حافة عريضه واسعة .. وقد بدا تحتها شعر أسود كث : أضفى على وجه الشاب مظهرا خاصا .. أما بشرته فكانت فى سمرة بشرة العمال الزراعيين .. ولكن عينيه كانتا أقوى مايجتذب النظر اليه .. كانتا واسعتين ، سوداوين ، لايشع منهما أى حبور يوحى بأن الفتى فى نزهة فى المدينة .. ولم تكن نظراتهما موجهة الى الناس ولا الى الاشجار والزهور ، ولا الى زجاجة النبيذ التى استوت أمامه على المائدة وقد فرغ نصفها .. وانما كانت تتراعى الى أفق بعيد غير منظور ..

**وقالت «ماديلون» : « هذا هو الوجه الذى رايتك هذا الصباح فى نافذة الطابق الذى يعلو المقهى » !**  
**وكانت يدها تتشبث بلراع زميلها فى انفعال ، فربت هذا عليها ملاطفا وقال :**  
**- يبدو أن منظر هذا الفتى اثار اعصابك .. امكث هنا وسأذهب اليه ..**

وتركها على أحد المقاعد العامة الى جانب الطريق ، ثم سار الى الفتى ، فسأله فى لغة فرنسية مفهومة :  
 - هل تنتمى الى ذلك المقهى المنعزل القريب من «سان فليكس» ؟ ..  
 وتطلع اليه الفتى لحظة فى ارتياح ، وقد انفرجت شفاه .. ولكنه لم يجب .. فعاد مستر «بيللينجهام» يسأله وهو ينتقى كلماته فى عناء :

- اننا لم نعر على أحد فى المقهى ، فخشينا أن يكون ثمة سوء ..

وهنا اندفع الفتى يتكلم بسرعة ، وانفعال ، في لهجة حاول مستر «بيللينجهام» جاهدا أن يفهمها ، ولكن دون جدوى !  
 .. فتلفت حوله ، وإذا «ماديلون» قد لحقت به .. فقال لها في حيرة .

- يبدو أن هذا الراعى يكلم لغة من ابتكاره .. والظاهر أنني ضايقته ، ولكننى لأفهم كلمة مما يقول ! ..  
 - هذه لهجة الايطاليين المقيمين فى اطراف «مونت كارلو» ، مدعنى أحاول التفاهم معه ..

وراحت تتحدث الى الفتى فى رفق وصبر ، ولكنه هز رأسه ، وملا كوبه من زجاجة الخمر ، ثم أشاح عنهما ، غير مكترث بوجودهما ، ولا بأسئلة «ماديلون» ، حتى برمت به أخيرا ، فجذبت صاحبها قائلة :

- هيا بنا ، فهو يابى أن يجيب .. انه يتظاهر بعدم الفهم ، ولكننى موقنة من أنه يعنى ما أقول .. فلنتركه ..  
 - أصبت .. وعلى كل حال ، فأمره لايعنيننا فى شيء ..  
 وانطلقا .. وتبعهما الفتى ببصره متجهما ، ثم تحول بملأ كوبه بمزيد من النبيذ ..

ولم يكد مستر «بيللينجهام» يسلم «ماديلون» الى بعض معارفهما ، حتى غافلها وتسلسل عائدا الى المشرب الذى رأى فيه الفتى .. ولكنه لم يجد لذلك الفتى أثرا ..  
 وهز كتفيه ، وحدث نفسه وهو يغالب قلقا غريبا خالجه :  
 « على كل حال .. أمره لايعنيننا فى شيء ! »

### غموض متزايد !

◆ ومع أنه كرر هذه العبارة مرتين ، إلا أنه وجد نفسه فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى ، يسعى الى المقهى القائم على حافة الغابة !

وغادر السيارة التي أقلته ، قبل أن يبلغ المفهى بقليل ، وقطع المسافة الباقية على قدميه .. ولم ير دخانا ينبعث من مدخنة المبنى .. وأجفل اذ رأى المائدة التي كانوا يجلسون حولها في اليوم السابق ، لاتزال تحمل الكؤوس والزجاجه والنقود ، كما هي . لم يمسهها أحد ! فتمتم لنفسه :

— يظهر أن أحدا لا يمر بهذا المكان الا نادرا .. ثم .. لابد أن الذي كان يعنى بالمكان غادره فى عجلة ، حتى انه لم يعز باغلاق بابه ..

**وولج المكان ، فاذا كل شيء على مارآه عليه بالامس تماما ..**  
 وفتح الباب المؤدى الى المطبخ ، ونادى بصوت مرتفع .. ولكنه لم يتلق جوابا ! .. وصعد الى الغرفة العلوية ، فاذا هي كما وجدها بالامس .. وفيما هو يهبط ثانية ، لاحظ بابا يفضى الى الغابة ، فتبين أن صاحب الوجه الذي رآته «ماديلون» فى النافذة . كان قادرا على أن يفادر البيت فى ثوانٍ فلائل خلال هذا الباب .. وارعد الى المطبخ ، ففطن الى باب صغير الى جوار الموقد . غفل عنه من قبل .. وكان يبدو كباب صوان انشئ فى الجدار . فسار اليه ، ودفع المزلاج الذى كان يقفله .. وقبل أن يجذب اليه الباب ، كان قد أدرك ما هناك ، فاسرع يخلقه ثانية .. وترنح فى وقفته والعرق يتصبب من جبينه ، وانفاسه تتتابع فى سرعة وتهدج !

### جثة فى دولا ب !

♦ ولم ينقض ربع الساعة حتى كان مستر «بيالينجهام» يجلس الى قاضى التحقيق فى قرية «سان فليكس» .. واذا تمالك نفسه ، راح يشتقى عباراته الفرنسية بعناء ، ليقول للمحقق :

— هناك امرأة قتلت فى حانة صغيرة عند طرف الغابة ! .. وشهق المحقق .. وشهق معه رجل البوليس الذى كان يرامله فى الغرفة .. وبينما اخذ المستر «بيالينجهام» يروى





القصة ، انهمك المحقق في تدوين  
بعض الملاحظات في انفعال ..  
فقد كانت جريمة القتل حدثا  
كبيرا نادرا في المنطقة ..  
ورفع المحقق راسه ليسأل :  
« اتقول ان ذلك الفتى .. ؟ »  
فقال المستر « بيللينجهام »  
متطردا : « انه غريب ..  
واغرب ما فيه نظراته .. انه  
بدو انه .. خائفا ، مذعورا ،  
كانها ثمة رعب يطارده .. ومع  
ذلك ، فان منظره لا يخلو من  
شيء يوحى بالخبت .. ! »

◆ وقال قاضى التحقيق للمستر « بيللينجهام » وهو ينطلق  
معه الى الحانة ، بصحبهما رجل البوليس : « ان المقهى يتولاه  
رجل طيب السمعة يدعى « بير آنسون » ، وقد اعتاد ان يقيم  
في المبنى معه ومع زوجته - وهى بلا شك القليل - قريب  
لهما في باكورة الشباب ، لم نسمع عنه ما يوحى بحسن  
السيرة .. وكان « آنسون » يلزم الحانة لا يبرحها الا مرة كل  
شهر ، ليشتري حاجيات التهوين .. اما زوجته ، فالمعروف  
انها كانت تدخر مالا .. واما الشاب ، فيقال ان امه قريبة  
لهما فقيرة ، تقيم في « انيس » .. ويقال ايضا ان سمعتها ليست  
فوق الشبهات ، وانها كانت تجد في ابنها عبئا ثقيلا ، وقد  
كادت تتخلص منه بطريقة ما ، لولا ان كفله « آنسون » وزوجته !  
وتسائل بيللينجهام : « ولكن .. الم يستثر اهتمامكم  
امر الرحلة الشهرية التى يقوم بها « آنسون » ؟ .. »

— الواقع ان الرجل حسن السمعة كما ذكرت لك .. به  
ان بوسعه ان يتعلل بأنه يطوف بالاسواق ، وهى عادة القوم  
هنا ، فليس ثمة ما يدعوا الى الريب ..  
— وابن هو الآن ؟ ..

— حدث من ثلاثة ايام ان تلقى نبا عن وفاة قريب له فى  
«مارسيليا» .. وقد عرفت ذلك لانه جاءنى يستفهم عن  
الاجراءات التى يجب ان تتخذ لدفن الميت .. ثم رحل . وكان  
المرتقب ان يعود الليلة .. وقد ترك زوجته وابن قريبتها  
وحدهما .. وما اظن المرء فى حاجة الى عناء ليحدث ما جرى !!  
فزفر مستر «بيللينجهام» فى اشفاق ، وقال على كره منه :  
— لقد كان ذلك الشاب — الذى تبينت الان انه ابن قريبه  
زوجة «آنسون» — يشرب الخمر فى «كافيه دو بارى» بموت  
كارلو ليلة امس .. وقد ارشدتنى اليه الفتاة التى كانت معى  
فى المقهى .. اذ اكدت ان وجهه هو نفس الوجه الذى لاح لها  
فى نافذة الغرفة التى تعلو المقهى ..  
وهز المحقق رأسه قائلاً :

— الواقع انها جريمة غير مستغربة فى هذا الوسط ..  
فان اراقة الدماء تبدو هينة للريفى الذى من هذا الصنف .  
اذا ما لعبت الخمر برأسه واستهوته المتعة التى ينتظر ان ينعم  
بها اذا ما توفر له المال .. !

وصل ثلاثتهم الى المقهى ، فغاب المحقق ورجل البوليس  
فى المبنى ، بينما آثر المستر «بيللينجهام» ان يجلس فى الخارج .  
مشفقاً على نفسه من رهبة الجو الذى كان يخيم على المكان ..  
وعاد الرجلان اليه بعد ساعة ، فقال قاضى التحقيق  
يخاطب بيللينجهام :

— ان الامر واضح لا يحتاج الى امان فكر .. لقد

اختفى مال المرأة المسكينة .. ولن ينقضى يوم حتى يكون  
الفتى في قبضتنا .. وما اظنك يا سيدى تفن بحضور التحقيق  
لتدلى بشهادتك ! ..

وهز رأسه فى رثاء وقال : «مسكين آنسون» .. لسوف  
يعود بقطار المساء .. فما أبشع ما سيجده فى انتظاره ! ..

### لايكف عن طلب النقود !

♦ وكان منظر «آنسون» فى قاعة التحقيق فى الصباح التالى  
مدعو الى الاشفاق حقا .. كانت الفجيعة قد احدث ظهره  
وهدت كيانه ..

وكانت «ماديلون» تأمله باهتمام ، اذ اصرت على ان  
تسحب المستر «بيللينجهام» الى التحقيق ..  
وسال المحقق المسيو «آنسون» عما يعلمه عن نقود  
زوجته ، فقال وقد تبادرت الدموع الى عينيه وانحدرت على  
وجنتيه فى اسى :

— كانت شديدة التقدير .. وكانت تنكتم مالها ، حتى  
انها لم تذكر لى مقدارها قط ..

— وهل كان قريبك الشاب — الذى القينا القبض عليه  
— اهل لان تترك زوجتك معه حين سافرت الى «مارسيليا»  
لتدفن قريبك المتوفى ؟ .. كيف ائتمنته على زوجتك فى تلك  
البقعة المنعزلة وانت تدعى ما يسمعه الكل من ان سمعته ليست  
فوق الشبهات ؟ ..

— اننى ادرك انه كان لا يكف عن طلب النقود ، ولكنه كان  
.. ابن اختها ! .. وما كنت أحسب انه يقدم يوما على عمل  
فظيع كهذا ..

— ابن اختها ؟ .. واين امه ؟ ..  
ورفع الرجل بصره مرة اخرى فى وجوم .. ثم قال  
والدموع تنساب من عينيه :

— لست ادري .. اظنها في «نيس» .. ان علاقتنا منقطعة بها !..

— واين اعتدت ان تذهب كل شهر ؟ ..  
ووجم الرجل مرة اخرى ، ثم قال : «كنت اذهب لابتياح حاجات الحانة من مؤن» ..

— من اين ؟ .. من «نيس» مثلا ؟ ..  
— منها .. ومن سواها ..  
وانخرط الرجل في البكاء .. وانحنى القاضى على الاوراق التى كانت امامه يفحصها ..

وخطت «ماديلون» اذ ذاك بضع كلمات على وريقة دفعت بها الى المسنر «بيللينجهام» فالقى عليها نظرة ، وتطلع الى «ماديلون» فى دهشة .. وارسل الوريقة الى قاضى التحقيق الذى تأملها بدوره لحظة ، ثم فرقها بين اصابعه ، وسال «انسون» بغتة :

— اين نزلت فى «مارسيليا» يا «بيير آنسون» ؟ ..  
فتطلع الرجل اليه فى وجوم كمادته ، واذ ذاك اعاد المحقق سؤاله ، فhez رأسه واجاب :

— فى نزل صغير على مقربة من الميناء ..  
— ما اسمه .. وما عنوانه ؟ ..  
— لست اذكر .. انه نزل صغير قريب من المكان الذى توفى فيه ابن عمى ..

والآن ، ايها القارى .. ها هي ذى كل تفصيلات الجريمة .. وهي قد لاتحتوى على ادلة مادية تحدد القاتل ، ولكن المعلومات غير السادية وافية ضافية . تكفى على الاقل لتوجيه اصبح الاتهام .. فإى الرجلين ترجع ان يكون القاتل الحقيقى ؟ .. امتحن ذكراك ولطنتك ، فلذا وصلت الى نتيجة ، فانظر بنية القصة على صفحة ١٧٤ من هذا العدد

**تعال معي.. إلى بلاد الرانوب**

للمحالۃ ۱۰ ف . ۱۰ اردو سے

نهر السحر والجمال .. والمتناقضات!

◆ بين لحن «شتراوس» الخالد - «الدانوب الأزرق» - وبين موسيقى الفجر ذات الانغام الساحرة .. بنسب «الدانوب» حالما ، يشر في رؤوس الشعراء أبدع الخيال .. وفي نفوس الموسيقيين أدوع الانغام .. وفي قلوب الشباب اسمى ألوان العاطفة .. وفي نفوس الناس طرا أجمل المني والاحلام !

على صفاه يلتقى القديم بالجديد ، فينوب كل منهما في الآخر ليخلقا جواً لنا بما بذانه لا شبيه له في قديم ولا في جديد .. يلتقي الشرق بروحانياته وتقاليده ، والغرب بمبادئه و«تقاليعه» ، فيمتزج كل بالآخر ، والذا منهما عالم فريد في نوعه ، لاهو الى الغرب ، ولا هو الى الشرق .. لا هو الى الروحانيات ، ولا هو الى الماديات ..

ذلك هو .. «الدانوب» .. اطلول انهيار  
اوربا .. يستمد مياهه من بلد يؤمن بالقوة  
والروح العسكرية - اذ ينبع من القابة السوداء  
في المانيا الجنوبية - ويصب مياهه في بحر  
يتنازع السيادة فيه بلدان ، يؤمنان ايضا  
بالقوة والروح العسكرية - وهما تركيا وروسيا  
.. وفيما بين المنبع والعصب ، ينساب هادئا ،  
حالا ، في ست دول ، تعمقت القوة والروح  
العسكرية ، لانها تؤمن بالسلام ، والحب ،  
والفن ، والادب ، و.. العربية !



## مع الدانوب عبر النمسا

♦ والدانوب يبدأ صغيراً ، متواضعا .. ثم يأخذ في النمو والانتساع ، كلما ابتعد عن ألمانيا وأوغل في الأراضي النمساوية ، حيث يتعرف على ثاني شعب يعيش على مجراه ..

ونصف أهل النمسا تقريباً من الفلاحين المدينيين ، المصريين على النمل بتقاليدهم ، وبزيهم القومي القديم . وهم مثال للجهد والكدح والعمل المثمر .. فما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، حتى تشط النمساويون لبناء اقتصادهم القومي من جديد ، فاذا صناعات الألبان والجبن التي أنشأوها تنافس أشهر الصناعات المائلة في بقية أجزاء العالم .. وإذا محاصيلهم من بنجر السكر والبطاطس تنتعش .. وإذا هم يستنبطون من الغلال ما يكفيهم مؤونة الاستيراد .. ولم تنقُص خمس سنوات حتى كانوا قد شيدوا شبكة من الفنادق في طول بلادهم وعرضها ، اجتذبت السياح من مختلف البلدان ، في مختلف فصول السنة .. فان النمسا تمتاز بمصايف على ضفاف البحيرات ، ومشات على سفوح الألب النمساوية التي تتيح ميادين لهواة الانزلاق على الجليد ، فضلاً عما فيها من مراعي وغابات تدر الأخشاب .. وليست هذه كل ميزات جبال النمسا ، بل أنها تضم في جوفها ثروة طاقه من الفحم والحديد مكنت للمصانع أن تقوم وللأهالي أن يجدوا ميادين للعمل ..

ليالي الانس في « فينا » !

♦ على أن كثيراً من الصناعات النمساوية راحت تزحف حتى استقرت في « فينا » وضواحيها .. في العاصمة التي أبت أن تكون للنمسا وحدها ، فانتسبت لنفسها صفة دولية صبغت كل نواحي الحياة فيها ، وتمثلت في كل شيء .. بل وفي أهلها أنفسهم .. حتى ليقال أن أشد أبناء « فينا » انتهاء إليها لا يعدم بين أجداده جداً « تشيكياً » وجدة مجرية !

ويتعرف « الدانوب » في « فينا » على أول الوان حياة الشرق .. فهي أول مدينة في أوروبا الشرقية تجد فيها المقاهي الزاخرة بالرواد من هواة التسلية وقتل الوقت ، حتى لتكاد تكون تلك المقاهي من المنتديات التي لا غنى للمجتمع عنها ! .. وفي حوانيت فينا تسمع أولى عبارات الجدل والمساومة بين الباعة والمشتريين .. على أن أجمل ما في « فينا » حقاً ، هي ملاحيتها ، وموسيقاها ، و.. لياليها الحافلة بالانس والطرب .. لم ينتقص منها أنها اليوم مؤزمة بين أكبر كتلتين تتنازعان النفوذ في تاريخ المسرح السياسي الدولي ..

## الى تشيكوسلوفاكيا .. بلد الحرية !

♦ ومن النمسا ، ينحدر «الدانوب» الى «تشيكوسلوفاكيا» ، الدولة التى ظهرت فى الوجود فى اعقاب الحرب العالمية الاولى ، فسرعان ما ضربت للعالم مثلاً فى تعشق الحرية وتشرب معانيها وروحها ..

والشعب التشيكوسلوفاكى تواق الى تنمية مواهبه الطبيعية واستغلال خيرات بلاده ، رغم النكبات التى جثمت على صدره نتيجة للحرب العالمية الثانية .. وليست القومية لدى التشيكين مجرد نغمة وعاطفة ، وانما هى فلسفة متغلغلة فى اعمال نفوسهم .. ومن هنا ينبعث رجاء الديمقراطية فى انهم لن يلبثوا يوما أن ينتقصوا على ربة الشيوعية

وقد يبدو التشيكيون شعبا هادئا ، وادعا ، ولكنه اذا تارت مشاعره ، انقلب متحمسا ، متقددا فى حماسة .. وهو من ارقى الشعوب حضارة ، ومن ثم تجد افراده يبرزون فى العلوم والاداب والفنون .. وتجد فادته وزعماءه بن استاذ ، وعالم ، واديب ، وفنان ..

♦ على أن الصفة الغالبة فى التشيكين هى انهم عمليون .. لم يكادوا يظنون الى ثروة بلادهم من الحديد والفضة حتى اقاموا الصناعات .. ويكفهم فخرا أن منهم سليل اسكافى - هو «توماس باتا» - استطاع ان يقاوم الحفاء فى مختلف أرجاء العالم ، من الهند حتى أقصى امريكا الجنوبية ، بفضل ما ابتكر من احدثية رخيصة !

وهم ايضا صناع بيرة «بيلسن» ذات الشهرة الدالعة فى مشارب الدنيا .. فهم شعب ينزل البيرة منزلة الماء .. وتجد الصغار والكبار يلتفون حول اقتادحها فى المشارب يتجاذبون اطراف الحديث .. وللمقاهى عندهم مالهى فى «فيينا» من انتشار ، لا يفوقها فى ذلك سوى المطاعم .. حتى ليقال ان بين كل متجر وآخر فى شوارع «براغ» ، مطعما للشواء ، يقدم «السجق» واللحم المشوى لرواده فى أية ساعة من النهار او الليل ..

ويهوى اهالى المدن الصغيرة والقرى تكوين الجمعيات .. ومن النوادر التى يتفككون بها فى «بوهيميا» ان ما من ثلاثة من التشيكين اجتمعوا ، الا وانلقوا على انشاء جمعية ، يوففون انفسهم على احيائها .. ومن ثم تجد فى كل قرية فرقة للتمثيل ومنتدى رياضيا يخضع فى الغالب لهيئة «سوكول» التى كانت تشرف على الرياضة فى البلاد كلها ، والتى لقى الشيوعيون منها اقوى مقاومة فى بداية حكمهم ..

## بين دخان الغليون وقصص المغامرات

◆ ويتنشر التشيكيون في أرجاء العالم ، حتى أنك لتجد منهم صاحب مشرب ، او مهندساً ، او ترزياً ، او أسكافياً ، في أقصى مجاهل الأرض .. ويتألف الشطر الثاني من هذا الشعب من فلاحين «السولفاك» الذين يعيشون في جبال الكريات ، لا يشاطرون «التشيكيين» ولعهم بالنشاط الاجتماعي ، وإن كانت لهم اجتماعاتهم الريفية الخاصة ، حيث يرددون الاغاني السلوفاكية الملته بالشجن ، وحيث يمارسون رقصاتهم القومية ..

و«السولفاك» قوم مغامرون ، اعتادوا - قبل أن يساهموا في انشاء دولة «تشيكوسلوفاكيا» - أن ينتشروا في الأرض .. وكمن من آلاف منهم هاجروا الى كندا والولايات المتحدة .. فكانوا يمارسون مختلف المهن ليجمعوا الاموال ، بينما يبيع زوجاتهم واولادهم في ارتقابهم في وطنهم .. فاذا عاد الواحد منهم بعد سنوات ، كان في جيبه من المال ما يكفيه لان يشيد لاهله داراً ، وان يقفيل الى اراضى اسرته مساحة جديدة ، وان يقضى ما تبى من العمر «دخن» الغليون» وبروى الاقاصيص عن غرائب الامريكيين و«تقاليعهم»!

## سادة المجر .. و «أكل» الديون !

◆ وينتقل بنا «الدانوب» بعد ذلك الى «هنجاريا» ، أو المجر .. وأهل المجر ما يزالون يعيشون في ذلك الجو «الرومانتيك» الساحر الذى يسود سهول آسيا التى هاجروا منها منذ نحو قرنين من الزمان .. وهم يتحدثون بلهجة تعالى كاهل الشرق ، ويحدثون سريعاً فلا يقضى مشاحناتهم سوى الخناجر ..!

وتتمثل ثروة المجر في سهولها المنخفضة .. حيث يعيش اكثر المجريين احتفاظاً بصفاة عنصرهم ، عاكفين على الزراعة ، وتربية المواشى والاعنام والحياد .. تماماً كاهالى السهول الاسيوية التى انحدر اجدادهم منها ! ولقد كان ثروة المجر يعيشون الى عهد قريب عيش السادة في عهد الاقطاع ، لا يراولون سوى ارقى الاعمال الرفيعة .. كملكى الضياع ، وشغل مناصب الجيش العالية .. وكان من حكم القوم الماثورة : «اذا شئت ان تبدو سيداً ، فلا تبد دهشة لشيء ، ولا تتعجل في أمر ، ولا تكن من الغباء بعيب .. تسدد ديونك» !.. ولكن ترفع الثروة يسف الى درجة ترك الاعمال المالية والتجارية، والصناعة والعلوم والادب، للطبقات الوضيعة .. بالنسبة اليهم..



وكانت «بودابست» - عاصمة المجر - عروس «الدانوب» الى ما قبل الحرب الاخيرة .. تستلقى على ضفتيه ، فاتحة احضانها ليلقى كل مسافر بنفسه فيها ، ولو لبضع ساعات ، يرناد خلالها مقاهيها المديدة ، وفنادقها الفاخرة ، ومطاعمها الانيقة ، ومشاربها .. ومسارحها .. وصالات الموسيقى .. وغيرها من الملاهي التى تتصاعد فى جوها أنغام «الفجر» الساحرة !..

### والآن الى .. يوجوسلافيا

♦ ثم يلتوى «الدانوب» الى الجنوب الشرقى ، ليصل الى «يوجوسلافيا» .. أى بلاد «السلاف» الجنوبية !.. اذ تضم أبناء العناصر «السلوفينية» و«الصلبية» و«الكرواتية» .. وكلها من «السلاف» الذين وفدوا على اوروبا قبل المجر بمائتى عام ، ثم فرقتهم الفوارق الدينية ، وان ظلت لغتهم واحدة فى اصلها لم تفرها سوى شوائب فى اللهجات ..

و«يوجوسلافيا» من بلاد البلقان فى الواقع .. وهى جبلية فى الغلب بقاعها ، واهلها هم اكثر البلقانيين ديموقراطية ، اذ انهم جميعا سلالة فلاحين اشداء ، ذوى اجسام فارعة عريضة ، وقلوب ساذجة نظيفة .. ولذلك تجد القوم مطبوعين على الطيبة ، والود ، والكرم ، وحب المعاشرة .. لا تكاد نمل الحديث اليهم ، ولا الاستمتاع بطعامهم وشرابهم ورقصهم وفنائهم .. ولا هم يملونك او يفسنون عليك بشئ اذا مالت اليك قلوبهم !.. وما اسمعك لو دعيت الى حفلاتهم واعيادهم القروية ، حيث ترى بعض طقوس من بقايا الوثنية .. ولعل اظهرها موكب «الدودول» - حين يشتد الجفاف والقحط ، اذ تخرج نساء القرية فى زى خاص غريب ، فيجسسن خلال الحقول ينشدن اغاني حزينة يتوسلن فيها الى الامطار ان تهطل ..

### قدح للترحيب .. وقدح يدعوك للانصراف !

♦ على ان الكرم ليس وقفا على قرى «الصلب» ، بل انك لتجده فى مدنهم ايضا ، حيث لا تزور صديقا - فى بيت او متجر او عمل حكومى - الا وقدم لك القهوة التركية ، ومضى يتنقل بك بين الاحاديث جميعا ، الا حديث العمل .. ثم تفاعا بالقهوة تقدم ثانية وانت لما تطرق الموضوع الذى جئت من اجله .. ولن يقدم لك ان تطرقه الا فى زيارة لانية - لان القدح الثانى من القهوة معناه فى عرفهم .. تفصل .. غير مطرود !..

ويولع أهل العرب - ببقية البلقانيين - بالحديث ، وخاصة حديث السياسة .. ولا تكاد تصادف عددا منهم - في مقهى أو مطعم أو أى مكان - إلا وجدتهم يتكلمون عن آخر الأحداث ..

وعلى نقيضهم «السلافيين» .. سلاف الجنوب الغربى ، الذين تسربوا من «ترىستا» .. هؤلاء يشبهون في حياتهم المان النمسا الى حد كبير .. ولقح بلادهم بين جبال الالب الجنوبية ، وقد تناثرت فيها البحيرات الجميلة .. وهم أكثر اليوجوسلافيين اقبالا على ممارسة الصناعات ، ويرتدون الثياب الغربية ، على عكس معظم مواطنيهم ..

### بين عشائر «الكروات»

◆ ويجاورهم - الى الشرق - الكروات .. سلالة قوم محاربين ، لا تزال تبدو انقاض معسكراتهم الدارسة في القرى ..

وهم فلاحون ، يتشبثون بتقاليدهم وازياتهم القومية .. ويتعصبون في ولائهم للكنيسة الكاثوليكية .. وقد كان هذا الولاء الدينى من الاسباب التى ادت الى تمرد يوجوسلافيا الشيوعية على نفوذ روسيا منذ اربعة اعوام .. ويعتز «الكروات» بالروابط العائلية ، فلا يكاد القروى منهم يبلغ الثامنة عشرة ، حتى يسمى للزواج .. ولا تكاد الفتاة منهم تبلغ الخامسة عشرة حتى تغدو صالحة لان تكون زوجة .. وتستمر افراح القران عندهم ثلاثة ايام تقدم فيها اللحوم والحلوى والخمور بسخاء وكرم ، ولا يكاد القوم خلالها يكفون عن الفناء والرقص ..

ومن تقاليدهم أن ينشأ الاطفال في رعاية جدتهم وجدتهم ، بينما ينطلق الوالدان للعمل في الحقل ورعاية المواشى .. وتستأثر الزوجة ببعض الدجاج والبان الماشية تبيعها وتفق ثمنها في شراء لوازمها .. وتمتاز بلاد «الكروات» بخصوبة سهولها ، ومن ثم يعتبر أهلها اغنى وارفع مكانة من بقية البلقانيين ..

### المرأة المسلمة تذهب الى عملها « كحجة » !

◆ اما مقاطعتا «البوسنة» و «الهرسك» فجيلتان ، تكادان ان تكونا بمعزل عن بقية البلاد .. ولا تزال تتوج قمم جبالهما اطلال القلاع القديمة .. وتمتازان من بقية اودبا باتهما تسمان أكثر من مليون مسلم من سلالات العرب والكروات والأتراك .. وهم من أشد المسلمين تمسكا بتعاليم دينهم وتقاليده ، فلا تزال «المشربيات» تعجب نوافل بيوتهم عن أعين المتطلعين ، ولا تزال نسائهم لا

يرين في الطرفات الا متحجبات ، ملتفات في اللآلئ ، في حين يحرس رجالهم على ارتداء الطربوش أو العمامة ..

وفي صحنون مساجدهم ، ترى العلماء يرتلون القرآن .. ومن فهم مآذنه ينبعث الاذان في اوقات الصلاة .. وفي بيوتهم لا يزال قسم «الحريم» ذا حرمة وقداسة .. وليس ادعى لفضب المسلم منهم من أن تساله عن زوجته ، على عادة الغربيين .. أو عن زوجاته ، فان كثيرا منهم يقدم على تعدد الزوجات وافصى مسامرة للعادات الغربية عندهم ، هي أن يصحب «الافندى» الزوجة الانثى لديه الى مطعم ليتناولوا العشاء . ولكن اى غريب لا يستطيع - مع ذلك - أن يراها في بيتها ، أو أن يحييها في الطريق .. وهي قد تخرج الى السوق وحدها ، وفي أحدث الأزياء ، ولكنها ابدا محجبة الوجه .. وقد تعمل المسلمة في المتاجر أو المكاتب والشركات ، فاذا خرجت الى عملها ، حرصت على أزارها وحجابها ، لا نخلعها الا بعد أن تستقر في مكان عملها .. ومهما بلغت درجة تعلمها ، فهي ابدا لا تأخذ بالسفور !..

### صقور الجبل الاسود !

◆ بنفى ركن من «يوجوسلافيا» عبر الجبل الاسود ، تقيم فيه عشائر «مونتيجرو» الصربية .. واهل هذه العشائر - رجالا ونساء - طوال القامة، نحاف الاجسام ، محاربون اشداء ، وتجار ورعاة مهرة .. كانوا حتى الحرب العالمية الاولى يقيمون بين صخور بلادهم السوداء ، في حياة تشبه حياة العصور الوسطى .. وكانوا يؤلفون امانة منفصلة ، يرأسها امر أو قيصر .. ولكنهم انضموا عقب الحرب الاولى الى «يوجوسلافيا» منذ انشائها .. وصقور الجبل الاسود ، خصوم اشداء اذا استثيروا .. ولكنهم في العادة ذوو ود وكرم .. يحتفون بالغريب ، ويرعون الاجنبى ويولونه صداقتهم ..

### تعال نسبح الى .. بلغاريا

◆ ويعرج «الدانوب» بعد ذلك على افقر بلد في وسط بلاد «البلقان» .. على «بلغاريا» التى تمتد خلالها جبال «البلقان» الشامخة التى يطوف القموص بقممها ..

ويعيش البلغاريون على الاغنام ، و«عباد الشمس» ، والتبغ ، والورد .. فمن الاغنام يحصلون على اللحوم واللبن الذى يصنعون منه «الزبادى» والعجبن، وهما أهم اصناف طعامهم .. ومن بلور «عباد الشمس» يحصلون على الزيت

.. أما بنفهم - وهو من أجود الاصناف التركية - وأما زيت وردهم - الذى يعتبر من احسن الزيوت العطرية - فيؤلفان أهم مادتين في صادراتهم التسجارية ..

وقد ادى عدم وجود مناجم او صناعات في البلاد الى اقبالهم على النزوح فى اوائل ربيع كل عام الى اوروبا الوسطى ، ليستأجروا الاراضى فى المجر والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا ، فيزرعونها بالخضر التى يمدوا بها الاسواق المحلية .. حتى اطلق عليهم لقب «بستانيى الخضر لاوربا الوسطى» .. وقد اعتادوا أن يقضوا فى هذه الحال تسعة شهور من كل عام ، يعملون خلالها دائبين لاربعة عشرة - بل لثمانى عشرة ساعة - فى اليوم ، قانمين بالعيش الكفاف ، ليعودوا الى أهلهم فى أواخر الخريف بما يكفل لهم العيش بقية العام ..

ولا يحب البلغار شعبا قدر حبهم روسيا ، فهى التى حررتهم من ربقة الاستعمار العثمانى فى سنة ١٨٧٧ ، وفيها مركز الكنيسة التى يتبعونها .. وقد ازدادت علاقتهم بالروس توطدا بعد أن حرروهم من الاحتلال النازى ايضا فى الحرب الاخيرة ..

### رومانيا .. آخر دول «الدانوب» !

◆ وبعد أن يبلّح «الدانوب» مدينة «بلغراد» ، يتسلل الى رومانيا .. آخر دولة فى رحلته الى البحر الاسود ، وهى تشغل ثلث طول مجراه .. ويعتبر الرومانيون أن «الدانوب» نهرهم دون سواهم ، ومن ثم يتفنى به الشعراء ، ويبدع الكتاب فى وصف جماله وسحره ..

واربعة اخماس شعب رومانيا ، رومانيون اسما .. مجرد أنهم يتحدثون باللغة الرومانية ، ويتبعون العادات الرومانية !.. وتعتبر عاصمتهم «بوخارست» من اقرب العواصم ، فهى تجمع بين المظاهر التى تجدها فى اصغر المدن الشرقية، وتلك التى تراها فى أكبر المدن الامريكسية .. وتصادف فى أكبر ميادينها - «كاليه فيكتورى» - مئات من الفلاحين الحفاة ، وحفنة من الوجاهة التائقين، والوظفين المتباهين بشيابهم الرسمية ، فى وقت واحد ..

ومع ذلك فرومانيا هى اثنى دول البلقان عموما ، فلها من البحر منفذ الى العالم ، وجبالها متوجة بالغابات الكثيفة ، تطوى صفورها على ثروة من الحديد والنحاس والكروم والفضة والذهب .. كما عثر الروس فيها فى السنوات الاخيرة على معطن «الاورانيوم» الذى يعد قوام الصناعات الذرية ..

أما النلال ، فنبتت الكروم الغنية بالخمور .. ومن ارض منطقة «بلويستي»  
نبتق البترول بكمية لامثيل لها في اوربا ..

♦ و انت تجد في الفنادق الفخمة والمطاعم الانيقة المتناثرة في «بوخارست»  
والمدن الاخرى اشهى الاصناف ، من «كافيان» ، و«شمبانيا» فرنسية ، ودجاج  
سمين شهى .. ولكن نشوة هذه الاصناف تبخر من رأسك حين ترى الفلاح  
في جبال رومانيا يعيش على خبز الدرة والجبن «الفريش» ! .. وحين تجده  
لا يزال يعيش اسير العرافات والتقاليد التى قد يرتد بعضها الى عهد  
الوثنية ..

وعلى الرغم من أن الكنيسة الارثوذكسية كانت نبط نفوذها الروحي  
على رومانيا - حتى اضهد الشيوعيون رجالها في السنوات الاخيرة - الا ان  
القوم ظلوا متمسكين بالاعياد التى توارثوا الاحتفال بها عن اجدادهم الفابين ،  
وان خلعوا عليها أسماء مسيحية ! ..

### حيث تعرض العذارى للزواج !

♦ ومن اطرف حفلاتهم القومية «سوق العذارى» التى تعقد على هضبة  
«جاينا» في ٢٠ يوليو من كل عام ، ويسوق اليها الآباء بناتهم اللاتي بلغن  
سن الزواج ، ليختار الشبان منهن زوجات يعقد قرانهم عليهن في الحال ..  
ويعتبر «الفجر» من العناصر الهامة التى لا تكتمل رومانيا بغيرها .. وهم  
أشد من الرومانيين سمرة ، ولا يزالون يمارسون بعض العادات الوثنية  
الهندية القديمة .. كموكب «فاسيلكا» في عيد رأس السنة ، اذ يأتون برأس  
خنزير ويبالفون في زخرفته ، ثم يحملونه ويطوفون به على الابواب .. وكرقصة  
«لبابارودا» التى ترقصها بناتهم في اوقات الجفاف .. اذ يتخلن من ورق  
الاشجار أزارا خفيفا ، ويتنقلن من باب الى باب وهن يرقصن ويفتنن لافراء  
الامطار على السقوط ..

والغنى «الفجر» وموسيقاهم من الالوان التى لا يتم بهاء الحياة الرومانية  
بدونها ..

وأخيرا .. يصل «الدانوب» الى مصبه ، فتسرى افانى الرومانيين في  
الجو العالم الذى يسيطر على سهول اوكرانيا ، يخاطبها خير الماء وهو ينساب  
الى البحر الاسود .. الذى يقبع على مر القرون ، ملتفا في فلاة من السحر  
الغامض ..

عزيزى القارىء ...

في هذا الباب اتدنت ان اطوف بك  
في سياحة فكرية شائقة نزور خلالها  
شتى البلاد والمصور ، كي نلم من  
كل منها بقصة .. ونشهد في كل منها

دراما من صميم الحياة والواقع

وهكذا مضينا معا في عدد سابق الى  
ايطاليا ، حيث التقينا بسلسلة السفاحين  
«لوكرشيا بورجيا» .. ثم تركناها  
لنفوس في بطن الزمن ، فلتلقى بقيصر  
روما القديمة «نيبروس» .. ومن هناك  
عدنا الى فرنسا في عصر نابليون ،  
فعرفنا عشيقته البولونية «مارى  
فاليفسكا» .. ثم عبرنا القنال الانجليزى  
الى انجلترا ، حيث شهدنا مأساة ملكها  
كارولين ، زوجة الملك جورج الرابع ..  
ومنها الى فينا ، عاصمة النمسا والفتاة  
والخمر والنساء حيث عشنا مع الاميرة  
العاشقة التي كانت لها قصة الحب  
من اخصب خيال ! .. ثم ارتحلنا الى  
باريس القرن السابع عشر حيث عرفنا  
قصة لويس الرابع عشر ومدام دي  
مانتون

واليوم انتقل بك الى روما القديمة ،  
لنتعرف فيها على طائفتها السطاح  
(نيرون) ، الذى يز في جرائمه امتى  
الجرمين ..

وفي الاعداد القادمة اقدم لك بمشينة  
الله مزيدا من هذه القصص والاسى  
التاريخية الشائقة

حدث ذات يوم



من قصص  
التاريخ  
ومآسيه



# نيروت



الطاغية السفاح ..  
قاتل أمه ..!

### عندما تكون الحقيقة أغرب من الخيال !

◆ اذا كنت قد شاهدت فيلم «كوفاديس» او سمعت عنه ، فاعلم انك تساءلت : ترى هل كان «نيرون» حقا بالصورة التي اظهره عليها الفيلم ، ام هي مغالاة من مخرجيه استلزمتهما الاغراض التجارية ؟ .. واذا كانت شخصيته التي ظهرت على الشاشة صادقة دقيقة ، فما هي جوانب حياته التي اغفلها الفيلم .. وماذا كان ماضيه الذي لم تتعرض له القصة السينمائية .. وما هو سجل «جرائمه» بالتفصيل ؟ .. وما قصص «اجريينا» و « بوبيا » وغيرها من النساء في حياته ؟ كل هذه وغيرها اسئلة رايت ان اجيبك عليها في هذه الصفحات ، التي ستروى لك قصة نيرون الحقيقية كما سجلها التاريخ ، بغير ادنى تحريف او خيال .. وسترى فيها امثلة متوالية - سواء من حياة نيرون نفسه ، او امه ، او زوج امه الامبراطور - تؤكد جميعا ان «القاتل يقتل .. ولو بعد حين !»

### القاتل يقتل .. ولو بعد حين !

◆ كانت حياته منذ البداية سلسلة من الخداع والدسائس والفضائح التي اشتدت تفاقمها حتى غدت طفيانا ، واجراما ، ووحشية .. !

ذلك هو «لوسيس» بن «جنيوس دوميتيس اهنسباربس» الذي سجل التاريخ سيرته بالدماء والنيران ، تحت اسم «نيرون» !

فتح عينيه منذ نعومة اظفاره على الفتون والحيل التي راحت امه «اجريينا» تبذلها منذ وفاة ابيه ، حتى وفقت الى اغراء الامبراطور «كلوديوس» على ان يتخذها زوجة - بعد ان قتل زوجته الاولى بالسم ! - ثم على ان يتبنى ابنتها هذا وينسبه اليه .. ثم يزوجه اخيرا من ابنته المدعوة «اوكتافيا» .. وكان نيرون وقتئذ لم يجاوز السادسة عشرة !!



وعند هذه الخطوة اطمانت الام « اجريبيينا » الى أن سبيلها لايتار ابنها « نيرون » بالعرش - دون « بريتانيكس » ابن زوجها الامبراطور - قد أصبحت ممهدة ، وكانت تعتقد أن نفوذها على فتاها كفيل بأن يجعلها هي صاحبة السلطان والكلمة الاولى ، اذا ما حكم ٠٠ !

وظلت تهدد هذا الامل حيناً ، وهي تنشاور مع « لوكستا » - أدهى ساحرة برعت في تحضير السموم في روما في منتصف القرن الاول الميلادي - حتى حانت لها الفرصة في سنة ٥٤ ، بعد الميلاد ، فدست لزوجها الامبراطور سما زعافا لم يقو علم طبيبه « اكسينوفون » على انقاذه من فتكه ٠٠ فمات بنفس الوسيلة التي قضى بها على زوجته الاولى !

### يقتل صاحب العرش الشرعي

◆ مات « كلوديوس » ٠٠ وأفلحت « اجريبيينا » في أن تنصب ابنها « نيرون » امبراطورا ، ولما يتجاوز السابعة عشره من عمره ٠٠ !

وبدأ الفتى بداية طيبة ٠٠ كان لا يبرم أمرا الا بمشورة مربيه ومعلمه - الفيلسوف « سنيكا » - ولكنه لم يكد يبلغ رشده ، حتى تمرد على أستاذه ، وعلى مستشاريه ٠٠ بل وعلى أمه ! وعز على « اجريبيينا » أن يتمرد عليها ابنها وهي صاحبة الفضل في تسنمه العرش ، فراحت تهدده بأن تضيع عليه سلطانه ، بأن ترد الى « بريتانيكس » عرشه المقتصب ٠٠ !

وهنا لجأ « نيرون » الى « لوكستا » ، كما لجأت اليها أمه من قبل ٠٠ وبفضل سموم الساحرة العجوز ، تخلص من « بريتانيكس » ٠٠ السيف الذي أشهرته أمه فوق عنقه !

◆ وكانت هذه الجريمة فاتحة سلسلة من الجرائم البشعة ٠٠ فقد انقلب « نيرون » الى وحش أهاجته رائحة الدماء ٠٠ فكانت

أنفه ربية تحوم حول شخص كقبلة بأن تغرى الطاغية بالقضا، عليه !

.. وتتابع الصحابة ، وهو مفرق فى اللهو والفجور والشور ..

غدت ملذاته وأهواؤه فوق كل شيء .. وغدا البطش طابعا يسم كل تصرفاته .. وكان لا يفتأ يقول : « ان أسلافى كانوا يجهلون حقوق السلطان .. ولقد يكرهنى الشعب ، ولكنه سيرهبنى ويخافنى » .. فكان الارهاب سلاحه فى الحكم !

وعندما انتقد استاذ « سنيكا » تصرفاته ، لم يتورع عن قتله ! .. وهجاه الشاعر « لو كان » فالحقه بالفيلسوف ! .. ثم اشتد الجفاء بينه وبين أمه فسعى حتى أوردھا حتفھا ولما تنقضى خمس سنوات على رفعها اياه الى العرش ! ..

ثم التقى ببويبا ، الفاتنة التى ملكت قلبه وحواسه ، فلم يتردد فى أن يطلق زوجته « أوكتافيا » من أجلها .. ثم ألحق المطلقة المسكينة بأمه وضحاياه العديدين .. وبذلك خلا له الجو مع عشيقته ، فتزوج منها ، ليفدر بها فيما بعد ، كما سيجى !

**يفنى .. وروما تحترق !**

◆ وهكذا استبد به جنون القتل والتخريب ، حتى ليعزى اليه انه مدبر الحريق الذى اجتاح روما فى سنة ٦٤ ودام ستة أيام وسبع ليال دمر خلالها ثلثي معالمها ، وقضى على أعز تحفها الفنية والتاريخية .. وقيل انه فعل ذلك لتمثل له صورة حية للحريق الذى قضى على «طروادة» ! .. كما قيل انه لم يستبشع الجرم ، ولم يحفل بالام الشعب ، بل لذ له مرأى النيران ، فراح يرقبها وهو يعزف على قيثارته .. فقد كان يعتقد فى نفسه أنه خير من أوتى الالهام فى الموسيقى والشعر والغناء والتشيل و .. الحكم ! ..

## نهاية الطاغية

◆ وقد رمى « نيرون » رعاياه الذين اعتنقوا الدين المسيحي بأنهم مدبرو الحريق ، فأوقع بهم أفظع اضطهاد عرفه التاريخ .. وطاردتهم بالتنكيل فى جميع أرجاء امبراطوريته ...

وكان لا يد للشعب من أن يتحرك ازاء هذه الفظائع الجنونية .. فدبرت المؤامرات ، ولكنها كانت تنتهى الى فشل يلقى بمدبريها فى أتون نعمة « نيرون » ! .. حتى قدر فى النهاية لجاليا - حاكم اسبانيا - أن ينظم ثورة ناجحة .. وقضى مجلس الشيوخ على « نيرون » بالموت .. ولكنه بادر الى الفرار ، حتى اذا أدرك أن مطاردية اوشكوا أن يلحقوا به ، قضى بسيف احد تابعيه ، على حياته التعسة .. التى لم تطل لأكثر من واحد وثلاثين عاما !!

ولعل الصورة التالية - التى أخذت عن تاريخ زوجته الثانية « بوبيا » - خير مايمثل بذخ الامبراطور « نيرون » وجنونه ..



المرأة التى أسرت قلب الطاغية !

◆ كانها كان القدر قد بيت

النيسة على أن يمنحها كل شيء  
يمكنها من أن تستوى على عروش  
القلوب ! .. كانت أجمل نساء  
روما جميعا ، حتى لقد كانت  
تسدل على وجهها قناعا اذا  
خرجت للنزهة على قدميها ،  
اشفاقا على الابصار أن يبهرها  
حسن ذاك الوجه الناصع البياض ،  
الذى توجّه شعر ذهبي فاتن ..

المقاء الاول .. بين نيرون و« بوبيا » !

وزاد من فعلها في القلوب ، أن اجتمع العلم والذكاء على أن يضيفا على حديثها لباقة وطلاوة ورقة ، أخذت بها النساء قبل الرجال ٠٠! وهكذا كانت بوبيا مثالا للفتنة التي تنهار أمامها أعتى حصون القلوب ٠٠ حتى لقد سرت الهمسات في البلاط الروماني عن سحرها ، وأضافت أن ( بوبيا ) منيعة غالية ٠٠! ولكن « نيرون » لم يعبا بالثمن في سبيل أن ينالها ٠٠! دفع الثمن ٠٠ وكان غاليا حقا ، فقد تمثل في قتل أمه ، وطلاق زوجته الشابة « اوكتافيا » !!

وغدت « بوبيا » عشيقة الامبراطور الطاغية ، بعد أن أقصى زوجها الثاني بأن عينه حاكما للبر تغال ، كي يخلو لهما الجو ٠٠! ولم يلبث « نيرون » أن اتخذها زوجة ، ثم مكن لها من النفوذ والسلطان ما لا قبل لامرأة به ٠٠!

### تستحم بلبين ٤٠٠ بغلة

♦ ولم يعرف التاريخ امرأة أنفقت ببذخ في سبيل صون جمالها ، كما أنفقت « بوبيا » ٠٠ كانت جدران حمامها مكسوة بالمرايا الفضية المصقولة كي تتأمل فيها كل يوم جسدها الناصع البياض ، الذي اعتادت أن تحفظ لونه الفاتن بالاستحمام بلبين البقال - ( حتى ليقال انها كانت تصحب ٤٠٠ بغلة معها أينما سافرت ! ) - وكانت تكسو وجهها قبيل النوم بطبقة من معجون لا يكاد يختلف عن « الكريم » الذي تستعمله كواكب السينما في أيامنا هذه ٠٠ وفوق المعجون ، كانت تنثر مقادير من « البودرة » ثم تسلم وجهها لوصيفة تدلكه حتى تغدو بشرته كالحرير الناعم ٠٠ وما لم تكن مضطرة الى الظهور في البلاط الامبراطوري ، كان المعجون يظل دائما على وجهها ٠٠ فاذا أزالته أخيرا ، بدت بشرتها بيضاء يشيع فيها لون وردى كأنه خجل العذوى !

أما يداها ، فكانت تدلكهما بدهن التمساح ، ليحتفظا ببياضهما



تستحم بلبس ... بظلة !

ونعومتها .. وكان العبيد يتولون جسدها بالتدليك عقب الاستحمام ، ثم يربتون لسانها بعضى عاجية مسطحة كي يظل على نعومته المخملية .. !

**حاشية كبيرة لخدمة الجمال !**

♦ وكانت لها حاشية كبيرة من العبيد .. فالجوارى الافريقيات لتدليك جسمها .. والسبايا السكندريات لاختيار الازياء التى تناسبها وصنعها .. وعبيد موكلون بجواهرها وحليها .. وآخرون اخصائيون فى تطريز وزركشة نعالها .. !

وكانوا جميعا يحيطون بها عقب كل حمام ، حين تجلس الى مرآة تتأمل شعرها وتفحص الشكل الذى نسق عليه .. فلقد كانت تعرف انها اوتيت اجمل شعر توج رأس امرأة فى روما .. شعر تغنى « نيرون » بجماله ، ووصفه فى أشعاره بأنه « عنبر » .. وقد أوحى هذا الى اخصائيى العطور الذين كانوا فى خدمتها، بأن يستنبطوا لها من العنبر زيتا عطريا يضمنخوا به الشعر الغالى .. !

وكان المكلفون بتنسيق شعرها يفتنون فى عملهم ، حتى لقد كانت أية « تسريحة » تبدو بها « بوبيا » لا تلبث أن تغدو «موضة» تتناقلها نساء روما .. ! وكانت تثبت الجداول العنبرية بمشابك مرصعة باللآلىء التى كانت تجلب خصيصا لها من البحر الاحمر ، لما تمتاز به لآلىء هذا البحر من جمال وبياض ناصع ..

أما أذناها ، فكان يتبدل من كل منهما قرط رصع بثلاث ماسات .  
ترسل بريقا بخطف الابصار كلما حركت الجميلة رأسها ١٠٠

### ذهب وجواهر بلا حساب ٠٠!

♦ وكان البذخ يحتد حتى قدميها ٠٠ اذ كان نعلها يصنعان  
من صفائح من الذهب الموشى باللالء ٠٠ ويثبتان الى ساقها  
باشربة من الذهب والحرير ٠٠!

وكانت ساقها تلفان حتى الركبتين بقماش من التيل الرفيع  
الناعم ، ينتهى برباط من الذهب المرصع بالماس ٠٠

أما جيدها فيحاط بمشد مزخرف ، صنع من خليط  
من خيوط الصوف والحرير والذهب ، التى كانت تغزل وتنسج  
فى الشرق ٠٠ وكان يرصع بأعلى الاحجار الثمينة ، ويراعى فى  
الغلاة السابغة التى تلبس فوقه ، أن تكشف عنه ، فيترك أعلاها  
منفرجا ، وتثبت عند الوسط بحزام موشى بالجواهر ٠٠ على أن  
لا تمتد أطراف الغلالة الى الذراع اليسرى ، لتبقى عارية ، تزدان  
بالاساور الثمينة ، التى تتسق مع القلائد التى كانت تحيط  
بالعنق البض ٠٠!

### للفواية فنون اتقنتها « بوبيا »

♦ ولم تغفل « بوبيا » حيلة من الحيل فى سبيل اسنيقا،  
سحرها لدى « نيرون » ، ليظل لها ما نالت من عرش وسلطان  
٠٠ وكانت تعرف كيف تسيطر على عاشقها ، وكيف تجعل  
بهاها يطفى على بريق أية غريمة لها ٠٠ وكانت بارعة فى اخفاء  
عيوبها ، واطهار مفااتها ، واضفاء وقدة من الانونة على ابتسامتها،  
تلهب بها القلوب ٠٠!

ولم تكن تكف عن الابتكار والتجديد لتظل فريدة فى مظهرها  
٠٠ فكانت أول امرأة فى روما اتخذت ثيابا من الحرير الخالص،  
وأسدلت على رأسها وشاحا طويلا (كما ترى فى الرسم ص ١٤١)  
وقد اعتادت أن تقضى الساعات الطوال ، تتأمل نفسها فى

نظرات فاحصة ، وتدرس كل حركة من حركاتها ، لتصلح منها ما يعوزها الفتنة .. حتى حركة أهدابها ، واختلاجات جوارحها ، كانت تحرص أن لا تغفل عن دراستها وانتقادها .. واستطاعت بالمران أن تجعل لمظهرها كل ما ترجو أن تفرضه على رائيها من تأثير ١٠٠ !

### نهاية الفاتنة ..

♦ وكانت لها ضحكة تهز القلوب ، فتخضعها للفتنة ، وتبعث فيها الحبور ..

وقد ظلت تجرب كل فنون الغواية ، حتى انتهت الى أن أقوى سحر للانوثة يتمثل في بساطة الطبيعة ، بما يصحبها من مظاهر البراءة والسذاجة والضعف ١٠٠ !

وعلى قدر ما كان « نieron » متيما ببوبيا ، فانه لم يتورع اذ أغضبته ملاحظة أبتدتها - وهو عائد منتش من السباق ذات يوم - عن أن يركلها في بطنها بقدمه ، فاذا هي تصاب بتزيف داخلي أدى الى موتها ١٠٠ !

وعصف الحزن بالطاغية .. وشاء أن يكرمها في وفاتها ، تكفيرا عن ذنبه ، وتخفيفا لأسائه ، فلم يسمح بحرق جسدها - كما كانت طقوس الرومان - بل أمر بتحنيطه على عادة المصريين ١٠٠ ! وأقام لها جنازا رائعا ، تولى فيه بنفسه اللقاء المراتي التي كان القوم يتلوننها عادة .. وظل البخور يحرق حول تابوتها عدة أيام ، ثم ووريت التراب في مدفن أباطرة الرومان !

ولاول مرة عرفت عينا الطاغية الدموع .. فقد بكاهها من أعماق قلبه ، وظل وفيا لحبها ، تلف ذكراها قلبه في غلالة عاطرة لم يقو سحر امرأة أخرى على أن ينفذ خلالها الى ذلك القلب الذي لم يعرف اللين والحب الا نحو « بوبيا » وحدها ١٠٠ !



- ١ -

◆ لمحنا آثار الأقدام راقصة ..  
فتلكانا في مشيتنا ونحسن نلرع الشارع الذي غسله  
ضوء القمر

حتى قادتنا آثار الأقدام الى عتبة بيت غانية ..  
وفي الداخل ، فوق أصوات الصغب والضوضاء ..  
سمعنا جوقة الموسيقى تغزف  
لمحنا رائعا من الحان «ستراوس» !

- ٢ -

◆ مثل اشباح آلية غريبة المنظر ، تقوم برقصات عربية  
خلابة ..

كانت الظلال تتمايل وراء خشب النافذة ..  
فاخذنا نرقب الراقصين يدورون ، على انغام الكمان والنغير  
مثل أوراق الاشجار حين تدور في دوامة الريح !

- ٣ -

◆ مثل جماعة من الجنس الآلي ..  
كانت ظلال هياكلهم النحيلة تترنح على النغم البطيء ..  
ثم تناول كل منهم يد الآخر



ورقصوا رقصة اسبانية مرحة  
فلوت ضحكاتهم الحادة بين جدران المكان ..

- ٤ -

♦ وبين حين وآخر كانت دمية منهم ..  
تضم شبح حبيبها الى صدرها  
وأحيانا كانوا يغنون اغنية هادئة ..  
وأحيانا كان أراجوز رهيب  
يخرج كي يدخن سيجارته على السلم ، كانه كائن حي !

- ٥ -

♦ عندئذ استندت الى حبيبتي قائلاً :  
« الموتى يرقصون مع الموتى ..  
والتراب مع التراب ! »  
لكنها حين سمعت عزف الكمان  
تركت ذراعى ودخلت الى داخل المكان  
فقلت لنفسى : « ان الحب قد دخل الى بيت الشهوات ! »

- ٦ -

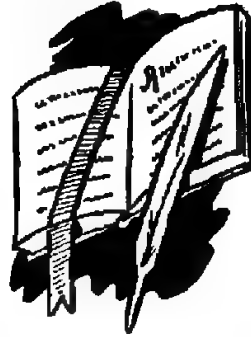
♦ وفجأة صار النغم نشازا  
وتعب الراقصون من «الفالس»  
وكفت الظلال عن اللف والدوران  
وفي اقصى الشارع الطويل الساكن  
زحف الفجر باقدامه ذات النعال الفضية ..  
مثل فتاة زحف الخوف على قلبها ! ..

## عزيزى القارىء .....

في الإصدار السابقة من «كتابى» قدمت لك في هذا الباب على التوالى قصص : «أموك» أو «غرام تحت سماء الشرق» لستيفان زفايج .. و«شجرة التفاح» أو «قلب عذراء» لجون جالزورثى .. ثم «مرتفعات ورنج» لاميلى برونثى .. و«التلميذ» أو «عندما يضل الشباب» لبول بورجيه .. و«أحدهم نوتردام» لفكتور هوجو .. و«جريمة حب» لبول بورجيه .. و«جين إير» لشارلوت برونثى .. ثم «أيام بومبي الأخيرة» للورد ليتون .. تليها «مانون ليسكو» للاب بريفو .. و«حديقة الله» لروبرت هتشنز ..

وفي العدد الماخى قدمت لك القسم الاول من هذه القصة المصرية التى يتنبأ لها النقاد بخلود القصص الكلاسيكية .. وفيما يلى القسم الثانى والاخر منها .. يليها في الإصدار التالية من كتابى باذن الله: ايفانهو (والتر سكوت) صورة دوريان جراى (اوسكار وايلد) اوليفر تويست (تشارلس ديكنز) سافو (الفونس دوديه) البؤساء (فيكتور هوجو) غادة الكاميليا (ديماس) مدام بوفارى (فلوبير) ناتا (اميل زولا) تاييس (انتول فرانس) الجريمة والمقاب (دستوفسكى) الحرب والسلام (تولستوى) .. الخ

## الحياة قصص



## روائع القصص العالمى



جورج أوتيه

# عند ما نحق المرافة!



## خلاصة ما نشر في العدد الماضي

◆ بعد أن قضى الشاب «ديمون بلورانيه» ، الضابط بالبحرية الفرنسية ، عامين في جحيم القتال بالهند الصينية ، استقال من السلك العسكري وعاد الى فرنسا ليؤلف الى خطيبته السمراء ذات الجمال الحمري الساخن ، التي تعيش - مع أمها وابنة خالتها الشقراء التي تماثلها في السن ، ومريبتها الزنجية - في فيلا بيضاء جميلة تكتنفها الخضرة بضاحية (فيل فرانك) القريبة من مدينة نيس .. وفي اليوم الذي هبط فيه الشاب من السفينة في ميناء (طولون) ، وقبل أن يسافر الى حيث تقيم خطيبته ، التقى في الطريق بصديق له دعاه الى تناول الغداء مع جماعة من الاصدقاء في منزل احدهم .. فلما ذهب استقبله الكل بالترحيب والاشواق . وكان الوحيد الذي لا يعرفه من الحاضرين شاب ايطالي رائع الوسامة ، فارع القامة ، فاتن السمرة ، فاحم الشعر ، تجذبك اليه عينان سوداوان نفاذتان ، ولم دقيق يفر عن اسنان جميلة ناصعة البياض . ويظله شارب صغير رفيع ..

◆ وطالب الاصدقاء ضيفهم الايطالي - ويدعى المركيز جيراني - بأن يقصر عليهم أحدث مفامراته النسائية ، وهو الحجة في هذا الباب ، فبدأ يروي كيف التقى في إحدى المناسبات بفاتنتين رائعتي الجمال ، احدهما سمراء والاخرى شقراء ، تصحبهما امرأة متقدمة في السن وخدام زنجية .. فاسرته فتنة احدهما ، وظل يطاردها ويعوم حول الفيلا البيضاء التي تكتنفها الخضرة ، التي تظنها ، حتى استطاع بواسطة خادمتها الزنجية أن يلقاها .. وأحب كلاهما الآخر حباً جنونياً ، فلم تبخل عليه الفتاة الفاتنة بشئ ، منحت كل ما كان يشتهي .. ووصل معها الى نهاية الشوط !!

وانتهى المركيز جيراني من قصته بين صباح المجنمين ، وتعليقاتهم المأجنة .. بينما أحس «بلورانيه» أن الأرض تعبد تحت قدميه ، فالأوصاف التي ذكرها الايطالي العايب تقطع بأن الفتاة التي عاناها واحدة من التنتين : اما خطيبته ، واما ابنة خالتها ؛ وسعر بالمشك القاتل يكاد يشطره شطرين .. فانهض فرصة تصريح المتحدث بأنه لا يفكر في الزواج من ضحيته لأنه متزوج بالفعل . وتحرش به عامدا وراح يكيل له الإهانات .. حتى غلبت المبارزة بينهما امرأة محتوما لم تفلح في تجنبه جهود الاصدقاء ، لاسيما بعد أن أبى الايطالي أن يشفي لحيل غريمه الى معرفة أي الفاتنتين كانت عشيقته !

♦ وفي جو خيم عليه الوجوم أعدت عدة المصاروة ، فقيست المسافات والابعاد .. ووقف كل من الفريقين يحمل غدارته في يده ، مناهبا لتلقي الإشارة باطلاق النار !

واحتبست الانفاس ، في انتظار الفاجعة التي كان القدر ينسج خيوطها بسرعة مخيفة .. ثم حانت اللحظة الحاسمة فصاح الحكم ، بصوت مرتعش : « واحد .. اثنين .. ثلاثة ! » .. وانطلق الموت !  
والآن ، تستطيع ان تتابع القراءة :



♦ كان جيرانى هو البادى باطلاق النار ، لكن رصاصته لم تصب من غريمه غير قبعته ، فأطاحت بها ممزقة في الهواء .. غير انه لم يجزع مع ذلك بل ظل واقفا في مكانه كالطود .. وجاء دوره هو فاذا به يسدد غدارته الى المركيز ويطلقها ، فتستقر الرصاصة في صدره .. ويسقط على الارض مضرجا بدمائه !! وفحص طبيب من الحاضرين المصاب ، فأدرك لتوه ان الاصابة قاتلة .. ولم يكن جيرانى نفسه أقل ادراكا لخطورة حالته واشرافه على الهلاك ، فنظر الى الطبيب والدم ينزف من صدره وابتسم ابتسامة حزينة ، ثم قال : « كل ما أطلبه منك الا تدعنى أتالم طويلا ! »

وطلب أن يتحدث الى قاتله ، فلما دنا منه هذا رجاه أن يصافحه ، ويصفح عنه .. فأجابه بلوارنيه : « بل أنا الذى أتوسل اليك أن لا تتركنى نهبا للشكوك القاتلة بصدد خطيبتى التى أحبها حب الجنون .. فبريك قل لى من من الفتاتين كنت تعنى : تيريز أم ليديا ؟ » .. فأجاب جيرانى ، وقد أخذ الموت ينسج على وجهه ظلاله السوداء : « لا ! » .. لكن بلوارنيه استطرد فى توسل : « لماذا لا تريد أن ترحمنى ! من من الفتاتين هى الطاهرة ومن منهما الدنسة ؟ لا تدعنى أشك فى الاثنتين .. من منهما : تكلم : ليديا أم تيريز ؟ »

وانحنى عليه وأخذه بين ذراعيه وهو ينبش بنظراته جسم هذا المحتضر عساء يجد دليلا ينقع غلته ويروى ظمأه ! لكن جيرانى أجابه بصوت محتبس : « لن أقول لك شيئا ! لن أقول لك شيئا ! »

قالها وفارق الحياة !

أما بلوارنيه فقد مر وهو خارج بجنة جيرانى ، فألقى عليها نظرة أخيرة ، كما لو كان ما يزال يأمل أن يحظى من الميت بالحقيقة التى ضن بها عليه وهو حى ! وما كاد يصل الى الشارع حتى تتمم قائلا : « ما لم أستطع معرفته منه .. سأصل الى معرفته » منهما ؟

## - ٢ -

◆ نبتت أسرة « سان موريس » فى جزر ( المارتنيك ) .. وكان رأس الأسرة - الشيفالييه سان موريس - قائدا لحدى المدرعات الحربية فى عهد لويس السادس عشر ، وقد لمع نجمه وعلا صيته بما أداه لوطنه من جليل الخدمات . ومات سنة ١٨١٠ وقد شبع أياما وشبع مجدا .. مات مبكيا عليه من الجميع فى تلك المستعمرة : من السود والبيض معا !

ومرت الايام والسنون ولم يبق فى جزر المارتينيك من أسرة سان موريس الا سيدة واحدة أرملة وابنتها البالغة من العمر خمسة عشر عاما ، تقيمان فى « فور دى فرانس » وتعيشان عيشة متواضعة من دخل محدود .

وبينما كانت هذه السيدة ( واسمها مدام دى سان موريس ) تعيش عيشتها التى درجت عليها اذا بخطاب يصلها من أوربا قلب نظام حياتها ظهرا على عقب ... ذلك أن شقيقتها « مدام لوتونور » وهى أرملة أحد الاغنياء المعروفين فى باريس ، كتبت اليها تقول لها انها مريضة وتشعر بأنها فى أيامها الاخيرة ، ومن

ثم فهي تستلعيها الى باريس وتوصيها ، فيما لو ماتت قبل ان تراها ، أن تعنى بابنتها الوحيدة « تيريز » ..

وكانت مدام دي سان موريس امرأة عطوفة رقيقة القلب . ولما لم يكن لديها من سبب يحتم عليها الحياة في «فوردى فرانس» فانها لم تتردد في اجابة شقيقتها الى رغبتها فأبحرت الى فرنسا تصحبها ابنتها « ليديا » وخادمتها الزنجية « ليلي » .. وما أن وصلت الى باريس وتوجهت الى منزل شقيقتها حتى صدمها الخبر الفاجع ، حين استقبلتها ابنة شقيقتها ( نيريز ) في أبواب الحداد ! ..

واستقر المقام بـ مدام سان موريس وابنتها في المنزل الفخم الذي كانت تملكه شقيقتها مدام « لوتورنور » في أحد الشوارع القريبة من الشانزيليزيه .. وفي صبيحة يوم وصولها قدم لزيارتها ابن أخت أخرى لها هو الضابط « ريمون دي بلوارنيه » ، وهو ضابط ذكي بالبحرية تدل سيماؤه على أن مستقبلا باهرا ينتظره .. وكان قد اعتاد أن يأتي لزيارة خالته مدام لوتورنور عقب كل رحلة بحرية يسافر فيها . فلما آل اليه ميراث أبيه الضخم - فقد كان أبوه رجلا ثريا للغاية - وجد في زوج خالته خير مستشار له في شئون ثروته الواسعة وفي كيفية استثمارها وتنميتها ، حتى ضاعف من ثروته الموروثة وهو لمسا يزل في الثلاثين من عمره ..

أما ابنة خالته « تيريز » فقد كانت في السادسة عشرة ، رقيقة الحاشية ، عذبة ، ودیة القلب كاللائكة ، تقية متعبدة الى أبعد حدود التقوى والتعبد . جميلة ذلك الجمال الهاديء الاخاذ في غير زهو ، الجذاب في غير خيلاء .. وكان ريمون يحبها حبا جما ، حب الأخ لاخته التي بدأت تستقبل وبيع الحياة كالوردة المتفتحة الاكمام ..

ولما ماتت أمها بكأها ريمون معها جنبا الى جنب ، كما لو كان

ابنها الوحيد .. ولكن حزن تيريز على أمها ، رغم تقواها وتعبدتها ، كان شديدا مفرطا بحيث خشي ريمون عليها مما لاحظته في مسلكها من علامات التصوف والزهد في الدنيا ومتعتها ..  
وحين صارحها ذات يوم بقلقه هذا ورجاها أن تستسلم لقضاء الله وقدره أجابته بقولها : « لقد أصبحت وحيدة الآن يا ريمون ، وأحس بانني لا أجد لي سندا روحيا يعيد الى نفسي الثقة والراحة والطمأنينة .. »

فأجابها ريمون : « كيف تقولين انك وحيدة وأنا بجانبك ؟ ثم ألا تعلمين أن خالتك قررت الحضور من ( المارتنيك ) لتقيم معك في فرنسا ؟ انك ستجدين فيها أما رؤوما حنونا ، أما ابنتها التي في سنك فستكون رفيقتك ومؤنسك في وحشتك .. فهلا نظرت الى المستقبل بمنظار أقل سوادا ؟ »

فأجابت تيريز : ان هاتين المخلوقتين المجهولتين بالنسبة لي هما بالذات مبعث قلقي وخوفي ، ومجيئهما يزيد في اضطرابي أكثر مما يبعث في نفسي الطمأنينة : كيف هما يا ترى ؟ وماذا هما صانعتان هنا عند ما تصلان ؟؟

— أنك واثرة ثروة والديك الطائلة وسوف تكونين صاحبة البيت وسيدة الموقف !

— أنى أكره هذه الثروة الطائلة وأزهد فيها ، وأود لو تركتها لأكرس حياتي لخدمة الفقراء والمعذبين .. انني لن أشعر براحة النفس الحقيقية الا عند ما أتخيل نفسي راهبة في دير !

— انك يا عزيزتي لست في حاجة لان تترهبى كي تكونى على صلة بالله .. ان حزنك يجسم لك الامور .. ولا أقل من أن تنتظري قدوم خالتك لتعرضي الامر عليها قبل أن تقدمي على أية خطوة كهذه قد تندمين عليها ..

— سأفعل ما تريد يا ريمون .. غير اني لا أتوقع خيرا من حضور خالتي وابنتها ، فانتى ارى احلاما مزعجة تؤيد عندي هذا



الاحساس ... وتؤيد اعتقادي بأن حضورهما واقامتتهما معي سيكونان شؤما على ومبعث ويلات لي !!! ولكن ، لعل أخطاء في الكلام معك عن الاحلام فانك قطعاً ستستغفر مني !!!

### - ٣ -

◆ بعد أسبوع من هذا الحديث وصلت مدام دي سان موريس الى باريس تصحبها ابنتها « ليديا » والخادمة الزنجية « ليلى » . فما كان أشد دهشة تيريز ، بل ذعرها ، لدى رؤية ثلاثتهن ؟! ان الاحلام المفزعة التي رأتها والتي قصتها على بلوارنيه لتنطبق عليهن انطباقاً عجيباً ، بل مفزعاً !! ومع ذلك فقد شعرت تيريز بأنها ستحب خالتها وابنة خالتها ..

وفى صبيحة يوم وصولهن جاء ريمون دي بلوارنيه ليحيى خالته وابنتها . ولم يكن قد رأى « ليديا » قبل ذلك ، فما كاد بصره يقع عليها حتى سمر على الارض لفرط ما بهره جمالها الرائع ! فقد كانت في السادسة عشرة ، فارعة القامة - كأنها نضجت قبل الاوان - سمراء البشرة ، ذات عينين سوداوين ، وأهداب طويلة تعكس على خديها الفاتنين ظلالاً رقيقة .. أما فمها فدقيق ، ينشق عن شفتين تضيئان أسناناً منضدة ناصعة . وكانت وقت دخول ريمون جالسة بجوار تيريز التي كانت تختلف عنها كل الاختلاف : فقد كانت الاخرى شقراء ، زرقاء العينين . ورغم جمالها فقد كانت أقرب الى براءة الاطفال منها الى فتنة النساء !! ظل ريمون صامتا لحظات ، حتى تداركته ليديا بقولها : « ألم يحدث في أسفارك الكثيرة أن اقتربت من جزر المارتنيك ؟؟ أتراك نسيت أن لك في تلك البقاع أقرباء ؟! »

فرد عليها ريمون رداً يناسب المقام .. واستقر المقام بأسرة سان موريس في منزل تيريز بعد الحاحها ورفضها أن تقيم خالتها في أى مكان آخر ..

◆ ومنذ اليوم الاول تسلمت الخادمة ليلي الزنجية ادارة المنزل بحزم وقوة خشبيهما سائر الخدم !! وبالرغم من أن ليلي كانت تبدو قوية تبعث على الخوف الا أنها كانت ضعيفة ضعفا لا حد له أمام ليديا !! فقد أرضعتها طفلة وربتها ولازمته منذ ولادتها كظلها . وكانت تجيبها الى جميع رغباتها ونزواتها . أما اعجابها بجمال « سيدتها » فكان أقرب الى العبادة والتقديس حتى لتؤثر أن تجلس عند موطن قدميها تحرسها كالكلب الامين ! وقد أحست الزنجية منذ أول لحظة بكراهية نحو تيريز ، فقد أحققتها أن تكون تيريز صاحبة هذه الثروة الواسعة بينما معبودتها « ليديا » لا تملك شيئا !! لكن الماكرة أحبت ريمون منذ لحقت بواذر اعجابه بسيدتها ، فكان هذا الاعجاب بمثابة معاهدة عقدت بين حليفين !

وبدا « اعجاب » ريمون بليديا ينمو شيئا فشيئا ويتبلور ويتخذ له شكلا واضحا ليس من السهل اخفاؤه أو تجاهله !! . وحين لحظت ليديا نفسها الامر كاشفت خادمته به وأبدت لها دهشتها من أن ريمون لم يصارحها بحبه بعد !! فسألتها ليلي اذا كانت تحبه ، فلم تزدد على قولها : « انه يعجبني » !! ثم أردفت : « !! وهو واسع الثراء ، وهذا مما يزيد اعجابي به !! » . فقالت الزنجية : « لعل سر احتياطه وتردده في مكاشفتك انك ما تزالين في السادسة عشرة ! »

فانبرت ليديا تجيبها : « ان ستة عشر عاما لمن عاشت في المارتينيك تفوق عشرين عاما لمن تعيش في أوروبا !! خذى مثلا تيريز : انها في سننى ولكنها بالنسبة لى طفلة فى كل شىء !! »  
- ان تيريز ليست طفلة يا سيدتى .. خذى حذرک منها !!  
واقبها عند ما يحضر بلوارنيه .. وبدلا من أن تضييع الوقت فى التطلع اليه ، تطلعي اليها !!

- هل تعتقدين انها تحب ريمون ؟! يا لها من مسكينة ! اننى

على كل حال أبركه لها بكل ارتياح ... ولكن هل يرضى هو بذلك؟؟ اننى أشعر بأنه يحبني بقوة ..

- نعم يا سيدتي . ولكنى ما زلت ألتبس منك ان تأخذى حذرك من تيريز !

- آخذ حذرى ؟! أمن هذه الفتاة آخذ حذرى يا ليلي ؟! انك نجسمين الامور ، فهى فتاة تقية مبالاة للرهبنة وتكريس نفسها للعبادات والصلوات .. وهذا طابع النفس الراكدة الفاترة ؟!

◆ لكن ليديا تنبهت منذ هذا الحديث فبدأت تراقب تيريز من طرف خفى .. على أن تيريز لم تكن بالانسانة الخبيثة ، بل كانت فتاة مستقيمة الخلق ، طاهرة القلب والضمير ، ولم يكن ليخفى عليها ما أحدثته ليديا من تأثير على ريمون ولا فاتها حركات الشغف والصبابة التى كانت تصدر منه عندما يراها أو يخلو بها ! .. أما حبها هى لريمون فكان حبا صافيا : حب فتاة درجت منذ نعومة اظفارها على لقاء شاب كان يستقبل من أبيها وأمها دائما بالترحاب .. فكانت لا تخفى عنه سرا ، وتأنس اليه ، وترى فيه الملاذ الروحي لها فى كل محنة .. ولكنها ما كادت ترى كيف شغف ريمون بحب ليديا حتى شعرت بأن لها خصما بدأ ينازلها فى عقر دارها . وعندئذ فقط أحست بالفيرة والالام ، واكتشفت لأول مرة حقيقة مشاعرنا نحو الضابط الشاب !

أما ليديا فلم يكن يعنيها ، وهى تلك الفتاة الرعناء الجامحة ، أن تتألم تيريز .. فانها كانت من الانانية بحيث لا تعنى الا بنفسها فقط .. فاذا كان ريمون يحبها وكانت هى تحبه فعلى تيريز العفاء ؟!

وتحالفت المقادير مع ليديا ضد تيريز ، فقد فوجئ الضابط ريمون دى بلوارنيه بأمر لم يكن فى الحسبان ، اذ صدر اليه أمر بأن يضع نفسه تحت تصرف القيسادة فى طولون تمهيدا

لسفره الى « تونكين » في الصين ، حيث كانت المعارك ما زالت تدور طاحنة بين فرنسا والقوات الصينية ...

كان وقع هذا الخبر شديدا على مدام دي سان موريس ، وعلى ليديا وتيريز معا .. فقد التقت مشاعر الفتاتين في نقطة واحدة هي حبهما لريمون ! .. وبعد حديث بين الشاب وبين مدام دي سان موريس نزل هو مع الفتاتين الى الحديقة ، وكان بادى الالم لسفره المفاجيء وتركه تيريز ، صديقه منذ الطفولة ، وليديا التى احبها حبا جنونيا .. وبقي الثلاثة في الحديقة يسرون في وجوم . ولكن لم يكن من العسير على فطنة تيريز وهى الفتاة ذات الاحساس المرفف أن تدرك الحقيقة المرة ، وهى أن ريمون يريد أن يخلو بليديا .. وأن حضورها معها يحول دون أن يبت كل منهما الآخر مشاعره ، فتعللت ببرودة الجو وانسجبت الى مخدعها !

وبعد لحظة صمت كاشف ريمون ليديا بحبه ، وفوجئت به يطلب منها أن تقبله خطيبا لها حتى يعود ، اذا قدر له أن يعود ! .. وحين سمعها تقبل طلبه وتجيئه الى توسلاته كاد يفقد عقله من الفرح !

وكانت مدام دي سان موريس جالسة فى احدى الحجرات وبجانبيها تيريز ، عندما دخل « الخطيبان » ! .. فماكادت تيريز تراهما داخليين حتى أحسست بأن أمرا جللا قد وقع ! .. ثم قالت ليديا مخاطبة والدتها : « لقد صارحنى ريمون منذ برهة بأنه يحبني ، وسألني اذا كنت اقبله خطيبا حتى يعود .. فقبلت .. فما رأيك يا اماه ؟! »

وثبت مدام دي سان موريس من مقعدها من شدة الفرح وقالت : « ولكنك ستسافر غدا ، فماذا نحن صانعون ؟؟ » فأجابت ليديا : « سأنتظره حتى يعود .. انه سيحبني على البعد والقرب .. وعندما يعود فلن يفارقنا ثانية .. أليس كذلك يا ريمون ؟؟ »

— نعم يا ليديا ؟ سأعود وسأكون لك وحدك .. الى الابد !  
 فقالت الام : « ما دام هذا يسعدكما يا ولدي فلنكن ارادة  
 الله .. » ثم وجهت الكلام الى ابنة اختها : « وانت يا تيريز :  
 هل كنت على علم بهذا السر ؟ » .. فأجابت تيريز وقد سيطرت  
 على أعصابها بقوة حديدية :

— كلا ! لقد كنت مثلك أجهل كل شيء !! .. ولكن يسعدني  
 أن أرى ريمون وليديا سعيدين !

فقالت ليديا وهي تحديق البصر في تيريز بامعان : « انني  
 مدينة لك يا تيريز ، فلولاك لما عرفت ريمون ! »  
 وهنا مد ريمون يده الى تيريز وقال لها : « انني أترك لك  
 ليديا يا تيريز .. أترك لك أعز مخلوق علي في الحياة ، فأحببها  
 واسهرى عليها حتى أعود !! »

فأجابته : « انني أعذك بهذا يا ريمون ! »  
 وفي اليوم التالي أبحر الشاب الى الشرق الاقصى ..

## - ٤ -

◆ وانقضت شهور ، وأقبل الشتاء .. فانتقلت الاسرة الى  
 ضاحية « فيل فرانش » الدافئة - بين ( نيس ) و ( موناكو ) -  
 حيث كانت والدة تيريز قد شيدت قبل موتها فيلا أنيقة تكتنفها  
 الخضرة والازهار من كل جانب .. وكان من دواعي دهشة  
 تيريز ما لاحظته من فتور مشاعر ليديا نحو خطيبها الغائب ،  
 بحيث لم تكن تذكره الا اذا ذكرتها هي به !! .. وحين انقضى  
 الشتاء وعادوا الى باريس أبدت ليديا من اللهفة والاقبال على  
 ملاهيها ما يقطع بعدم اكترائها بخطيبها ، في الوقت الذي كان  
 هو فيه يخوض المعارك الرهيبة ويتعرض للموت في كل لحظة !! ..  
 وذات ليلة ذهب الفتاة بصحبة أمها الى دار الاوبرا فتجاوب  
 المكان بهممة الاعجاب بالسمراء الفاتنة التي لم تر باريس مثيلا  
 لحسنها من قبل !! .. وكان بين الحاضرين مالى كبير يدهي

« صموئيل برنهايمر » كان على صلة بأسرة نيريز ، فلم يكذبني بالتحية للمرأتين حتى ألح عليه شاب من أصدقائه يدعى « المركيز موريس دي روكبير » فى أن يقدمه اليهما . فاستجاب « برنهايمر » لضراسته وقدمه اليهما فى فترة الاستراحة . ورغم الفنور الملحوظ الذى قوبل به الشاب المتطفل فانه راح يبنى من جراء هذه المقابلة قصورا ضخمة فى الهواء !

وتوالى الايام ، وأقبل الشتاء التالى . فعاتت الاسرة الى بيتها الريفى الدافئ الجميل . وذات يوم ورد ذكر « موناكو » فاقترحت تيريز القيام برحلة قصيرة لزيارتها ، فقبلت مدام دي سان موريس وليديا الاقتراح وركب الثلاثة السيارة الى « موناكو » لمشاهدة معالمها والعودة فى المساء . وفى عصر ذلك اليوم وقع اول لقاء بين ليديا وجيرانى !

وحدث بعد ذلك أن كانت ليديا وخادمتها الزنجية تقطفان بعض الزهور عندما فوجئت ليديا بوجودها وجها لوجه أمام حيرانى للمرة الثانية ! وفى هذه المرة راعها منه جماله وأناقته ولباقته ، وشعرت لأول مرة بأن فى هذا الشاب الايطالى شيئا يستهويها . لكن الامر لم يزد يومئذ على مجرد النظرة المتبادلة من بعيد !

♦ وفى اليوم التالى بينما كانت ليديا تطل على الحديقة من نافذة غرفتها ، اذا بها ترى جيرانى يحوم حول الدار . وظل وقتا طويلا ينتظر خروجها ، فلما تعب ذهب الى الصخور القريبة فجلس عليها حتى الساعة السادسة مساء . وأخيرا يش وانصرف ! فلما باحت ليديا بأمره الى خادمتها و ( كاتمة سرها ) الزنجية قالت هذه تنصحها :

— لا تشغلى نفسك به .

— وأى بأس فى أن أنفلق بعض الوقت فى تعقب حركاته وأمرى عن نفسى فى آن واحد ؟! اننى لا أعرفه ولا أعرف حتى اسمه ؟؟

- لکني آنا أعرف من هو ، اذا كانت معلوماتي تسرك  
يا سيدتي ۰۰؟

- انها تسرني من غير شك يا ليلي ۰۰  
وفي اليوم التالي لم يظهر جيرانى ، فكان عجيبا أن ضايق  
اختفاؤه ليديا ، فبدأ عليها الضجر ! ولم يخف ذلك على مريبتها  
فقالت لها :

- يخيل الى أنك لم ترى ذلك الاجنبى اليوم يا سيدتي ؟  
- ومن أين عرفت ذلك ؟؟  
- عرفته لانني قابلته اليوم فى طريق « سان هو » ، وقد  
تحدث الى !  
- كيف جرؤ ؟

- ان عبدة رقيقه ملى لا يعتبر التحدث اليها جرأة يا سيدنى  
۰۰۰ لقد أراد أن يعرف منى من أنت ؟ ومن أين أتيت ۰۰ وطلب  
منى فى الحاح أن أساعده على الاتصال بك ۰۰۰ وكان بادى  
الشغف والهيام ۰۰ فنبهته الى أن الكتابة اليك أمر لا يليق ،  
فقال انه اذن سيبحث برسائله الى أنا ۰۰

وقهقهت الزنجية وأردفت تقول: « يكتب الى أنا التى لا أعرف  
القراءة ولا الكتابة ۰۰ اننى طبعاً سألقى بخطاباته فى البحر ! »

◆ ظلت ليديا فى تلك الليلة مؤرقة لم يغمض لها جفن ! أما  
جيرانى فقد بر بوعده وكتب الى الخادمة ، فكانت ليديا هى التى  
تفحص الخطابات وتقرأها ۰۰ وقد عرفت منها أن اسمه « اميليو  
جيرانى » وانه « ماركيز » ۰۰ وشعرت بشيء مجهول يجذبها  
اليه ، فقد كان يبدو لها كاحد أبطال القصص الغرامية التى قرأت  
منها الكثير ! ۰۰ ولم يكتف بالكتابة بل عاد يحوم حول الدار من  
جديد ۰۰ وبينما كانت فى الحديقة تقرأ كتابا ذات صباح اذا  
بوردة تلقى عليها وتسقط على الكتاب ، فتنبهت ليديا مذعورة

فوجدت أمامها الماركيز جيرانى ! فأشارت اليه اشارة تنم عن عدم الرضى عن فعلته ، وهمت بالنهوض .. ولكنه استوقفها ووقف أمامها مكتوف الذراعين ، ثم قال :

- ابقى حيث أنت يا آنسة ... فانى ذاهب !!

ولكنه لم يذهب ، بل ظل واقفا كالمشدود بجملها .. ثم انحنى أمامها باحترام ، وذهب ! .. وعند منعرج الطريق التفت وراءه فإذا الفتاة ما تزال فى مكانها ، فوضع أصبعه على فمه وبعث اليها بقبلة طويلة ! ..

عادت ليديا الى غرفتها .. وفى الغد كانت هى المسرعة الى المكان المجهود ! .. لكنه لم يظهر .. فحرصت فى اليوم الذى تلاه على الذهاب الى نفس المكان ، فما كان أشد سرورها حين أبصرت به قادما يعدو .. وفى هذه المرة لم تحاول أن تتجنبه ، فالترب منها وانحنى أمامها حتى أوشك أن يغر ساجدا على ركبتيه ! وبدأ يتكلم فرأعها منه صوته الموسيقى الاخاذ ، وإذا كلامه قصيدة من شعر زاخر بالحب والسجود !! وأخيرا قال لها :

- ماذا يخيفك منى ؟ اننى أحدثك من بعيد .. هل هناك خطر من أن يسمعنى أحد ؟؟

كانت تستطيع أن تسكته ، ولكن عنوبة صوته على مسمعها وحلاوة تعبيراته جعلتها تتركه يسترسل فى الكلام .. ولولا أنها سمعت فى تلك اللحظة صوتا منبعثا من داخل المنزل ينادىها لتركته يقول ويطيل فى القول ما شاء !

وظلت هذه الرواية تمثل ثمانية أيام متواليات بلا انقطاع ! .. وبدأت ليديا تأخذ الحيلة لنفسها فكانت تجعل ليلى تقوم بمهمة الحراسة من بعيد ..

◆ وبعد يوم عاصف مطير عن ليديا أن تخرج للتنزه قليلا فى الحدائق والمروج المحيطة بالمنزل .. وكان الظلام قد أرخى سدوله ، وإذا هى تسمع حفيفا بين أوراق الشجر ، ووقع



أقدام !! فوقفت تتطلع يمنة ويسرة لتتبين الامر ، وما هي الا لحظات حتى أبصرت أمامها شبيحا يتقدم نحوها رويدا رويدا !! فلما دنا منها هالها أن تجد أمامها الماركيز جيرانى !! لم يمهلها الشاب المغامر بل ابتدعها بقوله :

- هل أنت هنا بمفردك ؟ يا لسعادتي !!

فأجابته فى حزم : « اننى أمتنعك من الاقتراب منى ! » ، لكنه لم يأبه لها ، بل دنا منها بجرأة حتى أصبحا وجها لوجه وسط الاشجار الباسقة والورود الياضعة والظلام المخيم والسكون المطبق !! ورأت عينيه يشع منهما بريق وهاج وقد بسط نحوها ذراعيه !! أما هي فحاولت أن تدفعه بعيدا عنها ، كما حاولت الهرب !! لكن شجاعته خانتها ، وأعجابها بالشاب الواقف على مقربة منها بدد قواها !! بحيث لم تحاول الاستغاثة بخادمتها ليلي ، برغم قربها منها !! فقد تملكها نشوة عارمة مستها مس الكهربية !! وانتفض كيانه كله باحساس ناري مجهول لا يقاوم ! وكان جيرانى قد طوقها بذراعيه القويتين فظلت تتلوى بينهما محاولة الافلات ، ولكن بلا جدوى !! فقد اطبق على شفيتها القرمزيتين الراعشتين فى نهم وسعار !! وانقلبت المقاسومة الواهنة استسلاما !! وبدلا من أن تدفعه عنها تركته يجذبها اليه !! وقد انفلتت من صدرها زفرة طويلة حرى !

وكان ما كان !!



◆ غلظة اليوم المروع المشنوم الذى صرع فيه جيرانى ببسد ريمون دى بلوارنيه استقل ريمون القطار الى ( نيس ) فوصلها فى الساعة الخامسة بعد الظهر !! ولم يشأ أن يذهب الى ( فيل فرانش ) مباشرة لانه أزمع على التخفى لينتزع السر المرهوب الذى مات جيرانى طأويا عليه صدره !! وكان لم يذق طعم النوم منذ ٢٤ ساعة ، وما زالت قصة جيرانى التى رواها بين قهقهة زملائه

وسخريتهم تتجاوب أصدائها في أذنيه كهزيم الرعد .. وعلى  
الاخص تلك الجملة التي ختم بها النذل قصته : « لقد كان آخر  
لقاء بيننا أمس في الحديقة التي تكتنف الفيلا البيضاء .  
وسيكون لقاءنا التالي غدا في نفس المكان .. أمام النافذة الكبيرة  
المطلّة على البحر !! »

هذه النافذة الكبيرة يعرفها ريمون جيدا .. ويعرف السور  
المنخفض الذي تسلفه جيرانى ليدخل الى الحديقة فيلتقى ..  
ترى بمن ؟ بخطيبته السمراء « ليديا » ، أم بصديقه الشقراء  
« تيريز » ؟؟ انه ليتمثل جيرانى في سكرات الموت وقد ارتسمت  
على وجهه ابتسامته الساخرة : ابتسامة القتل المنتصر على  
القاتل ، والمطعون الساخر بالطاعن !! يا لهول الشك .. انه  
لاشد أنواع التعذيب نكرا !!

أحكم بلوارنيه وضع الخطة ، ونصب الفخ الذى سيقع فيه  
الصيد لا محالة : فقد عول على الذهاب فى الموعد المضروب الى  
مكان اللقاء ، بدلا من جيرانى ، وبذلك تقع الفتاة الأثمة فى الفخ  
ويعرف من هى ؟

لكن مصادفة ليست فى الحسبان وقعت فقلبت خطة الشاب  
رأسا على عقب !! .. ففى الليلة السابقة أرقت « تيريز » فى  
فراشها ، فهبطت الى الطابق الاسفل لتحضر كتابا تقرأه ..  
وفيما هى صاعدة حانت منها التفاتة الى الحديقة من نافذة السلم .  
فلمحت نورا خافتا ينبعث من الكشك الذى فى أقصاها .. ثم  
رأت شبح رجل يتسلل منه الى الخارج ، وشخصا من الداخل  
يودعه !! .. وبعد حين أقبلت ليديا متلصصة ، وكما كان ذعرها  
حين وجدت تيريز فى مواجهتها ، تسألها فى صرامة عن « الرجل »  
الذى كانت معه !

وفى البداية حاولت ليديا الانكار .. لكن تيريز ضيقت عليها  
الخناق، وهددتها بأبلاغ الامر لامها ان لم تذكر الحقيقة كاملة !! ..

فاضطرت الى الاعتراف بمقابلتها للشاب الايطالى ، زاعمة انها  
انما قبلت لقاء آخر الامر ، بعد محاولات طويلة ، كى تقنعه  
بالكف عن مطاردتها !!

وفى الليلة التالية تصدت بيريز لابنة خالتها قبل موعد اللقاء  
ومنعته من الخروج ، هى أو خادمتها !! ومضت هى الى  
الكشك بدلا منها !! وكم كان ذهولها حين ألفت نفسها فى  
مواجهة : ابن خالتها « ريمون بلوارنيه » !

وكان موقفا شائكا رهيبا .. لم تكذ تنفضى منه دقائق الصمت  
الاولى المتخلقة عن المفاجأة ، حتى صارح الشاب ابنة خالته بأنه  
رغم أسفه على ما انحدرت اليه من ضعة فانه لا يملك نفسه من  
الشعور « بالارتياح » لان الأثمة لم تكن خطيبته الحبيبه ليديا ،  
والا .. لقتلها ثم قتل نفسه !

وكانت هذه العبارة بمثابة « المفناح » الذى أرشد بيريز الى  
حل الموقف ، فقد كانت تحب ريمون من أعماق قلبها ، وفى سبيل  
حبها اياه وتجنبيه كل ألم أو أذى فلتتحمل هى أية نضحية ..  
مهما غلت !

وتركته يعتقد أنها الأثمة !! وحين اعترف لها بأنه قتل  
« عشيقها » ندت من صدرها صرخة مكتومة ، مبعنها الجزع مما  
قد يترتب على الموقف من نتائج ، لا الجزع لمصير الآخر !!

**ولكن انى للتعس أن يعلم الحقيقة ؟!! وطيب ريمون خاطر  
الأثمة « المفجوعة » بكلمتين ثم طلب اليها أن تعود الى مغدعها  
كى تلدف الدمع السخين وتسأل ربها المغفرة !**

وعادت المسكينة الى حيث كانت تنتظرها الأثمة الحقيقية ..  
فلم تكذ هذه تعلم منها بعودة خطيبها ومصرع عشيقها حتى  
صرخت من قلب مكلوم ولاذت بمخدعها تبكى وتنتحب .. وفى  
غمرة محنتها راحت خادمتها الزنجية تغذى حقدتها على خطيبها  
بقصة وقعت لها فى شبابها : قالت انها كانت جارية لسيد أبيض

استمدها فأرادها لنفسه ، لكنها كانت تحب زنجيا من جنسها . فلما علم السيد جاء بحبيبها الزنجي وجلده أمام عينيها حتى فارق الحياة .. فطوت ضلوعها على نية مبيتة للانتقام منه ، وذات يوم تظاهرت لسيدها بخضوعها لرغباته وضربت له موعدا فى كوخها . وهناك أعدت له زنجيا آخر من جنسها ترصد له فلم يكده السيد يدخل حتى انقض هذا عليه وأوثقه فى عمود ثم انهال عليه جلدا بالسياط ونال المرأة أمام عينيها امعانا فى تعذيبه ! .. وأخيرا خرج المتآمران فأضرما النار فى الكوخ بمن فيه وهاما على وجهيهما فى الاحراش ، فرارا من العدالة ، ستة أشهر كاملة ، قتل فى نهايتها العبد فى معركة بينما التقطتها هى سفينة عابرة حملتها الى جزر المارتنيك ، حيث التحقت بخدمة والد ليديا ، وكانت هذه طفلة حديثة الولادة فتولت الزنجية ارضاعها وتربيتها عوضا عن مولودها - ثمرة صلتها بالزنجي - الذى ولد ميتا !

لم تكده الزنجية تفرغ من قصتها حتى علقها عليها ليديا بقولها : « الحق معك يا ليل ، فالمرأة القوية لا تبكى ، بل تنتقم ! » .. ثم أوت الى فراشها تفكر فى القصة التى سمعتها . وحين استيقظت فى الصباح ، شاحبة الوجه ، ذابلة العينين ، كانت قصة الزنجية قد سطرت فى وعيها بأحرف من نار .. ومنذ ذلك اليوم بدأت تبنت فى ضميرها خطة محكمة للانتقام !



◆ في اليوم التالي أقبل « ريمون بلوارنيه » لزيارة البيت بعد عودته من ميدان القتال فاستقبلته خطيبته مرحبة في جراحة - كان شيئا لم يحدث ! - بينما هي قد أضمرت له حقدا أسود لم تكن تكشف عنه الغطاء الا حين تخلو الى خادمتها الزنجية فيدور بينهما مثل هذا الحديث :

- لقد حطم مستقبلي ، وسوف يدفع ثمن فعلته غاليا !  
 - لا تنسى يا سيدتي ان خطيبك غني موفور الثراء ..  
 - و « جيراني » كان بدوره غنيا ، وكنت سأصبح « مركيزة » !  
 - دعني الموتى وشأنهم يا سيدتي وفكري في مستقبلك ..  
 - لقد أحكمت خطتي ، وبدلا من أن أتزوج بدافع الحب ، سأتزوج بدافع الحقد .. وسيحس هذا الرجل بأظافري تنفذ الى قلبه في الصميم !

وبينما كانت « ليديا » تبيت نيتها هكذا على الانتقام ، كانت الاخرى « تيريز » - تطوى قلبها على تضحياتها النبيلة في صمت ، وتعاود التفكير في حلمها القديم بشأن نبذ الدنيا والانزواء في دير .. وذات مساء أعلنت مدام سان موريس لابنتها وخطيبها ما فاجأتها به تيريز في هذا الصدد ، وأضافت انها حاولت اقناعها بنبذ مشروعها فلم تقنع !! فقالت الفاجرة ليديا معلقة في هدوء عجيب :

- انها تحسن صنعا .. فلقد خلقت للرهبة !  
 أما ريمون فصمت ولم ينبس بحرف ! ..

## القسم الثاني

◆ وذهبت تيريز الى الدير ..

وتزوجت ليديا من ريمون دي بلوارنيه !  
 وانقضى عام ، كان كل يوم منه يزيد ريمون تعلقا بزوجته الماكورة ، وعمى عن ادراك نواياها ! لم يكن الغبي يفكر الا برأسها ، أو يرى الا بعينيها ، أو يعيش الا بها ولها ! أما هي فقد صارت

تعرف في المجتمعات الباريسية بلقب « الكونتيسة دي بلوارنيه » . ولم تكن تظهر في مجتمع الا ويحدث جمالها وأناقته دويا في المكان ، وتروح أنظار المعجبين تتقاذفها في شغف .. وكان في مقدمة هؤلاء المعجبين : المالى الكبير « صموئيل برنهايمر » ، الذى صادفها مرة في دار الاوبرا قبل زواجها ، كما قدمنا .. ثم المركيز الشاب « موريس دي روكيير » الذى ألح عليه ليلتئذ أن يقدمه اليها في مقصورتها !

وقد وجد « برنهايمر » السبيل ممهدا لتقربه الى ليديا منذ اختيار مديرا لشركة مالية ضخمة ساهم فيها كل أصحاب الملايين في فرنسا وأطلقوا عليها « الكونتوار فرانسيس » ، فقد كانت ليديا بحكم جشعها ، حريصة على استغلال ثروة زوجها في كل باب تأمل أن يعود عليها منه ربح وفير .. فانتهاز برنهايمر فرصة صلته القديمة بأسرة تيريز وريمون وراح يحاول التسلل الى قلب ليديا عن طريق ارشادها الى صفقات مالية ضخمة درت عليها وعلى زوجها أرباحا طائلة ..

وطيلة الوقت كان ينتهز الفرصة فيحاول أن يدرس نفسية ليديا ، لعله ينفذ منها الى لغز مأساة تيريز - ابنة صديقه القديم - وسر اختيارها حياة الدير والرهبة ، وهي ما تزال في ربيع شبابها ..! وكان قد زار تيريز ذات يوم في الدير واستخدم كل دهائه كي يقف منها على أى ايضاح يلقي ضوءا على الموقف ، لكنه باء من محاولته بالفشل ، فقد أصرت الفتاة على أنها اختارت هذا السبيل استجابة منها لميل شخصي متأصل في نفسها ! .. لكنه وهو يودعها رأى عينيها تقرورقان بالدموع ، فانصرف وقد قوى عنده الشك في أن يكون الباعث لها على دخول الدير هو حبها لريمون وايتاره ليديا عليها !

أما ريمون .. فقد بلغ من حبه الساذج الاعمى لليديا أن ضاعف من اغداق المال عليها بلا حساب ، واشباع شهوتها الى الانفاق والبذخ في اسراف جنونى .. حتى لقد اضطرت أمها آخر

الامر الى مطالبتة بكف يده بعض الشيء ، وايقافها عند حدها بعد أن استنحل الامر .. لكن الشهور توالى والتعس مشفق من مفاتحتها فى هذا الشأن ! .. وحين تذرع بشجاعته أخيرا وفاتها فى الامر ، معذرا اياها من عواقب اسرافها الاهوج الذى قد يززع مركزه المالى ويقوده الى الافلاس ، أدارت دفة الحديث مقترحة عليه أن يشارك برنهايمر فى مضارباته بالبورصة ! .. وما زالت به حتى زج بنفسه فى هذا السبيل ، وربح منه بالفعل مبالغ طائلة ، كما ربحت هى مثلها .. غير انها لخبث طويتها كانت تدخر كل ما تربح وتمعن فى انفاق أرباح زوجها ! ذلك ان خطة الانتقام - الذى لم تغب فكرته عن ذهنها يوما واحدا ! - كانت تنقسم الى شعبتين : الاولى أن تقود زوجها الى الافلاس .. والثانية أن تقضى بعد ذلك على حياته . بأن توقع الشاب الماجن المركيز دى روكيير فى شرك غرامها ، وتدخل فى روعه ان زوجها هو الحائل الوحيد بينهما ، وتظل به تراوده عن نفسها حتى يجن بها حبا .. وتصل رائحة الفضيحة الى الزوج فيتبارز مع روكيير - الذى كان مشهورا بأنه من أمهر الرماة وأقدر لاعبي السيف ! - فيلقى ريمون حتفه على يديه .. وبذلك يسدل الستار على هذه المأساة المروعة !!

ولم تكن ليديا تتصور حين بدأت تفازل المركيز روكيير وتشجعه على مفازلتها ، ان ما تحسبه لعبا سوف ينقلب جدا فى يوم من الايام ! وهكذا ظلت تلعب بالنار حتى أحرقت أصابعها ، وتلحرجت رويدا رويدا حتى استسلمت للشباب وغدت خليلته ! .. واتخذ روكيير للقائها مسكنا خاصا فى شارع « لوبيك » ، صارا يلتقيان فيه بمنجاة من العيون .. لكن المحظور وقع ذات يوم ، حين لمح « برنهايمر » وهو مار بعربته فى شارع لوبيك ، امرأة تشبه ليديا خارجة من أحد المنازل وقد أسدلت على وجهها قناعا ! .. فتقاذفته الهواجس وعصفت بقلبه الغيرة ، فهرع من

فوره الى بيتها حيث انتهنز أول فرصة فسألها عما كانت تفعل فى شارع لوبيك ٠٠!؟ لكن الماكرة أنكرت فى جرأة ذهابها الى هناك ! ومع ذلك فان انكارها لم يقنعه ، فصمم على استجلاء الحقيقة مهما كلفه الامر ٠٠ وهكذا بادر فى صبيحة اليوم التالى الى استدعاء سكرتيه الخاص - وكان فضوليا مغامرا - وتبسط معه فى الحديث ، حتى علم منه ان للعريكز دى روكبير مسكنا خاصا فى شارع لوبيك يلقى فيه احدى عشيقاته ، وقد وقف السكرتير على هذه الحقيقة مصادفة من صديقة له تقطن المسكن المواجه لذلك الوكر ٠٠! فلم يكذب برونهايمر ، يسمع هذه التفاصيل حتى كلف سكرتيه باغراء صديقه على مراقبة المسكن ومعرفة شخصية العشيقة ومواعيد ترددها عليه ٠٠ الخ

أما ليديا فان استجواب برونهايمر لها بشأن ترددها على ذلك المسكن قد أقنعها بضرورة تغييره فورا ، فأخطرت عشيقها بأنها تود رؤيته فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالى لامر هام ٠٠ وبادر هذا فأرسل خادمتها الى المسكن قبل هذا الموعد بوقت كاف كي تعد العدة للقاء ٠٠ وعرفت صديقة السكرتير من حضور الخادمة انه تمهيد للقاء جديد فأخطرت صديقها ، الذى أخطر رئيسه بالامر ٠٠ وهكذا لم تكذب ليديا تصل الى مواجهة باب مسكن عشيقها حتى فتحت باب الشقة الملاصقة على حين غرة وبرز منه رجل أمسك بيدها وجذبها الى الداخل ثم أغلق عليها الباب فى طرفة عين : واذا ليديا وجها لوجه أمام ٠٠ صموئيل برونهايمر!

وعقدت المفاجأة لسانها لحظات ٠٠ ثم دار بين الاثنين حديث باحت أثناءه للرجل بكراهيتها الشديدة لزوجها ! وأثناء الحديث سألتها المال الكبير ، دون قصد : تخيلي ان زوجك كان مكانى الآن ؟ ماذا كان يحدث ؟

كان يصفى حسابه الآن مع روكبير !  
وهنا خيل الى برونهايمر انه لا يرى أمامه ليديا الغاتنة التى



كان يهيم بها الى درجة الجنون .. وانما يرى امامه ماردا من  
مردة الجحيم ! انها تدبر خطة محكمة لتقتل الزوج ببسند  
العشيق ... فيا للهول !

وعلى أثر انصرافها خطر لبرنهايمر أن يمسك بالخيوط من  
أطرافها ، فمضى من فوره الى مقابلة تيريز في الدير ، حيث طلب  
اليها أن تصلى من أجل « ريمون » ، فان بيته مهدد بالخراب ! ..  
فلما استوضحته جلية الامر صارحها بأن ليديا تدبر خطة لاغتيال  
زوجها ! واذا ذاك أفلتت من تيريز هذه العبارة : « ويل للتعسة  
.. انها تريد أن تشأر « للآخر ! » .. لكن تيريز تنبّهت لخطورة  
تصريحها فأبّت أن تزيد ، مكثفة بمطالبة برنهايمر بالسهر على  
سلامة ريمون .. فخرج المالى الكبير من الدير وهو يسائل نفسه :  
« ان ليديا تبغى اغتيال زوجها ثأرا للآخر .. فمن هو عذا  
« الآخر » ؟ »

## - ٦ -

◆ قبل هذه الحوادث كان برنهايمر قد شعر بان بعض الايدى الخبيسة  
تتلاعب باسمهم شركة « الكونتوار فرانسيس » تلاعبا قد يعرضه هو للمستولية  
القانونية بصفته مديرها ، فلما عجز عن كبح جماح المتلاعبين قدم استقالته  
من ادارة الشركة ، فقبلت استقالته فورا .. ولما كانت ليديا وريمون من المساهمين  
فى الشركة بمبالغ طائلة فقد رأى ان واجب الوفاء يقتضيه ان يعطرها من  
الحظر المحقق بهما كى يتداركا ثروتهما قبل ضياعها .. فمضى الى ليديا  
وصارحها بالموقف ثم نصحها بان تبيع وزوجها اسهمهما فى الشركة اثناء  
ارتفاعها المؤقت المصطنع ، الذى سيقبّله انهيار مخيف ! .. لكن ليديا - تنفيذا  
لخطةها الجهنمية - اكدت ببيع اسهمها الخاصة ثم عملت الى تزييف رسالة  
برنهايمر الى زوجها فمكستها ، قائلة له ان الرجل ينصحه بعدم بيع اسهمه  
بأية حال !!

حدث ذلك قبل ان يكتشف برنهايمر حقيقة ليديا ويضبطها امام مسكن  
روكيير .. فلما انكشفت له حقيقتها وبدرت من تيريز تلك الاشارة المقتضية  
الى « الآخر » ، أدرك ان خطرا شديدا يحلق بريمون ، فعرج عليه واستلّس  
منه عما اذا كانت زوجته قد ابلغته نصيحته له ببيع اسهمه ؟ وكما كانت

دهشة الطرفين حين صرح الشاب بأن زوجته قد افهمته العكس تماما !! وأنه قد اشترى بالفعل مزيدا من أسهم الشركة ، بدلا من أن يبيع ماعنده منها !  
 - وهل أصبحت هذه الاجراءات نهائية ؟  
 - نعم ، فقد وقعتنا بالفعل !

وهنا غير برنهايمر مجرى الحديث عامدا فحدث ريمون عن مقابلته الاخيرة لتيريز ، وعن اهتمامها بامرءه وعطفها عليه .. الخ - فلما خرج المال لم يملك ريمون نفسه من المقارنة بين تيريز وليديا .. واسترجع في ذهنه أحداث الماضي والخاطر فراح يربط بينها و «يولف» أحدها على الآخر .. ثم امتطى جواده وخرج ليرتاض قليلا . فصادق زميلا اكده نبا الكارثة المالية التي أصابت الشركة .. اذن فقد دق على رأسه ناقوس الخراب . وكانت زوجته هي السبب !! وإذا هو يلوى عنق جواده ثم يدفعه بسرعة جنونية في الطريق الى منزله . فقد ارتسمت في ذهنه علامات استفهام كثيرة وكبيرة كان يريد الجواب عليها في الحال .. فلما وصل اندفع الى مخدع زوجته كالسهم ، فوجدتها امام مكتبها الصغير منهكة في الكتابة .. فلما رآته اضطربت واسقطت الورقة التي كانت تكتبها في الدرج ، لكنه بحركة قوية نحاها جانبا واختطف الورقة .. فاذا هي تصيح كالكلب المسموم وتحاول انتزاع الورقة من يده !! لكنه تجاهل صراخها وتوسلاتها وشرع يقرأ فيها هذه البرقية : « يا حبيبي موريس .. ان اللطم الذي أحكمنا تعبته ووضعه قد انفجر الآن .. فقد أفلس الكونتوار .. ويجب أن أراك في الحال ! »

أمسك ريمون بليديا من كتفيها ودفعها بقوة وحشية ، ثم اضاف وقبضته الحديديتان تكادان تشطرانها شطرين :

- ليس المجال مجال كلام الآن بل مجال اعتراف .. من هو موريس هذا ؟ هل هو المركيز روكبير ؟  
 - نعم !

- انك في هذه المرة عشيقة روكبير . واما في المرة السابقة فقد كنت عشيقة جيرانى ! اليس كذلك ؟؟  
 - نعم !

- والان اجيبني : مادمت تكرهينني الى هذا الحد فلماذا قبلت الزواج مني ؟  
 - تزوجتك كي أثار للرجل الذي احببت ، والذي قتلته بيدك الائمة .. وها حلمي قد تحقق : فلقد قادتك الى الخراب . ثم خنتك .. وسوف يتم انتقامي

حين يصعرك روكبير .. هذا اذا واجهته ولم تكن رعيدا !  
 - لقد قتلت عشيقك الاول ، وسأقتل الثاني .. وبهذه المناسبة دعيني اقدم  
 اليك الدليل على أنك لاتعشقين غير الاندال : اليك الاقرار الذى سجل فيه  
 جبرائى على نفسه انه كاذب مختلق فى كل ما روى ، كى يتجنب المبارزة !  
 - كاذب ..! كاذب !

- وهل تعلمين يا فاجرة ان عشيقك النبيل الباسل كان متزوجا ؟  
 - كاذب ..! كاذب !

وانطلقت من الغرفة كالصاروخ او كالجنونة ، وبعد حين عرف انها اخلت  
 كل ما استطاعت حمله من حليها واماويلها ، واختفت ..! فقال ريمون معلقا :  
 « لقد احسنت صنعا بالفرار .. ان عند الداعرات فى الدنيا سوف يزيد بفراقها  
 واحدة ..! والآن ، الى روكبير ! »

## - V -

♦ وتبارز الغريمان ، فسقط روكبير صريعا ، بينما اصيب ريمون بجروح  
 خطيرة ، رأى الاطباء معه ضرورة توفير مرضعة خاصة للسهر على راحة الجريح ..  
 فانطلق برنهايمر الى الدير وعاد وبصحبه « تيريز » ، فان التى تهرع لتجسدة  
 الغريب ، لا تظن بالنجدة على حبيبها !



واجتاز ريمون مرحلة الخطر بسلام ،  
 ثم زف اليه « برنهايمر » بشرى مضاربه  
 باسمه فى البورصة على النزول ،  
 واسترداده له جميع امواله التى كان قد  
 خسرها ..! وحين اعربت تيريز عن  
 رغبتها فى العودة الى الدير قال لها  
 برنهايمر : « وخالذك المسكينة ؟ ان  
 وجودك بجوارها فى محنتها القاسية لهو  
 العزاء الوحيد لنفسها الحزينة وقلبهما  
 الكبير . بعد ان برأت من ابنتها الفساة

وقطعت كل صلة بها ! .. ومازال الرجلان بها حتى قبلت البقاء . فان طبيعتها السمجة كانت اسخى من ان ترفض أى عمل من شأنه اسعاد الآخرين !  
 اما ريمون ، الذى كان زواجه من ليديا مازال قائما - لانقسام له ! - يفرق بينه وبين تيريز بحائل لا فكاك منه - فقد شد رحاله بمجرد شغافه الى حيث راح يجوب البلاد فى رحلات طويلة ، عساه ينسى ماضيه من محن واهوال ..  
 وذات يوم ، وهو فى لندن ، عاد الى بيته من رحلة صيد ، ليجد فى انتظاره خطابا من برنهايمر مصحوبا بقصاصه من صحيفة ايطالية جاء فيها : « ان الفتاة الفرنسية التى كانت ملء عيون واسماع اهل نابولى طيلة العامين الاخيرين قد اصبحت بحمى التيفوئيد فقضت نحبها ، برغم العناية الفائقة التى بذلها لها الطب ! .. اما خادمتها الزنجية التى كانت لاتفارقها دقيقة واحدة ، والتى ربتها واراضعتها ، فانها لم تحتمل الصدمة .. فوجدت فى صبيحة اليوم التالى بجوار نعش سيدتها .. جثة هامدة ! »

انقلص بدن ريمون لدى تلاوة هذه القصاصه ، فلما افاق تذكر انه لم يقرأ خطاب برنهايمر ، فنشره امام ناظره وقرا فيه : « والان يا صديقى ، الا ترى ان مدة غيابك قد طالت اكثر مما يجب ؟ .. وانك مطالب امام الله باصلاح الاخطاء الجسيمة التى تعملت تيريز عبثا بغير ذنب ولا جريرة ؟ فاذا كانت فى الدنيا عدالة فان هذه الفتاة القديسة يجب ان تعوض عما بذلت من ذات روحها وماتحملت .. وانت الوحيد الذى يمكنك ان تعوضها وتجبر كسر جناحها المهيف ! .. لقد قلت لى مرة انك مررت بجوار ينبوع السعادة ولكنك لم تراه ، فلماذا لاتعود اليه الان وقد اصبح فى متناول يدك ؟ .. اذا فررت العودة فاكتب الى كلمة واحدة افهم منها ما عولت عليه ، وحينئذ ساعرف كيف اعيد لك الطريق فيما يتصل بـ « تيريز » .. والا ، فالوداع .. الى غير رجعة ! ! »

غاص ريمون فى تفكير عميق ، ومرت امامه صور الماضى البشعة باكملها : ليديا ، وشرها ، واعمالها ، وحقدها ، وهربها ، وخيانتها .. فغيل اليه ان اللم ما يزال يتزف من قلبه وينبجس من جروحه .. ثم رأى امامه وجه تيريز الجميل ، الهادئ ، الوداع ، وابتمامتها الخلو .. واحس بذات قلبها الطهور ! .. فلما مرت امامه الصورتان ايقن ان السماء قد غفت عنه ، وملت اليه يد الفتى لتنتشله من الوهدة التى تردى فيها .. فنهض واقفا وقد اعاد اليه الامل قوته وشبابه ، وكتب الى برنهايمر برقية لاتحتوى على غير هاتين الكلمتين :

« انى قادم ! »

( بقية المنشور ص ١٢٦ )

♦ وحل يوم المحاكمة ، فحضر الزوج المفجوع متحملا على حزنه ، وقد بدأ عليه الاسى اكثر منه يوم التحقيق وفى قفص الاتهام ، وقف «الفتى» الذى رآه مسستر «بيللينجهام» فى «كافيه دو بارى» ، والذى اكدت «ماديلون» انها لمحت وجهه فى نافذة تلك الحانة .. وكان واجما ، تزخر نظراته بالغباء والذعر .. ولكنه ظل صامتا ، لا يتكلم .. حتى حين وجه القاضى اليه بعض الاسئلة ..

واذ يئس القاضى منه ، تحول الى «آنسون» فسأله على حين غرة :

— هل تذكرت العنوان الذى نزلت فيه فى «مرسيليا» يا «بير آنسون» ؟ ..

ورفع الرجل بصره فى وجوه المعتاد ، ثم قال :

— لا أستطيع أن أتذكر .. ربما تعرفت عليه لو رأيته ! ..

لقد الهتنى الفجيعة فى قريبي عن أن اعنى بتعرف اسم المكان ..

— وما اسم ذلك القريب يا «بير آنسون» ؟ ..

وتردد الرجل .. وفى اللحظة التى أوشك أن يتكلم فيها ، صاح به القاضى :

— أنك تكذب يا «بير آنسون» .. لم لا تقول الحق ؟ ..

أنك قتلت زوجتك فى ساعة مبكرة من صباح يوم الاثنين ، واستوليت على مالها ، فدفعت الى الفتى الإبله بمبلغ زهيد ليبتاع ثوبا جديدا ، ويلهو يوما فى «مونت كارلو» .. ثم أسرعت بالمال الى «نيس» لتنفرد به مع عشيقتك ، بعد أن احكمت شباك الشبهات حول هذا الإبله المسكين ؟ ..

وقفز الرجل فى مكانه مدعورا وقد احتقنت عيناه ، وامتنع وجهه .. بينما صاح القاضى :

— ادعوا هذه المرأة ! ..

وتطلع «آنسون» نحو الباب .. وفى اللحظة التالية بدت

امراة بين اثنين من رجال الشرطة .. وانبعثت صرخة مروعة في المكان .. واتجه بصر «ماديلون» نحو ققص الاتهام .. كان الفتى يبدو مسمرًا في مكانه ، وقد علق بصره بالمرأة التي اقبلت. وانجابت عنه غفلته ، واومض الذعر في عينيه .. وصاح مرّة أخرى : «أمى !!» ..

### مفتاح الجريمة !

◆ قال القاضي وهو يجلس الى « مستر بيللينجهام » و«ماديلون» عقب المحاكمة :

— ان المآسى العائلية ليست نادرة بين طبقاتنا الريفية الوضيعة .. ولكن الغريب حقا في هذه المأساة ، ان «بيير آنسون» كان يحب شقيقتين في آن واحد .. وقد أثر ان يتزوج من كبراهما ، لانها كانت ارملة ورثت عن زوجها السابق مالا .. ولكنه ظل على علاقته بالصغرى في الخفاء .. وكان الفتى المسكين ثمرة هذه العلاقة ، وقد حاولت امه ان تتخلص منه ، ولكن «آنسون» في لحظة من اللحظات التي سرت الرحمة فيها الى قلبه ، انتزعه منها .. فكفلته زوجته ، دون ان تدري اكثر من انه ثمرة علاقة فاسدة بين اختها وشخص غريب ! .. وكان «آنسون» يتردد على عشيقته كل شهر في «نيس» . وهما يعلنان النفس بموت الزوجة كي يرثا مالها .. ولكن الزوجة لم تمت ! .. واكثر من هذا ، ان احوال «آنسون» ساءت ، اذ نصب الخشب في المنطقة التي اقام فيها الحانة ، فتحول عمال قطع الخشب عنها .. وكان الفتى في هذه الاناء قد كبر ، وبدا انه ابله لا امل فيه ، ولا خوف منه .. وبقيّة القصة لا تحتاج الى شرح . على ان «بيير آنسون» اثبت انه داهية ندر ان يوجد مثله بين الريفيين ، فقد خدعنا جميعا .. وانا لمدينون حقا للآنسة ماديلون ومستر بيللينجهام، فهما اللذان ارشدانا الى القاتل الحقيقي .. بعد ان كاد الابله المسكين يروح ضحية غدر امه وعشيقتها !

مشروب الضیافہ



## محتويات الكتاب

### صفحة

### الموضوع

٥	مقدمة العدد
٧	انا القاتل : قصة مصرية للمحرر
٢١	معركة في مجلس الامن : قصة سياسية ساخرة في حوار
٢٧	لعبة الحب والموت : قصة تمثيلية كبرى لرومان رولان
٥٧	بطل القصة .. والمؤلف (رومان رولان)
٦٠	اللثة : قصة قصيرة لجيوفانى فيرجا
٦٧	فن الزعامة : اندريه موروا
٨٨	آراء لابن المقفع : الزعيم وصاحب السلطان
٨٩	دائرة معارف الزواج : تلبس بالخيانة الزوجية
٩٥	شويان : فنه .. وغرامه .. ومأساته
١٠٩	غرام شاعر : من رسائل الخالدين
١١٣	حانة الرعب : قصة بوليسية لفليبس اوبنهايم
١٢٧	تعال معي الى بلاد الدانوب : شعوب العالم وكيف تعيش
١٣٧	نيرون : الطاغية السفاح ، قاتل أمه !
١٤٦	بيت الغانية : قصيدة للروائي الشاعر أوسكار وايلد
١٤٩	عندما تحقد المرأة : قصة كبرى لجورج أونيه

العدد القادم : أول أعداد كتابي الممتازة .. ممتاز في مادته ومظهره - يباع بعشرة قروش .. لكنه يساوى أضعافا !





# كناج

## الشافى عشر

” .. ودققت الواقعة فعلا ، بل مقدمات ! .. عدت  
 ذات ليلة فجأة من مرحلة مصاحبة في بلدة قريبة  
 - قبل الموعد الذى حددته لعودتي - فوجدت  
 زوجتى بين ذراعى رجل غريب ، من أعضاء النادى  
 الذى تتردد عليه !!

” ولكم أن تقدروا - يامضرات المستشارين -  
 عنف الصدمة التى أصابتنى ، فصحفتنى سوفا .. فكلكم  
 زوج ، وكلكم يستطيع ان يتصور فظاعة الطعنة التى  
 تمزق قلب الزوج المخدوع حين يكتشف فجأة انه  
 زوجته التى أظلمت سقفه ، ووجدانه  
 قد استباحته أن تلغ في شرفه ببلد  
 وانزع من ضمير .. ! “

(من قصة "أنا القاتل" ، إحدى قصص

Bibliotheca Alexandrina



0424549

